

مجلة المجمع العلمي

الجزء الثاني ـ المجلد الخامس والاربعون

بغــــداد ٨٨

١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م

شروط وضوابط النشر

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة اخرى .

٤ ـ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها النشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية : ـ

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ـ يجب ان لاتزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفيا المصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط او بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

٧ ـ يعطي صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشر مستلات من بحثه .

المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م

هيئة التحرير

ـ توجه البحوث والمراسلات الى : رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي
المجمع العلمي ـ ص . ب . (٤٠٢٣) بغداد ـ جمهورية العراق
هاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : (٩٦٤ ـ ١) ٤٢٥٤٥٢٣

ـ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠) دينار سنويا .

خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنويا وتضاف اجرة البريد .

الفهـرس

الصفحة | الموضـوع

التيارات السياسية في الخليج العربي(*)

أ.د. ابراهيم خلف العبيدي
عضو المجمع العلمي

ان الحديث عن التيارات السياسية في الخليج العربي ، تثير عدة تساؤلات منها : ما التيارات السياسية التي برزت على الساحة السياسية في الخليج العربي ؟ وهل استطاعت هذه التيارات استيعاب الواقع الخليجي اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ؟ وما الافكار التي طرحتها هذه التنظيمات ، وهل تتلائم مع نفسية وروحية الفرد العربي في الخليج ؟ وما مدى امتداد تنظيماتها أفقيا وعموديا في الاوساط الجماهيرية ؟

قبل الاجابة على هذه التساؤلات ، يجب التعرف ولو بصورة بسيطة على طبيعة المجتمع ، وفئاته ، ومستواه الاقتصادي والثقافي ، لان التنظيمات السياسية انبثقت من هذا المجتمع ، وتأثرت بالعوامل المحددة له ، كذلك يجب التعرف على طبيعة انظمة الحكم التي تحكم وتقود هذا المجتمع .

يبلغ عدد سكان الخليج العربي حسب احصاءات ١٩٩٤ (٢٢ر٧) مليون نسمة . سكانهم الاصليون ، معظمهم ينحدرون من أصول قبلية ، يحملون كل القيم القبلية بايجابياتها وسلبياتها ، اعتمدوا في حياتهم الاقتصادية قبل ظهور النفط على الرعي وصيد الاسماك ، وفي بعض المناطق على استخراج اللؤلؤ ، وكان مستواهم المعاشي دون الكفاف .

بعد ظهور النفط في مطلع الاربعينيات من هذا القرن ، حدثت طفرة اجتماعية واقتصادية كبيرة هزت كيان المجتمع ، قيمه وتقاليده ، واسلوب

(*) محاضرة القيت في المجمع العلمي بتاريخ ١٦/٣/١٩٩٨ .

معيشته . هذه الطفرة من حياة الكفاف الى حياة الرفاه التي جربتها المجتمعات الخليجية ، كانت بأي مقياس من المقاييس حدثا استثنائيا في حياة الجماعات التي لم تألف ، ولا توقعت الاستثناءات الخارقة في الحياة الرعوية ، التي تطورت الى حياة تجارية رخيصة ، تزدهر وتكتسب قيمتها من ثبات ايقاع الحياة ورتابتها ، وتحمل الكثير من الثقة بالاتي من الاحداث والارتياح له .

إن هذه الثروة الجديد ، منذ ان بدأت تتحرك في مجتمع الخليج ، عملت قبل كل شيء على قطع الصلات بالماضي ، لاسيما في جانب النشاط الاقتصادي ، وخلال سنوات قليلة ، ودون المرور بمرحلة انتقالية ، بلغ الوضع الجديد في مجتمعات الخليج الى مرحلة استهلاكية كبيرة ، فحققت نوعا من النمو الاقتصادي دون المرور بالادوار التقليدية المعروفة لعملية التنمية ، ودون المرور او معايشة ظواهرها الاقتصادية والاجتماعية ، ودون ان تعرف البواعث والتوقعات والعقبات التي ستواجه التنمية .

كذلك اوجد استثمار النفط طبقة جديدة في المجتمع ، هي الطبقة البرجوازية ، فبعد ان كان الناس يتفاضلون بالنسب والانتماء الى هذه القبيلة او تلك ، صاروا يتفاضلون بالثروة ، اي ان القيم الاجتماعية تبدلت تبدلا كثيرا ، واصبحت هذه الطبقة تتطلع الى المشاركة في السلطة مع الاسر الحاكمة[1] ، كذلك برزت ظاهرة اجتماعية اخرى مهمة ، هي ظاهرة تعاظم الشريحة الشابة في مجتمعات الخليج العربي ، وهذه الظاهرة تجلب معها محاذير كثيرة ، وستكون مقدمة لزلازل اجتماعية صعب التكهن بها . واولى هذه الزلازل ، هو الاغراء الذي تجده هذه العناصر الفتية في العمل السياسي العنيف حلا لازماتها الاقتصادية والاجتماعية ، ولن يكون ذلك غريبا على طبائع الاشياء ، فنشر التعليم وتعميمه بين الشباب وهو امر تلتزم به كل دول الخليج،

---

(١) د. محمد غانم الرميحي ، البترول والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٨١ .

سيجلب معــه زيادة الوعي السياسي والاجتماعي ، وسـيجعل من المشــاركة السياسية مطلبا مبررا تماما ، وآنئذ يصبح الاحتجاج بعدم اهلية الشباب لمثل هــذه المشاركــة حجة صعبة التبريــر • ويربط إيكلمان العلاقة بين شبابية مجتمعات الخليج ، وبين القلق السياسي بقوله « إن أهم اسباب عدم الاستقرار في الخليج ، هو شبابية هذه المجتمعات ، وان احد اهــم معالم (الارهاب) في المنطقة هو تورط العناصر الشابة في اعمال العنف السياسي »(٢)

ومن الاثار الاخرى التي تركها النفط ، قيام طبقة عاملة ذات شأن في دول الخليج ، حيث بدأت تجري عمليات تركز للعمال تحت ظروف مشتركة وفي مناطق واحدة ، وقد اسهمت هــذه الطبقة في بلــورة الوعي الوطنــي ، وفي المساهمة بمختلف النشــاطات السياســية من خــلال مطالبها ، واضراباتهــا والمساهمة في نشوء التنظيمات السياسية المختلفة في المنطقة •(٣)

إن الثروة الهائلة ، قياساً الى عدد السكان الضئيل ، الذين تغلب عليهم حياة البداوة ، ولا يشعرون بحاجة الى العمل لدى شركــات النفط أدى الى بروز ظاهرة الاتكالية لدى ابناء الخليج ، واستخدام اليد العاملــة الاجنبية • مما نتج عنه مشكلات سياسية واجتماعية ، وتتمثل هذه المشكلات في اختلال التوازن بين الوافدين والسكان الاصليين • فقد بلغت نسبة العمالة الوافدة في عام ١٩٨٥ في الامارات العربية ٨٥٪ ، وفي قطر ٨١٪ ، وفي الكويت ٧٠٪

(٢) د. محمد جواد رضا ، صراع الدولة والقبيلة في الخليج العربي ، ازمــة التنمية وتنمية الازمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٢ ، ص ص ٢٩ـ٣٠ .

(٣) للتفاصيل عن الحركة العمالية ودورها ينظر :
الحركة العمالية البحرينية وارتباطها بالحركة الوطنية ، مجلة الحريــة ، بيروت ، ٤٩٥ ، سنة ١٩٦٩ ؛ الحركة العمالية في البحرين وعلاقتهــا بالحركة القومية ، مجلة الطليعة ، دمشق ، ع٩٣ ، سنة ١٩٧٠ ؛ سعيد عبدالله ، تاريخ وتطور الحركة العمالية في البحرين ، الطليعة ، القاهرة ، ١٤ ، سنة ١٩٧٢ ؛ ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ـ١٩٧١ ، بغداد ١٩٧٣ .

وارتفعت هذه النسبة في عــام ١٩٨٧ الــى ٩١٫٢٪ ، و ٨٣٪ ، و ٨١٪ على التوالي • وهذا يؤكد ان الاعتماد على الوافدين سيستمر لحقبة من الزمن تتعدى نصف قرن بدرجات متفاوته في العدد والمستوى وميادين التخصص • وتجدر الاشارة الى نسبة الوافدين الى عدد السكان تبلغ في عمان ٣٢٪ ، وفي البحرين ٣٥٪ ، وفي السعودية ٤٠٪ ، وفي الكويت ٦٠٪ ، وفي قطر ٦٨٪ ، وفي الامارات العربية ٧٥٪ •(٤)

وخطورة هذا العدد الهائل من الوافدين الاجانب ، أن العــرب يمثلون نسبة ضئيلة لعدم تشجيع انظمة الحكم الخليجية قدومهم ، لكونهم يحملون معهم افكاراً ثورية • ولا يقتصر الخطر على الانشاط الاقتصادي ، بل يتعداه الى الجانب الاجتماعي بما يحمل هؤلاء الوافدون من عادات وتقاليــد تختلف اختلافاً كبيراً عن العادات والتقاليد العربية • والاهم في موضوعنا هو الجانب السياسي • فقد ثبت لشركات النفط ان العمال الوافدين يمكن التحكم فيهــم بصور اقوى ، ومن السهل اصدار الامر بطردهم إذا ما حــاولوا اثــارة الاضطرابات • هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد مثل هؤلاء الوافديــن حجر عثرة في طريق حركة التحرر الوطني ، خوفا على مصالحهم ، واوضاعهم المعيشية فشكلوا (طابوراً خامساً) ضد اي حركة تحرر • فضلا عن ذلك فان عدداً كبيراً منهم له اهدافه السياسية ، لاسيما الايرانيين الذين يحملون افكاراً وتصورات عن المنطقة باعتبارها جزءاً من الامبراطورية الفارسية • وان عليهــم دوراً يؤدونه في إعادة المنطقة الى ايران ، والامثلة كثيرة عن طبيعة التسلســل الايراني وطرقه ونوعية المتسللين ، واهدافهم(٥) •

(٤) محمد جواد رضا ، المصدر السابق ، ص٢٧ ؛ نادر فرجاني ، الهجرة الى النفط ، ابعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية واثرها على التنمية فــي الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٣ ، ص١٨٦.

(٥) ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص ص ٧٤ــ٧٨ ؛ علي غنام ، الغزو أو ما يسمى بالهجرة ووسائل التسلل والدخول لامارات الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، العدد ٤٣ ، ١٩٧٢ •

كما ان الهجرة الاجنبية شكلت وتشكل تهديداً مستمراً لامن واستقرار اقطار الخليج العربي ، وطمس هويتها القومية ، كما حدث في المظاهرات التي قادتها الجالية الايرانية في الكويت عام ١٩٣٨ مطالبة الحكومة بمنحها الحقوق القومية ، والسماح بانشاء مدارس ايرانية واعطائها حق التمثيل بالمجلس التشريعي الكويتي ، وبات تفوق المهاجرين العددي والنوعي بمرور الوقت على عدد السكان الاصليين يشكل ضرراً خطيراً بالكيان الوطني ، والامن القومي ، واصبح المهاجرون يمثلون عنصر ضغط سياسي على السلطات المحلية التي ترفض قبول التجنس ، وتحويل المهاجرين الى سكان اصليين لهم حقوق وامتيازات السكان الاصليين . ولا سيما بعد ان تفوقت اعداد المهاجرين بشكل كبير ، ففي قطر على سبيل المثال ، تدنت نسبة المواطنين من ٥ر٤٠٪ عام ١٩٧٠ ، الى ٤ر٢٦٪ عام ١٩٨٦ ، ثم الى ٥ر٢٢٪ عام ١٩٩٣ ، وتحول القطريون الى اقلية في بلدهم(٦) .

واذا كان النفط واستثماره في المرحلة الاولى ادى الى هذه القفزة الاجتماعية والاقتصادية وآثارها التي اشرنا الى بعضها ، فكيف بعد ارتفاع اسعار النفط فقد بلغت زلزلة النفط ذروتها في السبعينيات ، إذ قفزت اسعاره الى (٣٤) دولار . وقد علق يوسف الشيراوي ، احد وزراء حكومة البحرين قائلا « لم يكن احد مهيأ للاموال التي نزلت علينا خلال فورة النفط في السبعينيات ولما كان علينا ان نختار فقد تقبلنا ظواهر الحياة الغربية ، ولكننا رفضنا قوانينها ، فنحن تقبلنا التقانة ، ولم تقبل العلم ، ولما غمت الرؤية على الناس هرعوا الى الدين بحثاً عن الاطمئنان »(٧) .

---

(٦) عبدالملك خلف التميمي ، الاثار السلبية للهجرة الاجنبية ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية العمالة الاجنبية في الخليج العربي ، مركز دراسات الوحدة ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٢٩٨ـ٣٠١ ؛ علي خليفة الكواري ، تنمية للضياع ، ام ضياع لفرص التنمية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٦ ، ص ٢٠ .

(٧) نقلا عن محمد جواد رضا ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

ومع ضخامة هذه الثروة ، فانه لم يكتب لثروة بشرية ، ان يكون خيرها لغيرها أهلها ، كما كتب للنفط ، فان جزءاً كبيراً من ارباح النفط يذهب بطريق غير مباشر الى خارج منطقة الخليج العربي ، فالاستهلاك الهائل يستمد معظمه من اوربا والولايات المتحدة ، كما ان فائض الدخل في هذه الامارات يودع في مصارف اوربية واميركية تستثمره في بلادها • وقد وصف المؤرخ البريطاني كيلي الحالة بقوله « لقد ذهبت اكثر عوائد النفط الهائلة لشراء الاسلحة من الغرب والشرق لشن الحروب على الجيران والاصدقاء ، وذهب البعض الاخر منها لمنافع غير عربية خارج الوطن العربي ، وما بقي استأثر به ذوو السلطان ، ثم القوا الى شعوبهم فتات بعض ما كانوا يأكلون »(٨) •

أما فيما يتعلق بانظمة الحكم ، فقد ترك النفط تأثيراً واضحاً فيها ، فنظام الحكم في اقطار الخليج بيد مجموعة من الاسر الحاكمة ، التي حكمت المنطقة بفضل نشاطاتها الاقتصادية ، والدعم البريطاني لها للبقاء في الحكم ، ونظام الحكم بصورة عامة قبلي في جوهره ، وعلى الرغم من محاولة الشيوخ الحكم على وفق الانظمة الحديثة ، فان النزعة القبلية بقيت تتغلب على اسلوب حكمهم، وبما ان الحاكم يستشير افراد اسرته ، وبعض المستشارين في بعض المسائل • فقد اطلق الكتاب على هذا النوع من الحكم ، الحكم الابوي لا المطلق ، لان الشيخ يستشير مجلسه ، فضلا عن عدم وجود الدساتير التي تنظم العلاقة بينه وبين المؤسسات الادارية •

وكانت السلطة العليا توكل الى شيوخ القبيلة ، الذين حنكتهم (التجارب والخبرات) وكانت السلطة الادارية بيد الذكور دون الاناث ، نظرا لما تستدعيه العادات والحماية ، وهي وظيفة السلطة • وكان مرجع تركز السلطة في الشيوخ دون الشباب ، وفي الذكور دون الاناث في زمن ما قبل النفط ، يعود الى الظروف المادية والفكرية في مجتمع الكفاف الاقتصادي المستند الى صيد

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ •

اللؤلؤ ، واقامة الزراعات المحدودة ، والممارسات التجارية المحدودة ، مجتمع الحد الادنى من الفائض الاقتصادي .

إلا ان ظروف ما بعد النفط ، شهد ولادة (مجموعة من المستجدات) ، فقد حدث الانتقال من الشيخ والقبيلة ، الى المقيم البريطاني والشركة ، الى برميل البترول ورصيد المصرف الى الدولة والثروة ، كله في ظرف حقبة واحدة من الزمن لم تترك لاصحابها فرصة يهضمون فيها ما نزل عليهم سيلا من السماء ، او تفجر تحتهم عيونا من الارض ، ثم يعطون الغني فرصة ينتقل بها خطوة الى درجة من التحضر ، تمنح المال شيئا من القيمة والاحترام يتعدى مجرد الحسابات والارقام[٩] . هذا الى جانب الاستغلال الاقتصادي للافراد ، وظهور قيم معيشية جديدة فرضتها ظروف وطبيعة المجتمع المتغير . واهم هذه المستجدات ، ان اقطارا صغيرة في حجمها وعدد سكانها ، مكنها النفط ان تحول نفسها دولا كاملة السيادة بما يترتب على ذلك من مظاهر خارجية مثل التمثيل الدبلوماسي والشعارات الاخرى ، ولكنها لا تكسبها وزنا في السياسة الدولية . كما ان مجرد قيام هذه الدول يعمق الروح الاقليمية ، والارتباط بوطنيات محلية ، لم يكن لها وجود سابق في الوطن العربي ، فلا غرو ، بعد ذلك ان يسمى بعض دعاة الوحدة العربية هذه الظاهرة باقليمية النفط ، او القومية النفطية .[١٠]

وقد أبدت الانظمة الخليجية بعض المرونة السياسية في الخمسينيات وأوائل الستينيات ، في مرحلة المد القومي والثوري ، لأمتصاص الزخم الوطني ، فقدمت بعض الوعود للطبقة العاملة بتأسيس النقابات العمالية واعلنت عن نيتها بتشكيل برلمانات لارضاء الطبقة الوسطى . ولكن بعد انحسار الحركة القومية في اعقاب نكسة حزيران ١٩٦٧ . اتجهت الانظمة

(٩) محمد حسنين هيكل ، سنوات الغليان ، ص ٩٢ .

(١٠) صلاح العقاد ، معالم التغيير في الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٧٢ ؛ محمد جواد رضا ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

الخليجية الى اقامة الدولة البيروقراطية التسلطية ، ساعدتها في ذلك ظروف الانتعاش والرواج المالي والنقدي بفعل زيادة عوائد النفط . هذا فضلا عن اتجاه هذه الانظمة في الانشطة الاقتصادية والاجتماعية ، ومشروعات البنية الاساسية ، وتقديم الخدمات المدعمة أو المجانية ، مما ادى بدوره الى ازدياد نفوذ الدولة البيروقراطية ــ التسلطية ، وانحسار حركات المعارضة[11] .

لكن ذلك لا يعني اختفاء المعارضة كليا ، فقد نشطت معارضة التيارات الاسلامية . ويشير ايكنز الى ذلك بقوله « الحياة السياسية ظلت مسيطر عليها من الاسماء التقليدية نفسها ، وهي لم تستطع أن توحي بأي درجة من الثقة . الملوك والامراء ظلوا مختفين وراء اسوار قصورهم ، دولار النفط من فورة الاسعار في السبعينيات واوائل الثمانينيات ، قد ترك ثروة هائلة في ايدي قلة من الحكام . ولكنه لم يفعل إلا القليل في مجالات التنمية الحقيقية، وعلى مستوى الجماهير ، ظل الاغتراب عن الحكومات ، والابتعاد عنها يحس بشكل متعاظم في كل مكان . والحركات الاسلامية (الاصولية) كانت مهيئة لاستثمار الغضب المتفشي بين هذه الجماهير »[12] .

هذه لمحة سريعة عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في منطقة الخليج العربي ، ومدى تأثير النفط في تغيير الكثير في بنية المجتمع ، وتفكيره ، وفي طبيعة نظام الحكم . هذا التأثير الذي امتد ليترك بصماته على التيارات والتنظيمات السياسية في المنطقة تلك التيارات التي اسهمت جملة من العوامل في ظهورها وتبلورها .

---

(١١) احمد ثابت ، من يحمي عروش الخليج ، النفط والتبعية ، الجيزة ، ١٩٩١ ، ص ٨١ ؛ خلدون النقيب ، المجتمع والدولة في الخليج العربي من منظور مختلف ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ١٦ .

(١٢) محمد جواد رضا ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

ولعل من أهم هذه العوامل ، تأثير المشرق العربي ، وبرز ذلك بوضوح من خلال الزيارات التي قام بها عدد من المفكرين والمصلحين العرب ، امثال الثعالبي والشنقيطي وحافظ وهبة وغيرهم ، واطلاع ابناء الخليج على ما تكتبه الصحافة المصرية والعراقية ، وتأثرهم بالتجارب الوطنية والقومية في الاقطار العربية • الى جانب انتشار الاندية الثقافية في الخليج العربي ، وتأسيس العديد من الصحف والمجلات ، التي بلغ عددها خلال المدة ١٩٣٧ ـ ١٩٧١ مائة وتسع وعشرين صحيفة(١٣) •

فضلا عن انتشار التعليم ، وازدياد عدد الطلبة ، والمدارس والمدرسين لاسيما بعد ظهور النفط ، وكان اغلب المدرسين في المرحلة الاولى من الاقطار العربية ، ولاسيما الفلسطينيين ، الذين نقلوا معهم افكارهم وتجاربهم التي تركت اثرا واضحا في صفوف الطلبة ، الى جانب البعثات العلمية التي كانت ترسلها اقطار الخليج العربي الى الاقطار العربية والدول الاوربية ، فعاد هؤلاء الطلبة يحملون افكارا جديدة ، محاولين تطبيق ما شاهدوه في تلك البلدان في منطقتهم •

إن هذه العوامل ، أسهمت في ظهور عدة تيارات سياسية في المنطقة ، وان هذه التيارات لا تختلف عن تلك التيارات الموجود في الوطن العربي ، بل أن اغلبها امتداد لها •

ومن اهم واوسع هذه التيارات ، هو التيار الاصلاحي •

اولا : التيار الاصلاحي :

كانت الفئات المتنفذة في المجتمع الخليجي ، قبل ظهور النفط ، ممثلة

(١٣) للتفاصيل عن الصحف ينظر : مفيد كاصد الزيدي : التيارات الفكرية في الخليج العربي ١٩٣٨ـ١٩٧١ ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٩٨ ، غير منشورة .

بعلماء الدين ، والمتنفذين من رؤساء القبائل ، وكبار التجار . وهذه الفئات بمجملها لا تدعو الى تغيير جذري في السلطة ، وانما هدفها كان يقتصر على المشاركة السياسية مع الاسر الحاكمة ، ضمن مجالس الشورى ، او المجالس التشريعية . وبرز دور هذه الفئات في البحرين والكويت ، لكونهما اكثر استقرارا وتقدما من الاقطار الخليجية الاخرى .

وكان اول مظهر من مظاهر التململ في البحرين عام ١٩١٤ ، متمثلا بمعارضة علماء الدين ، والمتنفذين من رؤوساء القبائل ، والتجار للسلطة البريطانية في انشاء مجلس تنفيذي يرعى تطبيق القوانين المدنية والجنائية السارية في الهند ، واستندت هذه الفئات في رفضها للقوانين الجديدة على منافاتها للشريعة الاسلامية . فطلبوا من الشيخ عيسى بن علي (١٨٧١-١٩٢٣) أن ينشأ مجلساً يضم ذوي الرأي منهم ، يخول اليه حق انتخاب القضاة الشرعيين ، ورؤساء الدوائر ، كما طالبوا باتخاذ الوسائل اللازمة لحفظ حقوق سكان البحرين . وأجابهم الشيخ عيسى على مطالبهم ، لكن الامور لم تكن كما اراد الشيخ عيسى وشعبه ، فأحاطت الدسائس بمشروع المجلس ، مما ادى الى ايقاف المشروع(١٤) .

وظهرت الدعوة الى تقييد سلطة الحاكم في الكويت ، والمساهمة في عملية اتخاذ القرار ، وتطوير نظام الشورى على اساس البرلمان فتأسس في عام ١٩٢١ ، المجلس الاستشاري او (الحركة الاصلاحية الاولى) وقد ضمت (٢١) عضواً ، قدموا (وثيقة الاصلاح) الى الحاكم الشيخ احمد الجابر الصباح (١٩٢١-١٩٥٠) تضمنت ما يأتي(١٥) :

---

(١٤) النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، القاهرة ١٣٤٢هـ صص ٢٥٠-٢٥٢ ؛ ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(١٥) طيبة خلف عبدالله ، التطور التاريخي للمجالس التشريعية في الكويت ١٩٢١-١٩٧٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، ١٩٨٦ ، ص ٥٥ .

ـ أصلاح نظام حكم أسرة آل الصباح .

ـ تعيين حاكم متفق عليه دون خلاف بين الاطراف .

ـ تعيين رئيس لمجلس الشورى .

ـ ينتخب آل الصباح والاهالي عدداً معلوماً من الاشخاص لادارة شؤون البلاد بالعدل والانصاف .

وأثر ذلك ، تقرير تأسيس مجلس للشورى في نيسان ١٩٢١ ، وانتخب أحمد الصقر احد كبار التجار رئيساً له ، إلا ان المجلس ظل عاجزاً عن المساهمة في الحياة السياسية .

وتزامن مع هذه الحركة ، حركة اخرى مشابهة في البحرين ، فعقد مؤتمر وطني في المحرق في السادس والعشرين من أيار ١٩٢٣ ، بزعامة اثنتي عشرة شخصية وطنية منتخبة ، واصدروا وثيقة اطلق عليها (لائحة الاصلاح) أكدت ضرورة ان تجري الاحكام على الشرع الاسلامي ، وعلى القانون المرضي ، وانتخاب مجلس شورى من عموم السكان ، وتشكيل محكمة من اربعة قضاة للنظر في شؤون الغوص (١٦) .

اما التجربة الاصلاحية الثانية ، فقد ظهرت في منتصف الثلاثينيات نتيجة متغيرات عديدة ، أهمها قيام الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، وسياسة الملك غازي (١٩٣٣ـ١٩٣٩) القومية ، ودعواته من اذاعة قصر الزهور ، وظهور النفط ، وبروز الطبقة العاملة قوة فاعلة ، حيث اضرب عمال النفط في البحرين عام ١٩٣٨ ، وهو اول اضراب عمالي في الخليج العربي .

إن هذه المتغيرات ادت الى ظهور حركة وطنية إصلاحية في دبي عام ١٩٣٨ تدعو الى قيام مجلس تشريعي يسهم في ادارة الدولة ، وفي السنة نفسها

---

(١٦) عبدالرحمن الزياني ، ملخص تاريخي عن قبيلة الزيانية وترجمة لحياة الشيخ عبدالوهاب الزياني ، مخطوط ، ص٦ ؛ ينظر نص اللائحة ، ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

قامت حركة مشابهة في الكويت ، تأثر بها البحرينيون تأثيرا واضحا ، ورفعوا مطالب مشابهة لمطالب تلك الحركة[17] .

ففي الكويت ، قام الوطنيون عام ١٩٣٧ بتشكيل جمعية سرية من (١٢) عضوا ، وجدت في الصحافة العراقية منبرا لنشر دعوتها ، الرامية الى انشاء مجلس تشريعي ، واقامة وحدة بين العراق والكويت ، وظلت الجمعية تعمل في السر حتى تأكدت من قوتها ، فكشفت عن نفسها ، وارسلت الى حاكم الكويت في عام ١٩٣٨ تطلب منه تشكيل مجلس تشريعي من الوطنيين يتولى الاشراف على الحكم . وبعد الموافقة على المطالب ، جرت الانتخابات ، خاضها الوطنيون تحت اسم (الكتلة الوطنية) وحصلوا على أغلبية الاصوات ، وكان اول عمل للمجلس التشريعي هو وضع قانون اساسي للبلاد ، يعد اول وثيقة من نوعها في الكويت .

ومن اهم مبادئها[18] :

- الامة مصدر السلطات ممثلة في هيئة نوابها المنتخبين .
- يشرّع المجلس كافة القوانين في البلاد .
- المجلس التشريعي ، هو الجهة التي تصادق على المعاهدات الخارجية ، واعطاء الامتيازات الداخلية .
- يُمثل المجلس محكمة استئناف عليا الى حين تشكيل مثل هذه المحكمة .

---

(١٧) محمد غانم الرميحي « حركة ١٩٣٨ في الكويت والبحرين ودبي » ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، السنة (١) العدد (٤) تشرين الاول ١٩٧٥ ؛ محمد جابر الانصاري ، « تاريخ الحركة الديمقراطية الاولى في الخليج العربي البحرين والكويت فترة ما بين الحربين ١٩١٤-١٩٤٠ » ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٥ ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٧٣-٧٨ .

(١٨) خالد سليمان العدساني ، نصف عام للحكم النيابي في الكويت ، بيروت ١٩٤٧ ، ص‌ص ٧-٨ ؛ جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، دراسة عن تاريخ الامارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٦٤ .

لكن هذا المجلس تم حله في عام ١٩٣٩ عن طريق استخدام العنف مع رجال الحركة الوطنية ، بمساعدة السعودية التي تخوفت من التجربة .

وفي الوقت نفسه ، ظهرت في البحرين حركة مشابهة ، وتقدم قادة الحركة بجملة مطالب ، اهمها ، تشكيل مجلس تشريعي ، وجعل القضاء بيد مواطنين بحرينيين وعدم اقتصاره على العائلة الحاكمة ، وتشكيل مجلس لادارة شؤون التعليم ، واصلاح الجهاز الاداري ، وابعاد الشرطة الاجانب واحلال عراقيين بدلا عنهم[١٩] .

لكن الحركة لم تحقق اهدافها ، لنجاح السلطة في اختراقها ، واثارة النزاعات الطائفية ، التي كانت سلاحا خطيرا تستخدمه السلطة وقت الحاجة اليه .

وبصورة عامة أدت الحركات الاصلاحية في الكويت والبحرين ودبي للمرة الاولى الى تنامي المطالب الشعبية ، ودور النخب الاجتماعية في اثارة الوعي الوطني ، والدعوة الى اصلاح الاوضاع السائدة ، والحد من نفوذ الشيوخ ، وسلطة الاسر الحاكمة ، ومحاولة تقليص دور بريطانيا للتدخل في شؤون المنطقة .

واثبتت هذه الحركات مدى تأثرها بالتيار الاصلاحي في الوطن العربي وشعور النخب الاجتماعية بضرورة الاصلاح والتغيير عبر دعواتها التي قدمتها للسلطة الحاكمة . وحملت هذت النخب الوعي الوطني والقومي والتوجه الاصلاحي . وشكلت نواة الحركة الوطنية التى تسعى الى التحرر والاصلاح والاستقلال ، والوحدة ، والديمقراطية ، والشورى ، والمشاركة الشعبية في الحكم .

ولكنها افتقدت من جانب آخر للنضج السياسي والبرنامج الاصلاحي المتكامل ، وضعف الروابط بينها وبين القاعدة الشعبية والتعبير بشكل حقيقي عن تطلعات وهموم المجتمع .

---

(١٩) صحيفة الميزان ، بغداد ، العدد ٤٠٣ ، تاريخ ١٩٣٨/١٢/٢٧ .

وتشكلت الهيئة التنفيذية العليا في عام ١٩٥٤ في البحرين ، بعد ان ادرك قادة الحركة الوطنية ، خطورة الصراع الطائفي ، واستفادة السلطة ومن ورائها بريطانيا من هذا الصراع ، فتآلفت الطائفتان ، ووحدتا جهودهما لتحقيق الاهداف التي يطمح الشعب لتحقيقها . وقد مارست الهيئة نشاطا كبيرا وواسعا ، وضمت مختلف الشرائح الاجتماعية ، وقد حددت مطالبها ، بتشكيل مجلس تشريعي ، ووضع قانون عام للبلاد جنائي ومدني ، والسماح بتأليف نقابات للعمال ، وتأسيس محكمة عليا للنقض والابرام . الا ان هذه الهيئة لم تنجح في ممارسة نشاطها اكثر من سنتين للاختلاف بين قيادتها الممثلة للطبقة البرجوازية ، والتي لا تتجاوز في مطالبها تحقيق الاصلاحات ، والدعوة الى مشاركة نظام الحكم في السلطة ، حتى أن زعيمها عبدالرحمن الباكر كان يردد دائما « انني اكفر بالمظاهرات والاضرابات » وقاعدة الهيئة التي كانت اكثر جدية وجذرية في مطالبها ، وشكلت جبهة اسمتها (الجبهة الوطنية) واجبرت قيادتها الهيئة على سلك اسلوب العنف الثوري في بعض الاحيان . لكن عمر الهيئة لم يدم طويلا ، فتم حلها ونفي زعيمها عبدالرحمن الباكر الى جزيرة سانت هيلانة[٢٠] .

وظل دعاة الفكر الاصلاحي ، يدعون ويحاولون المشاركة في السلطة من خلال الدعوة الى المجلس التشريعي ، وبرز دورهم بعد حصول الاقطار الخليجية على استقلالها . فبعد حصول الكويت على استقلالها ، تأسس المجلس التأسيسي في ١٩٦٢/١/٢٠ الذي ضم (٢٠) عضوا منتخبا عن طريق التصويت المباشر و(١١) وزيرا بهدف وضع دستور للبلاد ، وقد تمت الموافقة على الدستور في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٦٢ واثر ذلك جرت اول انتخابات تشريعية في التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٣ لتشكيل

---

(٢٠) للتفاصيل ينظر : عبدالرحمن الباكر ، من البحرين الى المنفى سانت هيلانة بيروت ١٩٦٧ ؛ جريدة القافلة ، البحرين ، ٤٤ بتاريخ ١٩٥٤/١٠/٢٩ ؛ ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق .

مجلس الامة الكويتي ، الذي استغرقت دورته الاولى اربع سنوات حيث حل في الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٧ . وانتخب المجلس الثاني للمدة من كانون الثاني ١٩٦٧ لغاية كانون الثاني ١٩٧١ ، والمجلس الثالث من كانون الثاني ١٩٧١ لغاية الثامن من كانون الثاني ١٩٧٥ ، اما المجلس الرابع فقد انتخب في الحادي عشر من شباط ١٩٧٥ ، وحل في آب ١٩٧٦ . إلا ان هذا المجلس بدوراته الاربع لم يحقق الاهداف الحقيقية للشعب . إذ ان مقدرات البلاد بقيت بيد السلطة الحاكمة ، ولم تتهيأ الفرصة المناسبة لممارسة عملية الاصلاح الحقيقية في ظل الدستور المعطل بين عامي (١٩٦٣-١٩٧٦) و (١٩٧٧-١٩٨٧)[٢١] .

كما ان القوى الاجتماعية والسياسية في مجلس الامة الكويتي ، كانت اغلبيتها من البدو ، يليهم رجال الاعمال ، اما السياسيون الوطنيون ، فكانت اعلى نسبة سبعة اعضاء في الدورة الاولى من اصل خمسين عضوا ، كما يوضح الجدول الآتي ، الذي ورد في رسالة الدكتوراه التي اعدها مفيد كاصد[٢٢] .

الدورة	رجال اعمال	بدو	سياسيون وطنيون	مستقلون	شيعة	المجموع الكلي
١٩٦٣	١٢	٩	٧	١٧	٥	٥٠
١٩٦٧	٨	٢٠	٢	١٢	٨	
١٩٧١	٧	٢٠	٥	١١	٧	
١٩٧٥	٦	٢١	٥	٨	١٠	
	٣٣	٧٠	١٩	٣٨	٣٠	

---

(٢١) طيبة خلف ، المصدر السابق ، ص‌ص ٨٣-٨٧ و٩٠-١٢٦ ؛ ادارة الوثائق بوكالة الانباء الكويتية ، المجموعة السابعة ، مسيرة الديمقراطية في الكويت ، الكويت ١٩٨٥ ، ص٧ ؛ احمد البغدادي ، الجذور الدستورية لمسيرة الديمقراطية في الكويت ، مجلة الباحث ، ع٦٤ ، بيروت ١٩٩٣ ، ص‌ص ٢٨-٣٠ .

(٢٢) مفيد كاصد ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

ويلاحظ ان هناك تحولا في الانتخابات التي جرت في عامي ١٩٩٢و١٩٩٦ حيث لم يبرز رجال الاعمال والبدو ، بل دخلوا ضمن قائمة المستقلين ، وتراجع قوى المعارضة لاسيما الليبرالية ، لصالح الاسلاميين • ويوضح الجدول الاتي نتائج انتخابات ١٩٩٦[٢٣] •

التوجـــه	المنتمون	المؤيدون
الحركة الدستورية الاسلامية (الاخوان المسلمون)	٢	٣
التجمع الشعبي الاسلامي (التيار السني)	٤	٥
الائتلاف الاسلامي الوطني (الشيعة)	٣	٢
الليبراليون (المنبر الديمقراطي)	٢	—
التجمع الدستوري	٣	—
المستقلون	٢٦	—
المجمـــوع	٤٠	١٠

وعلى الرغم من موقف السلطة من المجلس وطبيعة الانتخابات ، فقد ظهرت عدة تيارات سياسية اصلاحية داخل المجلس ، عبرت عن رأيها بصراحة ، وقدمت برامجها • ومن ابرز هذه التيارات ، حركة التقدميين الديمقراطيين (جماعة) الطليعة ، وكتلة التجمع الوطني ، فعلى الرغم من انها تضم عددا من الشخصيات السياسية والوطنية ، الذين يمثلون الاتجاه الناصري برئاسة جاسم القطامي ، فانها تبنت الطابع الاصلاحي ، فأكدت في منهاج عملها ضمن مجال الحكم (تؤكد على ان الديمقراطية هي اصلح نظام حكم يكفل حرية الشعب بجميع فئاته وطبقاته الاجتماعية ، ويتيح للجميع فرصة ممارسة حقوقهم وتحمل واجباتهم) وتجمع الاحرار الديمقراطيين ، الذي يمثل مجموعة من الافراد ، تعاهدوا ان يعملوا باخلاص لمحاربة الفساد السياسي والاجتماعي ،

(٢٣) عبدالكريم حمودي ، « انتخابات مجلس الامة الكويتي ، هيمنة الحكوميين وفوز الاسلاميين وتراجع العلمانيين » ، مجلة قضايا دولية ، اسلام اباد، ع ٣٥٥ ، السنة ٧ ، ٢١/١٠/١٩٩٦ •

ووضع قواعد راسخة في معالجة قضايا الشعب على اساس من الموضوعية والحوار العلمي . وقد اعطى هذا التجمع اهتماما بالثروة النفطية والحفاظ عليها ، وطالب بتأميمها والحد من الانتاج . ودعا الى تكريس مبدأ سيادة القانون على كافة المواطنين ، ونبذ التمييز الطبقي والقبلي والعائلي(٢٤) .

وفي بداية السبعينات ظهرت تجمعات سياسية جديدة في مجلس الامة ، تمثلت بالتجمع الشعبي ، وهو تحالف يتكون من الاقليات القبلية ، والفئات الصغيرة في منطقة البدو ، ويدخل في هذا التجمع القوى السياسية التقليدية والامتدادات البدوية وسط المنطقة الحضرية ، فضلا عن بعض العوائل الكويتية التقليدية . وقد دعا في برنامجه السياسي على معالجة غياب العمل السياسي المنظم بسبب العائلية والطائفية والقبلية ، واكد على اتخاذ موقف واضح ضد الشركات الاحتكارية ، وايجاد موارد اخرى غير النفط ، ودعم تجربة القطاع المشترك والقطاع التعاوني .وتجمع الشباب الوطني الدستوري، الذي يضم مجموعة من المحامين والمثقفين ويدعو الى الحفاظ على الدستور ، وعلى الحياة الديمقراطية ، والحريات العامة ، وتعزيز الفصل بين السلطات الثلاث ، كما دعا الى توجيه رأس المال الوطني نحو اقامة صناعات وطنية ، فضلا عن مطالبته بتأميم النفط وتخفيض الانتاج . وهناك تجمع آخر ، هو تجمع نواب الشعب ضم عددا من رجال الاعمال والتجار الذين رفعوا شعار (الكويت للكويتيين) ، ودعا التجمع الى تعليم اوسع وافضل ، وعناية صحية ممتازة ، ودعا لتكون الكويت قوية لحماية نفسها بالذات والدفاع عن حدودها واراضيها ، كما اكد على انتزاع السيطرة الكاملة على الثروة النفطية .

أما في البحرين ، فبعد استقلالها عام ١٩٧١ ، جرت انتخابات للمجلس الوطني البحريني عام ١٩٧٣ ، الا ان هذا المجلس تم حله في آب عام ١٩٧٥ ،

---

(٢٤) القيادة القومية ، المكتب الثقافي ، التنظيمات والتيارات السياسية والاجتماعية في الكويت ، غير منشور ، طيبة خلف ، المصدر السابق .

وكانت الاسباب الموجبة لوقف التجربتين الكويتية والبحرينية متشابهة ، ففي تصريح لرئيس وزراء البحرين بشأن الموضوع قال « الديمقراطية التي نريدها لدولنا هي النابعة من تقاليدنا وعاداتنا ، والخطأ الذي واجهته ديمقراطية البحرين انها كانت ديمقراطية مستوردة ، ولم تكن ديمقراطية معايشة لاوضاعنا ، ويجب ان تكون الديمقراطية من تقاليد هذه الشعوب وسلوكها ومن صميم المجتمع نفسه . لقد وجدنا ان ديمقراطية الغرب غير صالحة لنا » .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، اي نوع من الديمقراطية يمكن ان يتناسب مع معطيات الخليج الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية ؟ ان مثل هذا السؤال لم يجب عنه بصراحة لا في الكويت ولا البحرين . ولكن الحقيقة ان السعودية وقفت ضد التجربتين خوفا من مطالبة السعوديين . وعملت بكل جهد لانهاء هاتين التجربتين ونجحت في ذلك .

وبصورة عامة فان الاصلاحيين فشلوا في تحقيق اهدافهم ، وهي المشاركة الواسعة في السلطة ، وتقييد سلطات الاسر الحاكمة عن طريق البرلمان . فالتجربتين الوحيدتين في الكويت والبحرين اجهضتا ، وقد عبر رئيس تحرير جريدة الفجر القطرية عن ذلك بقوله « جاء القرار الاميري الكويتي صاعقة على رؤوس انصار الديمقراطية في منطقة الخليج العربي كلها » .

وهكذا فان غياب الديمقراطية في مجتمعات تمالك وتسيطر على المحركات الاقتصادية في المجتمع (الدولة وبالتالي السلطة) تجعل منها في النهاية احتكارا لقلة ، تنحصر المشاركة فيها ، ويبقى معظم الشعب في اغتراب ، بعيدا عن مركز اتخاذ القرار فتتفاقم المشكلات الاجتماعية وبالتالي السياسية .

---

(٢٥) المصدر نفسه .

ويبقى التيار الاصلاحي ، اكثر التيارات انتشارا في منطقة الخليج العربي ، واكثرها تقبلا من السلطات الحاكمة ، كونه لا يشكل خطرا حقيقيا عليها ، فضلا عن الرفاه الاقتصادي الكبير ، الذي ساعد على نمو واتساع هذا التيار ، فحتى العناصر الوطنية التي كانت لها مواقف مشهودة ضد السلطة في الخمسينيات والستينيات ، احتوتها السلطة بمنحها مناصب سياسية، او امتيازات اقتصادية ، جعلتها تتراجع عما كانت تطالب به •

وساعد على نمو واتساع هذا التيار ، فشل التيارات الاخرى ، القومي ، والماركسي ، والاسلامي ، نتيجة لظروف داخلية محلية ، وضغط خارجي ممثلا بموقف القوى الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية •

وفي الاونة الاخيرة ، وبعد التقدم التقني ، والغزو الثقافي والاعلامي الغربي ، التي قدمت لانسان الخليج العربي ، صورة الفردوس المفقود ، الذي يجده في الغرب ، والثقافة الغربية ، يمكن القول ان الثقافة الجديدة ، والجيل الجديد في الخليج العربي مشبع بالثقافة الاميركية ، التي تقبلها ابن الخليج العربي ، اما قناعة او انبهارا بها ، فهي تبعده عن الهزات التي قد تسببها له التيارات الاخرى ، وتوفر له ما يصبو اليه نتيجة إتكاليته ورفاهه الاقتصادي •

ثانيا ـ التيار القومي :

أسهمت جملة من العوامل في بروز وانتشار هذا التيار في الخليج العربي، منها انتشار التعليم الحديث ، وظهور الاندية والجمعيات الثقافية ، ودور الصحافة العربية والمحلية ، وتأثير المفكرين العرب والجاليات العربية بعد اكتشاف النفط ، وظهور النخب الاجتماعية ، واتصال الشباب بالجمعيات العربية السرية التي أرسلت المنشورات والبيانات عن القومية العربية ، وسبل مناهضة الاستعمار وتحقيق التحرر والاستقلال ، وحث الشباب على مواجهة

السياسة البريطانية والمشاركة في الاحداث العربية الوطنية .[٢٦]

ويأتي في مقدمة هذه العوامل ، أثر الجوار للعراق على هـذه الاقطار ، لاسيما في حقبة حكم الملك غازي (١٩٣٣ ــ ١٩٣٩) الذي كان يعد أنموذجا لاقطار الخليج العربي في مقاومـة الاستعمار البريطاني ، من خـلال ما قدمته اذاعة الزهور ، والصحافة العراقية في تلك الحقبة ، التي نشـرت سلسلة من المقالات التي كشفت طبيعـة الحكـم في الخليـج العربي ، واثـر السياسة البريطانية فيه .

وبعد ظهور الحركات الاصلاحية في الكويت والبحرين ودبي ، كـــان العراق ملجأ لقادة هذه الحركات ، كما ان الصحافة العراقية نشرت مطالـب هذه الحركات وساندتها . وأثمرت هذه التوجهات في اثارة المشاعر القوميـة في نفوس الشباب الكويتي ، حيث قدم في الحادي عشر من ايار ١٩٣٨ ممـن اطلقوا على انفسهم (احرار الكويت) وهم الكويتيون المقيمون في البصـرة مضبطة اشترك في التوقيع عليها وجهاء واعيان الكويت ، وجهت الى الحكومة العراقية اعلنوا فيها رغبتهم في الحاق الكويت بالمملكة العراقية[٢٧] كما ظهرت عدة جمعيات في البصرة ذات اتجاه قومي ضمت شبابا من الكويت ، وبعض القوميين من سوريا والعراق والبحرين وعمان . ومن اهمها (جمعية اتحـاد عرب الخليج) و (جمعية الدفاع عن امارات الخليج العربي)[٢٨] .

---

(٢٦) احمد السقاف ، تطور الوعي القومي في الكويت ، الكويـت ١٩٨٣ ، ص ١٤ــ١٦ ؛ باقر النجار ، المجتمع المدني في الخليج والجزيرة العربيـة ، ضمن بحوث الندوة الفكرية للمجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية ، مركـز دراســات الوحـدة ، بـيروت ١٩٩٢ ، ص ص ٥٦٦ــ٥٦٧ .

(٢٧) مصطفى عبدالقادر النجار ، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدوليـة بالخليج العربي ، البصرة ، ص ٢٥٩ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ــ٢٥٦ ؛ جريدة الزمان (البغدادية) ١٩٣٩/٢/١٩ .

أما العوامل الاخرى فتتمثل بالقضية الفلسطينية التي مثلت محور هموم العرب واصبحت القضية المركزية لنضالهم ، وكان لثورة ١٩٣٦ الفلسطينية اثر هام في الخليج العربي ، الى جانب حرب ١٩٤٨ ، التي ادت الى توافد الاف الفلسطينيين الى المنطقة ، الذين عملوا في شتى المجالات ، ومارسوا العمل السياسي ، والنشاط الفكري ، وشاركوا في انشاء التنظيمات السياسية ، ونقلوا تجاربهم الفكرية الى المثقفين والشباب والمتعاملين ، فضلا عن تصاعد المد القومي العربي بعد ثورة ٢٣ يوليو/تموز ١٩٥٢ ، والثورة الجزائرية ، والعدوان الثلاثي ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، ونمو الناصرية حركة وفكرة على الصعيد العربي[٢٩] .

ان هذه العوامل اسهمت في بروز التيار القومي ، الذي تمثل بحزب البعث العربي الاشتراكي ، وحركة القوميين العرب ، والناصرية . وقد سبقت هذه التنظيمات ، ورافقتها تنظيمات قومية بلغ عددها ثلاثين تنظيما وجبهة[٣٠] بعضها كانت واجهة لهذه المنظمات ، وبعضها انطلقت من منطلق قومي .

فقد تشكلت في الكويت في عام ١٩٣٠ (جمعية الشبيبة) بدعم من العراق ونادت بالاتحاد معه ، وقد منعت السلطات البريطانية نشاط اعضاء الجمعية ، فانتقلوا الى البصرة ، واسسوا مكتبا للدعاية ، ورحبت الحكومة العراقية بهذه الخطوة ، على الرغم من انها لم تمنح الجمعية تصريحا رسميا بالعمل . تجنبا لمعارضة بريطانيا . وكذلك ظهرت خلال الثلاثينيات (لجنة التحرير القومي) دعت الكويتيين الى التجنس بالجنسية العراقية ، لترجمة الدعوة الوحدوية الى واقع حيوي ، وفي العام نفسه ظهرت (الجمعية الوطنية السرية) جاء في المادة الاولى لميثاقها (الكويت جزء لا يتجزأ من الوحدة العربية)[٣١] .

---

(٢٩) مفيد كاصد ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ملحق رقم (٥) .
(٣١) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

وظهرت في الخمسينيات في البحرين جمعيات (الثوريون العرب) و (الشباب الناصري) و (اللجنة الوطنية) و (جماعة الكف الاحمر) . اما في السعودية فابرز الجمعيات التي كانت تمثل واجهات قومية فهي (اتحاد شعب الجزيرة العربية) وتمثل الاتجاه الناصري ، وابرز عناصره ناصر السعيد الذي مارس نشاطه في اواخر الستينيات واوائل السبعينيات في جبل شمر ، (والجبهة القومية الديمقراطية) التي تأسست سنة ١٩٦٩ ، وتمثل عناصر بعثية وناصرية ، نشاطها في الخارج ، ولها انصار في الداخل ، والطليعة الطلابية الثورية ، التي تمثل واجهة لحزب البعث(٣٢) .

ان هذه الجمعيات والجبهات ، كانت تعبر عن افكار وطموحات التنظيمات الثلاثة ، ويأتي في مقدمتها حزب البعث العربي الاشتراكي الذي انتشرت افكاره عن طريق الوافدين العرب الذين قدموا بعد اكتشاف النفط ، والطلاب الدارسين في الجامعات العربية لاسيما العراق ودمشق ولبنان ، الذين شكلوا بعد عودتهم الى بلادهم الى جانب الاعضاء الاخرين نواة تنظيم الحزب في البحرين والكويت والسعودية .

ففي البحرين ظهرت تنظيمات الحزب في عام ١٩٥٧ ، وظل تنظيما محدودا انحصر في اطار نخبة من قادة العمل القومي ، ومما ساعد على ذلك حظر السلطة للعمل الحزبي والسياسي . اما في الكويت ، فقد ظهر التنظيم في عام ١٩٥٨ وانتشر في صفوف الطلاب والعمال والموظفين ، واصبحت له نشاطاته في صفوف الشباب في الاندية الرياضية والثقافية . وتصاعد نشاط الحزب بعد اعلان الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ ، كون الحزب احدى دعائمها حيث وزع البعثيون منشورات في الداخل تعلن التأييد والمساندة للوحدة وشاركوا في المظاهرات الطلابية التي خرجت مؤيدة لها ، وابدوا رغبتهم في انضمام الكويت اليها ، الا ان نشاطهم بدأ يتضاءل بعد ان شددت السلطة

(٣٢) عدنان العطار ، الحركات التحررية في الحجاز ونجد ١٩٠١–١٩٧٣ ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٦٢ .

على قادة واعضاء العمل الحزبي والنشاط السياسي ، وظل بعض اعضائه يمارسون عملهم في نطاق محدود وبصورة سرية ، وبذلك كان تأثيره غير فعال في العمل الفكري والسياسي ، ويعود ضعف التنظيم ايضا الى هيمنة حركة القوميين العرب على الساحة السياسية والعمل القومي ، ولاسيما في اروقة مجالس المعارف والبلدية والامة على حساب القوى القومية الاخرى(٣٣) .

أما في السعودية ، فقد مر الحزب بمرحلتين في اطار نشأته وتكوينه ، تمثلت المرحلة الاولى بالالتزام الفكري دون العمل التنظيمي ، واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية الخمسينيات ، حيث بدأت المرحلة الثانية في الالتزام الفكري والتنظيمي معا ، واسهم البعثيون في النشاط الوطني والقومي على الساحة السياسية . وتركز نشاط الحزب في منطقتي الحجاز ونجد ، على يد ابراهيم طقيقة ، وعلي بن محمد الربيع ، والاستاذ علي غنام ، واسس الطلاب البعثيون، وبعض القوى الوطنية الاخرى في عام ١٩٦٢ منظمة الطليعة الطلابية الثورية ، واصدروا منشورها الاول في تشرين الاول الذي وزع في مدن الرياض والدمام والقصيم ، واستمر نشاطهم حتى عام ١٩٦٤ ، عندما القت السلطة القبض عليهم ، وبدأ تنظيم الحزب في نجد يواجه مصاعب عدة بعد ردة تشرين ١٩٦٣ في العراق ، واحداث الثالث والعشرين من شباط ١٩٦٦ في سوريا ، مما اضعف نشاطه الى حد كبير(٣٤) .

وبصورة عامة ، فان نشاط الحزب في السعودية ، واجه مشكلات من ابرزها حظر النشاط السياسي والحزبي في البلاد ، مما دفع بقادته الى نقل نشاطهم الى الخارج لذلك ضعفت الروابط بينهم وبين التنظيم في الداخل ، فضلا عن عدم انتشاره على الصعيد الجماهيري ، وبقيت افكاره شبه غائبة عن السكان .

---

(٣٣) صلاح العقاد ، للاستقرار والعوامل المضادة في الكويت ، مجلة السياسة الدولية س (١٢)ع (٤٣) القاهرة ، كانون الثاني ١٩٧٦ ، ص ١٥٠ .

(٣٤) علي غنام ، نبذة عن نشأة الحزب ومساره في الجزيرة العربية ، محاضرة القيت في مدرسة الاعداد الحزبي في بغداد ١٩٨٧/٢/٢٤ .

وعرفت عمان افكار الحزب في نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات ونشأت تنظيمات قومية تأثرت بافكاره ومبادئه من ابرزها (الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي) وتلقى اعضاؤها التدريب والدعم المالي والسياسي من العراق • وظهرت (جبهة التحرير العربية) التي تأسست بمبادرة من القيادة القومية للحزب في كانون الثاني ١٩٦٩ ، تنفيذا لمقررات المؤتمر القومي التاسع لتصعيد العمل القومي في عمان ، والتزمت الكفاح المسلح ، والعمل على تعزيز الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة في النضال القومي ، كما تأسس حزب العمل العربي في بداية ١٩٧٠ ، واكثر اعضائه من الطلاب والعمال والموظفين تأثر بافكار الحزب ، والتزم الخط القومي في بداية تكوينه ، ومارس العمل السري في عمان ، ثم تحول الى الالتزام بالخط الماركسي بعد تحالفه مع الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل(٣٥) •

وبصورة عامة فقد شارك البعثيون في الاحداث القومية عن طريق المسيرات والمظاهرات والمنشورات التي عبروا فيها عن تأييدهم ومساندتهم للقضايا القومية ، وتفاعلوا مع الاحداث والتطورات التي شهدها الوطن العربي •

الا ان الحزب لم يتمكن من بناء قاعدة شعبية واسعة ، وقد عبرت القيادة القومية في المؤتمر القومي الثامن عن ذلك بقولها « لا توجد حتى الان حركة سياسية قادرة على التأثير والضغط على الحكم بشكل من الاشكال فالقوى السياسية محصورة في قلة من الافراد الطليعيين ، لا يتعدى نشاطهم حتى الان اطار التبشير ، وتبني بعض المطالب الاقتصادية والاجتماعية(٣٦) •

(٣٥) عبدالله النفيسي ، تثمين الصراع في ظفار ، ص ٥٦ـ٥٧ ؛ لمحات من نضال البعث ٤٧ـ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ ، ص١٢٢ ؛ ماجد عبدالرضا ، « الثورة في الخليج العربي قضايا وآفاق » ، مجلة الثقافة الجديد ، ع(٥٣) بغداد ، نيسان ١٩٧٢ ، ص٥٠ •

(٣٦) نضال البعث ، المؤتمر القومي الثامن ، نيسان ١٩٦٦ ، ج٩ ص٢ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ١١٧ •

فضلا عن ان التنظيم في الخليج العربي ، لم يدرس الواقع الخليجي ،: والمجتمع الخليجي ، وطبيعة السلطة الحاكمة ، والظروف المحيطة به بشكل دقيق ، بل ان الحزب هناك تأثر باوضاع الحزب في الخارج لاسيما ما تعرض له في سورية عام ١٩٦٦ ، والنتائج المترتبة على ذلك ، وقد ترك ذلك تأثيرا واضحا في انقسام البعثيين في الخليج . كما ان الحزب لم يحاول بناء قاعدة رصينة ، بل اعتمد على الحزب في الخارج ، وعلى المساعدات التي ترده من هناك . والاهم من ذلك ان قيام ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ في العراق ، دفعت الانظمة الخليجية الى محاربته دون هوادة ، مما اضعف نشاطه ، وانتشاره بين صفوف السكان . هذا الى جانب الرفاه الاقتصادي الذي دفع ابناء الخليج الى تبني الافكار الاصلاحية ، والابتعاد عن التنظيمات التي تعمل على التغيير الجذري .

أما فيما يتعلق بحركة القوميين العرب ، فان انتقال افكارهم الى منطقة الخليج العربي ، لايختلف كثيرا عن انتقال افكار حزب البعث ، وقد ساعد على نشر أفكار الحركة وتعاطف السكان معها ، ارتباطها بالناصرية التي لقيت تجاوبا كبيرا منهم ، وغياب التنظيمات السياسية الفاعلة في الكويت ، وارتبطت مصالح النخب الاجتماعية مع خط الحركة العامة ومواقفها من الحكومة وبريطانيا بشكل خاص .(٣٧)

وانحصرت عضوية الحركة في الكويت بالطلاب والمدرسين والعمال ، وكسبت تأييد رجال الاعمال والتجار والمقاولين ودعمهم مع مناداتها بالمشاركة السياسية والحقوق الدستورية والديمقراطية ، وقد م هؤلاء دعما ماليا ومعنويا للحركة حتى مراحلها الاخيرة .(٣٨)

---

(٣٧) محمد الرميحي «الناصرية في الخليج العربي » ، مجلة الثقافة العربية ، س (١) ع (١٢) اكتوبر ١٩٧١ ، ص١٢ .

(٣٨) باسل الكبيسي ، حركة القوميين العرب ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١٠١ .

وقد عبرت الحركة عن افكارها ومبادئها من خلال اقامة المهرجانات والمسيرات في المناسبات القومية ، مثل العدوان الثلاثي ، وثورة ١٤ تموز في العراق ، وقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان من أبرز اعضائها الدكتور أحمد الخطيب .

ومارست الحركة نشاطها من خلال حركة التقدميين الديمقراطيين ، ونادي الاستقلال ، ومجلة الطليعة ، واهم ممارسة لنشاطها كان من خلال المشاركة في انتخابات مجلس الامة (جماعة الطليعة) ، ومن مواقفها المعارضة في المجلس لسياسة الحكومة في قضايا داخلية وخارجية . وأخذت الحركة تفقد مكانتها تدريجيا بعد اخفاقها في انتخابات ١٩٦٧ ، التي تزامنت مع احداث نكسه الخامس من حزيران ١٩٦٧ . وفقدان حليفها عبدالناصر ، وانفصال فرع الكويت من الحركة الام التي تبنت الماركسية اللينية ، حيث لم يستطع فرع الكويت أن يستمر في قيادة حركة القوميين العرب في الخليج العربي بعد تعليق عضويته في (المكتب السياسي والقيادة الاقليمية للخليج العربي) .[٣٩]

وكان نشاط الحركة في البحرين مماثلا لنشاطها في الكويت ، ولكن بصورة اقل ، وقد برزوا على الساحة السياسية في عام ١٩٥٩ ، وفي احداث ١٩٦٥ . والامر كذلك بالنسبة للسعودية ، حيث شكلت الحركة فرعا لها في السعودية وانتمى الى صفوفها عناصر من المثقفين ، وافراد الجيش والعمال في شركات النفط والطلاب ، وشاركت الحركة في الاحداث السياسية المحلية والعربية من خلال الاضطرابات العمالية ، وتنظيم المظاهرات ، وتوزيع المنشورات والبيانات ووقفت الى جانب عبدالناصر ومصر في مواجهة الغرب الاستعماري ، وايدت القضايا العربية لاسيما القضية الفلسطينية[٤٠] .

---

(٣٩) مفيد كاصد ، المصدر السابق ، ص‌ص ٢٠٤ـ٢٠٥ .

(٤٠) « المعارضة السياسية في السعودية » منشورات صوت الطليعة ، ص٥٩ ؛ فؤاد مطر ، حكيم الثورة ، قصة حياة الدكتور جورج حبش ، لندن ١٩٨٤ ، ص ٦٣ .

وتعد تجربة القوميين العرب في عمان ، من انضج التجارب في منطقة الخليج العربي ، حيث شكل فرع لحركة جبهة تحرير ظفار[٤١] ، التي خاضت الكفاح المسلح ، وحققت العديد من الانتصارات ، الا ان نكسة حزيران ، واستقلال الجنوب اليمني وتبنيه الماركسية ــ اللينينية ، وانشقاق حركة القوميين العرب ، بعد انعقاد المؤتمر العام للحركة في بيروت ١٩٦٨ وتبني الماركسية ــ اللينينية اساسا ايديولوجيا لها ، وفصل فرع الكويت الذي يشرف على التنظيم في الخليج ، ترك اثرا واضحا على الحركة في الخليج العربي ، وانحسر نشاطها بشكل بارز •

فقد عقدت فروع حركة القوميين العرب في الخليج العربي مؤتمرا بين (حزيران ــ تموز) ١٩٦٨ اكد تبني الكفاح المسلح ، وادانة مواقف القيادة البرجوازية للحركة المتمثلة بفرع الكويت ، وتعليق عضويته • وقد حللت اللجنة التنفيذية للحركة الاوضاع التي مرت بها فروعها في المشرق العربي في بيانها الصادر في كانون الثاني ١٩٦٩ حيث وجهت انتقادات شديدة لما وصفته بالاستسلام الوطني والطبقي ، الذي اتبعته الحركة في الخليج العربي على امتداد السنوات الماضية نتيجة نمو القيادة البرجوازية التجارية في الكويت ، التي عجزت عن تجذير الحركة في المنطقة ، ولذلك قررت اللجنة التنفيذية ابعاد القيادة بزعامة احمد الخطيب والاعضاء الاخرين معه عن الحركة الام وتنظيمها[٤٢] •

اما فيما يتعلق بالتيار الناصري ، فانه شكل تيارا قوميا عفويا الى حد كبير في الخليج العربي خلال الخمسينيات والستينيات ، وانتشر في صفوف

---

(٤١) عبدالله النفيسي ، تثمين الصراع في ظفار ، ص ٥٣ــ٥٦ ؛ الثورة في ظفار (عرض وتحليل) مكتب فلسطين والكفاح المسلح في القيادة القومية لحزب البعث ، بغداد ، ص ص ١١ــ١٥ •

(٤٢) عبدالله النفيسي ، تثمين الصراع ، ص ٥٤ ؛ بيان اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب حول اوضاع الحركة في ظل الفروع ، كانون الثاني ١٩٦٩

مختلف الفئات الاجتماعية ، لاسيما الوسطى والفقيرة التي وجدت في شخصيته ومبادئه ، المنقذ من هيمنة الغرب ، واستغلال الشركات الاجنبية لذلك اختلطت الناصرية بمشاعر الناس الذين تجاوبوا معها ، لاسيما ان عبدالناصر قدم دعما للقوى الوطنية والقومية في الخليج العربي مما ادى الى تعزيز مكانته ، ولكنهم لم يفهموا الناصرية اتجاها فكريا وسياسيا . وقد عبر ابناء الخليج عن مشاعرهم من خلال المظاهرات والتجمعات ، كما حدث اثناء مرور عبدالناصر بالبحرين في نيسان ١٩٥٥ ، والموقف اثناء العدوان الثلاثي ، والى غير ذلك من المواقف . فضلا عن تأثير اذاعة صوت العرب في منطقة الخليج العربي . ولكن بعد هزيمة حزيران ، واختفاء بريق شخصية عبدالناصر ، انفرط عقد محبيه وانصاره الذين لم يكونوا منظمين في حزب اصلا[٤٣] .

وبصورة عامة ، فان التيار القومي ، لم يستطع في واقع الامر ، ان يحدث تغييرا حقيقيا في البنية الاجتماعية والواقع السياسي ، سواء أكان في تغيير العقلية القبلية ، ام العلاقات التقليدية ، ام في التركيبة السياسية الحاكمة ، التي استطاعت ان تحتوي عددا من قادة هذا التيار ، تنظيما وفكرا .

ولعل سبب ذلك ، ان التنظيمات القومية لم تتمكن من التأثير الكبير في المجتمع الخليجي ، لارتباطها وتأثرها المباشر بالتنظيمات الام ، مما اضعف المستوى التنظيمي والسياسي لها ، وتشتيت جهودها وعدم نجاحها في اقامة الصلات مع القاعدة الشعبية ، فتحولت بعض هذه التنظيمات الى الالتزام بقضايا ثانوية ، لاعتبارات شخصية ، او لاضفاء صفة العمل النخبوي الذي لا يرقى الى حقيقة المبادىء القومية التي تخدم قضايا الامة . وجاءت النكسة لتمثل تراجعا واضحا لها هذا فضلا عن مواقف السلطة ، والقوى الامبريالية التي عملت جهدها لابعاد هذا التيار ، وتحجيم دوره .

---

(٤٣) خلدون حسن النقيب ، المصدر السابق ، ص ١٧٤-١٧٦ ؛ فؤاد اسحق الخوري ، القبيلة والدولة في البحرين ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٣١١-٣١٢ ؛ عبدالرحمن الباكر ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

ثالثا : التيـــار الماركسي :

عرفت منطقة الخليج العربي بعد الحرب العالمية الثانية ، نشوء تنظيمات ماركسية ، اتصفت نشاطاتها بالسرية ، وضيق انتشارها ، وقلة المنتمين اليها ، وعدم تمتعها بدعم شعبي كبير • لعدم تقبل الســكان لافكارها ، وحظــر نشاطاتها من السلطا ت المحلية •

وتعود بدايات ظهور الافكار الشيوعية في البحرين الى عام ١٩٥٤ حيث انتشرت بصورة سرية في صفوف عمال النفط بسبب الاضــطهاد والاستغلال الذي تعرضوا له من الشركات الاجنبية ، اعقب ذلك تأسيس الحزب الشيوعي البحريني في عام ١٩٥٧ ، الذي تأسس بتأثير من حزب توده الايراني ، لذلــك فان قياداته وقواعده ايرانية ، وعلى هذا الاساس ايــد الاطماع الايرانية في البحرين ، واعلن تبعية البحرين لايران ، ورفع الحزب شعار (عاشت الاخوة الايرانية ــ البحرانية) ، وشارك اعضاؤه في الهجمات ضد السكان العرب ، ودعا الى زيادة الهجرة الايرانية الى البحرين والخليج العربي ، وتركيز النضال ضد الوجود البريطاني ، وانسحبت منه العناصر الايرانية تدريجيا ، واقتصــر على عدد من الشباب البحريني ، وتحول نشاطه الى الخارج بشكل كبير ، وقد شارك وفد من الحزب في مؤتمر الاحزاب الشيوعية العربية الذي عقـــد في بيروت في ايار ١٩٦٥(٤٤) •

ومارس الشيوعيون نشاطهم من خلال بعض الاندية ، مثل نادي الفجر ونادي النور ، على الرغم من قلة انصارهما • وبعد نكسة حزيران ، بــرزت عدة تنظيمات ماركسية ، اغلبها كانت ضمن التيار القومي ، تحالفت في عــام

(٤٤) محمد الرميحي ، قضايا التغيير ، ص ٣٥٩ ؛ تطور الحركة الوطنية فــي البحرين ، الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتــل ، ص ١١ ، ٣٣ ؛ الاتحاد الوطني لطلبة الكويت ، ماذا يجري في خليجنا العربــي ، ص ٩٠ــ٩١ •

١٩٧١ ضمن تشكيل عرف بـ (اللجنة التأسيسية لاتحاد عمال ومستخدمي واصحاب المهن الحرة في البحرين)[٤٥] ٠

ولعل من انشط التنظيمات الماركسية في البحرين ، هي جبهة التحرير الوطني البحرانية التي اعلن عن تأسيسها في الخامس عشر من شباط ١٩٥٥ بشكل سري ، وارتبطت في البداية بالعناصر الايرانية المتجنسة بالجنسية البحرينية ، ورفعت الشعارات التي رفعها الحزب الشيوعي ، واعلنت عن برنامجها في عام ١٩٦٢[٤٦] وانشأت فروعا لها في القاهرة ، ودمشق ، وبيروت ، وموسكو ٠ واصدرت بيانات في مختلف المناسبات الوطنية التي شهدتها البحرين[٤٧] ٠ وبصورة عامة فان نشاطها كان في الخارج اكثر منه في الداخل، وان برنامجها لم يستند الى قراءة صحيحة وواقعية للاوضاع القائمة في البحرين ، مما جعل الجبهة تعتمد الجانب النظري في طروحاتها اكثر من محاولة التطبيق العملي ٠

وعرفت الكويت اول حركة ماركسية في الخمسينيات ، شكلها عدد من العرب الوافدين ، وعملت بسرية تامة خوفا من ملاحقة السلطة لها ، واصدرت نشرة اسبوعية ، سميت (راية الشعب الكويتي) في ايلول ١٩٥٤ ، نددت فيها بالامبريالية ، وانتقدت سوء الاوضاع الداخلية ، كما استخدمت عبارات شديدة اللهجة تجاه العمل القومي العربي ٠ ثم عادت واعلنت انها (اللجنة الوطنية لانصار السلام) في نهاية العام نفسه ٠ ولكنها لم تحظ برصيد شعبي كبير وبقيت تنظيما ضيق الاطار[٤٨] ٠

---

(٤٥) « في الوحدة الوطنية البحرانية » منشورات الجبهة الشعبية في البحرين دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ص ١٢–١٣ ٠

(٤٦) للتفاصيل ينظر ، ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ٠

(٤٧) المصدر نفسه ٠

(٤٨) احمد السقاف ، المصدر السابق ، ص ٣٣–٣٤ ؛ محمد الرميحي ، المشاركة السياسية في الكويت ، ص ٤٤ ٠

وتابعت السلطة الكويتية نشاطات العناصر الشيوعية ، كما عارض هذه العناصر اغلب المثقفين الكويتيين ، والصحافة الكويتية ، فضلا عن السكان . وهكذا لم تجد الماركسية تقبلا في الكويت ـ على الرغم من تأسيس حزب شيوعي فيها عام ١٩٧٩ ـ في ظل الظروف الاقتصادية ، والثروة النفطية الهائلة ، وسياسة الحكومة بالرفاه الاجتماعي ، وتغلب الولاء القبلي على الولاء الايديولوجي بشكل عام في المجتمع ، وتمسك السكان بالاسلام وتعاليمه ، فاقتصرت الافكار الماركسية بشكل محدود على قسم من الوافدين العرب ، وبعض العناصر المحلية من العمال(٤٩) .

وتغلغلت الافكار الماركسية في صفوف العمال في منشئات النفط في المنطقة الشرقية من السعودية ، نتيجة استياء العمال من جراء المعاملة السيئة من الشركات الاجنبية ، واخذت تنتشر الكراسات والكتب الشيوعية بين العمال والموظفين السعوديين والعرب العاملين في منشئات النفط ، ويظهر ارتباط الشيوعيين السعوديين بالشيوعية الاممية ، حينما شارك وفد منهم في المؤتمر السري للشيوعيين في (الشرق الاوسط والادنى) الذي عقد في باطوم في جورجيا في كانون الاول عام ١٩٥٠ . هدفه اقامة علاقات اقتصادية وسياسية بين الشيوعيين في هاتين المنطقتين(٥٠) .

وبرز تأثير الشيوعيين في صفوف العمال في اضراب عام ١٩٥٣ حيث وزعت منشورات حملت شعارات شيوعية ، وشكلت (لجنة العمال) في الاضراب التي حملت افكارا ماركسية الى حد ما . كما تشكلت نواة (جبهة الاصلاح الوطني في السعودية) خلال الاضراب ، التي اعلنت انها جزء من الناصرية في اطار تبنيها الاشتراكية ، وبقيت ملتزمة بالماركسية اللينينية ، وتحالفت هذه الجبهة مع عدة جبهات ، ولم تكن هويتها واضحة الاتجاه ،

---

(٤٩) مفيد كاصد ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .

(٥٠) جريدة الاهرام ، س (٧٦) ع (٢٣٤٣٣) ، ١٩٥٠/١٢/٣٠ .

وقام عدد من اعضاء الجبهة في عام ١٩٧٠ بتشكيل نواة الحزب الشيوعي السعودي • وحولت الجبهة تسميتها الى (جبهة التحرير الوطني السعودي) في عام ١٩٥٨ ومرت مسيرتها بمرحلتين ، الاولى العمل ضمن الواجهات السرية ، فلم تقم بتنظيم سياسي علني وانما اقتصر نشاطها على الالتزام بالماركسية ـ اللينينية والمساهمة في النضال الوطني ، اما المرحلة الثانية فهي التحول الى العمل السياسي المنظم منذ عام ١٩٦١ باسم (منظمة الشيوعيين السعوديين) ، واغلب اعضائه من الحركة العمالية في شركة ارامكو في الظهران وتعرضت الى ملاحقة السلطة لاعضائها ، مما دفعهم للانضمام الى تنظيمات ماركسية اخرى(٥١) •

وقد مر الشيوعيون بمرحلتين ، الاولى ، اكتفوا بالتبشير بافكارهم والعمل ضمن الواجهات ، وفي هذه المرحلة لم يقم تنظيم حزبي ، كما هو متعارف عليه ، وانما اقتصر نشاطهم على الالتزام الفكري بالماركسية ـ اللينينية ، والاسهام في النشاطات العمالية ، اما المرحلة الثانية ، فقد تجلت في اقامة تنظيم حزبي عام ١٩٦٩ تحت اسم (الحزب الديمقراطي الشعبي)• واصدر مجلة خاصة به باسم (الجزيرة العربية) لتعبر عن آرائه(٥٢) • واعلن الشيوعيون عن تشكيل حزب شيوعي سعودي في عام ١٩٧٥ ، وعقد اول اجتماع له من اجل وضع اسس وقواعد التنظيم ، ثم تبعه اجتماع ثان في عام ١٩٨٤ ، وفتح له فروعا في لبنان وقبرص ، ولكنه لم يحظ بدعم من الاتحاد

---

(٥١) فاسيليف ، تاريخ العربية السعودية ، ترجمة خيري الضامن ، موسكو ١٩٨٦ ، ص ٤١٤ـ٤١٥ ؛ مجلة صوت الطليعة ، س (٤) ع(٣) تشرين الثاني ١٩٧٦ ، ص ٥٩ ؛ فؤاد الشيخ ، البترول والسياسة في المملكة العربية السعودية ، لندن ١٩٨٨ ، ص ٣٤٩ـ٣٥٠ ؛ عدنان العطار ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ـ١٧٧ •

(٥٢) ايمن الياسيستي ، الدين والدولة في المملكة العربية السعودية ، ترجمة كمال الهازمي ، لندن ١٩٨٧ ، ص١٣٣ ؛ جبران شامية ، آل سعود ماضيهم ومستقبلهم ، لندن ١٩٨٩ ، ص ٢٤٩ـ٣٠٤ •

السوفيتي ، الذي تعامل معه بحذر وشك ، وبقي هذا الحزب واجهة غير فاعلة في الداخل والخارج[٥٣] .

وقد حظرت السلطة اي نشاط شيوعي ، واعلنت معاداته لهذه الافكار في اكثر من مناسبة ، واكد الملك فيصل بن عبدالعزيز في ايار ١٩٦٦ ذلك بقوله « ان السعودية لن تتساهل بأي مبدأ شيوعي يتسرب الى السعودية ، ولا بأي شعارات مخالفة للشريعة الاسلامية ... وان الشيوعية لم تدخل اي قطر او بلد الا مددته ، ولهذا فنحن ضدها دائما »[٥٤] كما عارضت هذه الافكار وسائل الاعلام السعودية بكل قوة ، فضلا عن عدم تقبل السعوديين عامة لهذه الافكار لمنافاتها للاسلام .

وبرز الفكر الماركسي في عمان ، بعد ثورة ظفار ١٩٦٥ ، التي قادها القوميون العرب . فبعد حدوث تغييرات جذرية في الثورة نتيجة تبني قادة الحركة الفكر الماركسي ـ اللينيني ، وتغيير اسم الجبهة ، من جبهة تحرير ظفار الى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل عام ١٩٦٨ ، ثم الى الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي عام ١٩٧١[٥٥] ، حيث اولت الجبهة في برامجها التثقيفية الايديولوجي والتدريب العسكري جانبا اساسيا لاعداد الثوار ، واسست (مدرسة لينين) للتدريب العسكري والتعليم السياسي ، ومدرسة التاسع من يونيو ، وكان الطلاب والطالبات يقضون ست ساعات يوميا في (معسكرات الثورة ، لغرض التدريب العسكري ، والتعليم السياسي ، ويقرأون كتب لينين وماو ، وستالين ، وهوشي منه ،

(٥٣) مفيد كاصد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .
(٥٤) التعاون الاسلامي ، سجل الاراء حول الوقائع السياسية لعام ١٩٦٦ ص٩٧
(٥٥) للتفاصيل انظر : وثائق النضال الوطني ١٩٦٥ـ١٩٧٢ ، منشورات الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ، بيروت ١٩٧٤ .

وتشي غيفارا ، ويتم الحوار والمناقشة حولها في المحاضرات ، وهي سابقة جديدة لم تعرفها الحركات الثورية اليسارية في العالم(٥٦) .

ولقيت الجبهة دعم بعض الدول الاشتراكية ، لاسيما الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية ، عسكريا وماديا ، كما ارسل بعض اعضاء الجبهة الى بكين لتعلم طرق واساليب حرب العصابات ، ودراسة الادبيات الشيوعية في دورات استمرت تسعة اشهر لاعداد الشباب سياسيا وايديولوجيا ، وقد عبر احد قادة الثورة عن هذا التغيير بقوله : عندما ذهبت الى الصين كنت رجلا وطنيا . اما الان فانا ماركسي لينيني ، فضلا عن ذلك فان توقف المساعدات المصرية بعد نكسة حزيران ، ومساندة اليمن الديمقراطية بعد تسلم الجبهة القومية للحكم ، اسهم بشكل فاعل في التحول الايديولوجي للجبهة الشعبية ، التي تجاوزت بافكارهم الماركسيين انفسهم في تصرفاتهم وتطبيقاتهم والامثلة كثيرة(٥٧) .

وجاء المنعطف في مسيرة الماركسية في ظفار ، بعد تغيير الحكم في عمان ، ومجيء السلطان قابوس بن سعيد ، بمساعدة بريطانيا . فأستهل قابوس حكمه بسياسة الاصلاح والمصالحة مع قوى المعارضة ، والحوار مع قادة الثورة في ظفار ، وانتهاج سياسة تحديث في مختلف اقاليم عمان ولاسيما ظفار وقد لقيت هذه السياسة تجاوبا من قادة الثورة وقواعدها .. ويتضح ذلك في مؤتمر الجبهة المنعقد في تموز ١٩٩٢ ، حيث دعت الى المحافظة على الاصلاحات الواسعة الاقتصادية والثقافية والسياسية التي شهدتها السلطنة ، وضرورة محاورة السلطان ، وارساء اسس وحدة وطنية ، واختيار اسلوب النضال

---

(٥٦) صلاح العقاد ، يمن الجنوبي والتقدمية الراديكالية في ظل القبيلة ، مجلة السياسة الدولية س (٩) ع (١٣) يناير ١٩٧٣ ؛ مفيد كاصد ، المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .

(٥٧) المصدر نفسه .

الديمقراطي السلمي العلني ، وتغيير اسم الجبهة الشعبية الى الجبهة الديمقراطية العمانية(٥٨) .

وهكذا مثلت التجربة الماركسية ـ اللينينية في ظفار وتنظيماتها اتجاها جديدا في الخليج العربي ، لكنه لم يكتسب رصيدا فكريا واسعا ، لانه تناقض مع الواقع ، ونقل تجربة عالمية في محاولة لتطبيقها في ظروف مغايرة دون تغيير او تأطير لها ، وبذلك فقدت قدرتها للتعبير عن حاجات المجتمع المحلي ، القبلي المسلم . وبقيت طروحاتها غريبة عن الانسان في عمان ، ولم يستطع ان يفهمها او يتفاعل معها ، وفقدت الاستقلال تنظيما وفكرا . فلم تكن بذرة الاشتراكية صالحة لتغرس في تلك الارض ، على الرغم من حالة الفقر والجهل والتخلف في مجتمع ظفار ، ولم تظهر عوامل الصراع الطبقي ، وثورة البروليتاريا ، والاشتراكية العلمية ، فهذه مفاهيم نقلت عن تجارب عالمية مختلفة تماما عن حالة ظفار ، ولم تجد لها البيئة الصالحة لتنمو وتنتعش .

وبصورة عامة ، فأن التنظيمات الماركسية التي ظهرت في الخليج العربي واجهت مشكلات لتحقيق برامجها واهدافها ، بسبب قلة المنتمين اليها بالداخل، وسرية عملها ، وحظر نشاطاتها في السلطة ، وانتقالها الى الخارج ، تجنبا من ملاحقة السلطة لها الى جانب انها بالاساس حملت افكارا غريبة عن واقع المجتمع العربي المسلم ، بحكم انها تأثرت بالتجارب والايديولوجيات العالمية ، فجاءت طروحاتها غير متفقة مع الظروف الاجتماعية والدينية للمجتمع ، لذلك لم يكن لها رصيد في الداخل ، او تأثير واضح . فضلا عن العوامل الخارجية المتمثلة بانهيار الاتحاد السوفيتي ، وموقف المعسكر الغربي من هذا التيار وفشل تجربة اليمن الديمقراطية ، التي جعلت من البريق الذي نادى به اليساريون غير مقبول خليجيا .

---

(٥٨) عبدالله النفيسي ، تثمين الصراع ، ص ١٥٣ـ١٥٧ ؛ فرد هوليداي ، الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية ، بيروت ١٩٧٥ ، ٢٣٤ ؛ ثناء فؤاد عبدالله ، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ١٨٧ .

رابعا : التيـــار الاســلامي :

برز التيار الاسلامي بشكل واضح ومؤثر في منطقة الخليج العــربي في اواخر السبعينيات ، واوائل الثمانينيات ، ممثلا بالصحوة الاسلامية التي عمت ارجاء الوطن العربي ، والعالم الاسلامي ، بعد انحسار المد القومي اثر هزيمــة حزيران ، وانتهاء تجربة ظفار الماركسية •

وتحيط بالحركة الاسلامية في الخليج ، بيئة اجتماعية وسياسية ، ممثـلة بحكم سلالي في ايدي عائلات سنية ، باستثناء عمان التي تخضع للمذهـــب الاباضي • وتتمسك السعودية بالمذهب الوهابي ، وتعتنق قطر المذهب نفسه ، ولكن تنقصها صرامة نظيرتها السعودية •

والاسر الحاكمة ، تحكم على اساس من الشريعة الاسلامية ، والموافقة القبلية ، ومع ذلك لم تستطع اي منها ، او ترغب في فرض القيود الاسلاميـة التامة على مجتمعاتها المفتوحة نسبيا ، والمتعددة اللغات والجنسيات •

وقد أسهمت عدة عوامل في بروز وتبلور التيار الاسلامي ، في مقدمتها انحسار المد القومي ، وشكوى الفئات الوسطى والدنيا من تركز الســلطة والثروة والنفوذ بيد الاسر الحاكمة ، وتطلعهــا الى ان يكــون لهــا دور في المشاركة السياسية والنشاط الاقتصادي • والتحديث الارتجالي ، وجلــب العادات الغربية المستوردة ، والاسراف والتهتك ، فضلا عن لجوء عدد مــن قادة الحركات الاسلامية مثل الاخوان المسـلمين في بعض الاقطــار العربية ، وبعض الافغان والباكستانيين فنقلوا افكار ومبادىء الحركات الاسلامية في بلدانهم ، واسهموا بدور نشط في الحركات الســرية والعلنية في الخليــج العربي • كما ظهر تيار اسلامي شعبي يرفض ممارسات الحكومات ، ويدعــو للعودة للاسلام الصحيح والتمسك بالاصول ، عبرت عنه الحركات الاسلامية التي انخرط في صفوفها المتعلمون والشباب والتجار(٥٩) •

(٥٩) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٤٣٩–٤٤٨ •

واذا اردنا ان نعطي صورة لنشاط التيار الاسلامي ، نجد ان السعودية، تدعي انها دولة اسلامية ، وعلى الرغم من هذه الدعوى ، فانها لم تسلم من تحدي الحركات الاسلامية ، فقد احتل هذا التحدي في السنوات الاخيرة حجما مهما ، كانت ذروته الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة ، والقلاقل الشيعية في المنطقة الشرقية المنتجة للنفط في المملكة . وهذا يعكس تصدعات مذهبية واجتماعية في مجتمع يعاني صدمة ثقافية نتيجة التحديث السريع والارتجالي ، ويساوي هذا في الاهمية حقيقة ان هذه الانفجارات المعادية للنظام لها اصولها في الخلافات التي صاحبت بدايات الدولة السعودية .

فقد اعلن (الاخوان)[٦٠] في منتصف العشرينيات من هذا القرن الثورة على عبدالعزيز آل سعود ، الذي تمكن في موقعة (السبلة) عام ١٩٢٩ من هزيمة زعيمي قبيلتي المطير وعتيبة ، وليس من قبيل الصدفة ان هاتين القبيلتين كان يمثلها عدد كبير من الذين احتلوا المسجد الحرام في تشرين الثاني ١٩٧٩ بقيادة جهيمان العتيبي[٦١] .

ان الارتباط الواضح بين معركة السبلة ، والاستيلاء على الحرم ، هو التحدي الدائم لشرعية المملكة من عناصر معينة من السكان . وبذلك تعرّض ركنا الشرعية السعودية ـ الوهابية واجماع القبائل ـ للتآكل الجزئي ، نتيجة سياسات خلفاء عبدالعزيز آل سعود في مجالات السياسة والاقتصاد والعلاقات الخارجية ، التي نتج عنها ، فساد ، واسراف في الاستهلاك ، لدى افراد معينين من الاسرة الحاكمة واقربائهم ، وزيادة في حرمان القبائل ، والطبقتين

---

(٦٠) حركة الاخوان ، انظر ، محمد المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية ، الدمام ١٩٨٢ ؛ سمية امين ياسين ، قيام المملكة العربية السعودية ، ١٩٠٢ـ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغدادا .

(٦١) للتفاصيل عن حركة جهيمان وحياته ، انظر ، ريتشارد وكمجيان ، الاصولية في العالم العربي ، ترجمة عبدالوارث سعيد ، ١٩٨٩ .

الوسطى والدنيا الى حد ما . كما ادى الثراء ، ومظاهر النفوذ الغربي لاسيما الاميركي الى خلق ازمة ثقافية كبيرة باتت تهدد قواعد الحكم الملكي .

في ظل هذه الظروف ، ظهرت موجة جديدة من الانبعاث الاسلامي خلال السبعينيات ، ركائزها الاساسية طلاب الدراسات الاسلامية من الجامعة الاسلامية في مكة والمدينة والرياض ، يتعاطف معهم قطاعات من البرجوازية الصغيرة ، والطلاب ، وبعض علماء الدين ، والموظفين ، وزعماء القبائل المعارضين لمركزية الحكم وجموده . وقد انتشرت على نطاق واسع منذ الاستيلاء على الحرم المكي ، مظاهر الانبعاث الاسلامي ، لاسيما بين طلاب الجامعات والكليات ،وقد نظم هؤلاء انفسهم في جماعة اسموها (جماعة الدعوة) التي لم تبد ميلا نحو العنف ، على الرغم من حماسها للالتزام بالكتاب والسنة ، وقد اكدوا انه « لا يمكن ان نقوي انفسنا في ظل هذه الانظمة الضعيفة بمجرد قراءة القرآن والتاريخ ، وانما بدراسة العلم ، كي نستخدم التقنية الغربية ضد الغرب »(٦٢) كما توجد معارضة اسلامية قوية للنظام في الخارج ، ويظهر ذلك من خلال المذكرة التي اطلق عليها (المذكرة التفسيرية) والتي رفعتها المعارضة الى الملك ، توضح ابتعاد النظام عن الاسلام .

اما فيما يتعلق بالكويت ، فقد اسست في الرابع والعشرين من مايس ١٩٥٢ ، جمعية الارشاد الاسلامي ، وهي جمعية دينية ، اكدت في قانونها « ان هذه الجمعية الدينية لا تتدخل في السياسة ، وهدفها الوعظ الحكيم والارشاد الحسن »(٦٣) واصدرت مجلة الارشاد عام ١٩٥٣ لتكون ناطقة باسمها ، وكانت لهذه الجمعية صلات مع الاخوان المسلمين في مصر . وظلت الجمعية تمارس نشاطها داخل الكويت وخارجه ، وازداد عدد اعضائها من مختلف الفئات حتى انتهى دورها بظهور جمعية اخرى ، هي جمعية الاصلاح

---

(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٦٣) مجلة الكويت ، مجلد٢ ، ج٢ ، ١٩٢٨ ، ص ٣٩٤ .

الاجتماعي ، التي تشكلت في الثاني والعشرين من تموز ١٩٦٣ ، وهي امتداد لاهداف الجمعية السابقة ، ولاشخاصها ايضا .

وتعد احدى الواجهات الرئيسة للاخوان المسلمين في الكويت ، ويتكون اعضاء الجمعية من مختلف شرائح المجتمع الكويتي ، ومن عدد من المقيمين في الكويت ، وتعد الجمعية بالقياس الى عدد السكان في الكويت كبيرة الحجم . وتحظى بتعاطف عدد من الشخصيات المهمة في النظام ، وفي الاسرة الحاكمة ، ولكن انشطتها تحت مراقبة السلطة ، حتى لا تعرض الكويت للمشاكل ، لاسيما في سياستها الخارجية ، اذ ان الجمعية كانت تشن هجوما عنيفا من خلال مجلة (المجتمع) لسان حالها ضد الانظمة العربية التي مارست الاضطهاد ضد الحركات الاسلامية ، لاسيما مصر وسورية ، لذلك صادرت اعدادا معينة من المجلة(٦٤) .

ومارست الجمعية نشاطها من خلال اللجان والمراكز التي انشأتها في اطار العمل الاسلامي ، مثل لجنة تحفيظ القرآن ولجنة الدعوة الاسلامية ، واللجنة الثقافية ولجنة المناصرة الخيرية لفلسطين ولبنان ، ولجنة العالم الاسلامي ، وادت دورا فاعلا في الحياة الاجتماعية الكويتية ، من خلال معالجة الكثير من المشكلات ، وقدمت الى الحكومة ، ومجلس الامة الكويتي الكثير من التوصيات والنداءات ، بشأن الشباب ، والمرأة ، والعدالة ، ومقاومة الفساد ، ومحاولة تقويم المجتمع على اسس اسلامية صحيحة(٦٥) .

وظهرت في الكويت عدة جمعيات اخرى منها ، جمعية الدعوة الى الله التي تأسست سنة ١٩٥٢ ، وحزب التحرير الاسلامي الذي تأسس في منتصف الخمسينيات على ايدي فلسطينيين واردنيين ، والحركة السلفية التي ازداد

(٦٤) محمد حسن عبدالله ، الحركة الادبية والفكرية في الكويت ، ص ٣٥٨ ؛ مفيد كاصد ، المصدر السابق ، ٢٩٥–٢٩٦ .

(٦٥) محمد حسن عبدالله ، صحافة الكويت ، ص ١٥٥–١٥٦ .

نشاطها بعد السبعينيات وشاركت في انتخابات مجلس الامة ، وجماعة التبليغ[٦٦] .

وتشكلت عدة جمعيات شيعية ، اعضاؤها كويتيون وايرانيون ، والاخيرون اكثر استعدادا للمشاركة في المظاهرات ، واظهار الحماس للدعاية الايرانية ، ويمثل هؤلاء منظمة (دار التوحيد) وهي منظمة نشطة في النشر والدعاية ، وتلقى قبولا ودعما من النظام الايراني ، والى جانبها (الجمعية الثقافية) وهي مجموعة من الاشخاص يحملون افكارا دينية متطرفة متأثرة بالافكار العنصرية والطائفية التي يدعو لها النظام الايراني ، وقاموا بعدد من الاعمال التخريبية[٦٧] .

ويعد المنتدى الاسلامي ، من اوائل الجمعيات الاسلامية في البحرين والمنطقة ، تأسس عام ١٩٢٨ على ايدي مجموعة من الشباب البحريني ، على غرار جمعية الشبان المسلمين بمصر . وقد سعى النادي الى تشكيل نواة تجمع اسلامي في البحرين لمواجهة النشاط التبشيري ، ومحاولات الاستعمار زعزعة الوحدة الوطنية وزرع الطائفية بين صفوف السكان . واستقطب النادي عددا كبيرا من الشباب والادباء ، والطلاب ، والمثقفين في البحرين ، وكان له اعضاء مؤازرون من خارج البحرين واغلق النادي عام ١٩٣٦ بسبب الظروف الاقتصادية التي عانى منها ، وموقف السلطات البريطانية المعارضة لنشاطاته[٦٨] .

وتأسست جمعية الاصلاح البحرينية في عام ١٩٤٨ بجهود الطلاب البحرينيين الذين كانوا يدرسون في القاهرة ، وتأثروا بافكار الاخوان المسلمين ، وكانت للجمعية علاقات طيبة مع الحكومة ، حيث اعلنوا ان اهداف

(٦٦) التنظيمات والتيارات السياسية والاجتماعية في الكويت ، المصدر السابق ، ص ص ١١-١٢ ؛ مفيد كاصد المصدر السابق ، ٢٩٧-٢٩٨ .

(٦٧) دكمجيان ، المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

(٦٨) مبارك الخاطر ، المنتدى الاسلامي حياته وآثاره ١٩٢٨-١٩٣٦ ، المنامة ، ١٩٨١ ، ص ١٩-٢٢ .

الجمعية ممارسة النشاطات الاجتماعية والدينية ، ولكنها في واقع الامر اهتمت بالقضايا السياسية والوطنية والقومية وشاركت قوة رمزية من اعضائها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ، وتضاءل نشاط الجمعية في منتصف الخمسينيات لانخراط اعضائها في صفوف الجمعيات ذات الاتجاه القومي • وتحولت الجمعية في السبعينيات الى المواجهة مع السلطة ، كونها اخذت تدعو الى ضرورة اصلاح المجتمع ، وتوزيع الثروات ، والمساواة ، وتطبيق الشرعية الاسلامية ، تلك المطالب التي لم تحظى بقبول السلطة(٦٩) •

والى جانب هاتين الجمعيتين ، شكل الشيعة ، الذين اغلبهم من اصول ايرانية ، عدة جمعيات دينية • وقد حاول نظام خميني بعد تسلمه السلطة تصدير الثورة الى البحرين ، والقضاء على اسرة آل خليفة • وكانت الاداة الرئيسة لتحقيق ذلك (الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين) التي يقودها هادي المدرسي الذي ابعد من البحرين ، بسبب ادعائه انه وكيل الخميني في البحرين وبعد ابعاده عمل على بث التطرف بين الشيعة ، من خلال خطاباته المهيجة من اذاعة طهران • وقد ادانته محكمة امن البحرين ، بانه منظم محاولة الانقلاب الفاشلة في البحرين في كانون الاول ١٩٨١(٧٠) •

أما بقية اقطار الخليج العربي ، فقد ظهر بين القطريين اتجاه اسلامي مضاد لمفهوم الاسلام لدى السلطة ، وقد قوى هذا الاتجاه ، وجود عدد من المبعدين من الاخوان المسلمين المصريين ، الذين يشغلون وظائف تعليمية واستشارية • ولكن لا يوجد ما يشير الى وجود معارضة منظمة للاسرة الحاكمة عدا بعض النشاطات للشيعة من اصل ايراني • اما عمان ، فقد اصبح قابوس محط انتقاد الاسلاميين ، بسبب استبداده ، وضعف تأييده للقضية

---

(٦٩) باقر النجار ، المصدر السابق ، ص ٥٦٩ ؛ محمد حسن عبدالله ، الحركة الادبية ، ص ٣٥٣ •

(٧٠) دكمجيان ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ •

الفلسطينية وعلاقاته المتميزة مع الغرب . ونجد هناك نوعا من الغزل مع الحركات الاسلامية في الامارات العربية ، لضخامة الجالية الايرانية فيها[٧١] .

ومن خلال احصائية وضعها دكمجيان في كتابه (الاصولية في العالم العربي) ، ان من بين (٩١) حركة اسلامية في الوطن العربي لغاية ١٩٨٥ ، توجد في الخليج العربي (٢١) منظمة اسلامية ، (١٢) منظمة ظهرت خارج الخليج العربي ، لها فروع في المنطقة ، ثلاث منها مصرية ، ومنظمة سورية ، وسودانية، ويمنية ، وباكستانية ، وجميعها منظمات سنية ، و(٥) منظمات شيعية جميعها من العراق ، والمنظمات الخليجية عددها (٩) منظمات ، ست منها سنية ، وثلاث شيعية[٧٢] .

واخيرا ، فان مسيرة الجمعيات والحركات الاسلامية في الخليج العربي ، كانت بمثابة امتداد فكري وتنظيمي لحركات اسلامية في الخارج ، ولم تعبر عن هويتها الحقيقية من حيث متطلبات العمل الاسلامي في المجتمع المحلي . ومن جانب آخر ، فان اكثر هذه الحركات على اتصال مع السلطات المحلية بشكل او بآخر . بل ان عددا من قياداتها من اعضاء الاسرة الحاكمة ، مما جعل مسيرة الحركات تتخذ طابعا اجتماعيا يهتم باعمال النفع العام ، والنشاط الخيري بعيدا عن السياسة ، ومع تصاعد التيار الاسلامي في الوطن العربي في عقد السبعينيات ، تبلورت افكار جديدة للعمل الاسلامي ، اكثر وعيا ونضجا ، فنشطت الحركات السرية والعلنية ، مطالبة بالمشاركة السياسية ، وبنصيب اعدل في الثروة التي يحوزها الحكام ، والطبقات العليا . كذلك فانها قادت سلسلة من الاحتجاجات على سياسة الحكام في الاكثار من

---

(٧١) المصدر نفسه ، ص‌ص ٢١٤-٢١٦ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ملحق رقم (١) .

استخدام الاجانب ، الذي ينظر اليه على انه يمثل تهديدا لسلامة المجتمعات الخليجية من الناحية الفكرية والاخلاقية •

ولكن الحركة الاسلامية في الخليج العربي ، لا تمثل ظاهرة متجانسة ، فهي منقسمة من الداخل ، وعناصرها المختلفة تتنافس على القوة والنفوذ ، ومدى الولاء للسلطة ، التي لجأت الى استخدام اسلوب التهدئة والاستقطاب والتقارب في بعض الاحيان ، اسلوبا من اجل التخفيف من حدة التيار الاسلامي المناهض •



اشـــــكاليـة
مصطلح النقد الادبي المعاصر

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وامينه العام

(١)

بذل الغرب جهدا كبيرا في وضع المصـطلح بعد ان اتسـعت العلوم ، وتنوعت الفنون ، وتقدمت الحياة . وأول المصطلحات العربية ما جاء في القرآن الكريم ، وكان لكثير منها معنى لغـوي فنقلت من معناهـا الاول الى المعنى الجديد ، وكانت الحقيقة الشرعية من أسباب نمو اللغة وفتح باب تطور الدلالة وانتقال الالفاظ من معنى الى آخر يقتضيه الشرع ، وتتطلبه الحياة الجديدة . وكان المتكلمون اول من اهتم بالمصـطلحات[1] ، وقد تحـدث أبو عثمـان الجاحظ (ـ ٢٥٥هـ) عن التحـول الـذي طـرأ على الالفـاظ بظهـور الاسلام ، وأشار الى ترك الناس لالفاظ كثيرة ، واستحداث الفاظ جديدة[2] . واتسعت حركة وضع المصطلحات والالفاظ باتساع الحياة وتقدم الحضارة ، وقد نجح السلف في ذلك واستطاعوا أن يستوعبوا العلوم والفنون ، ولـولا ما اصاب الامة العربية من انتكاسات لظل العلماء يرفدون اللغة بكل بديـع . وخيمت الغيوم على الوطن العربي قرونا وحينما اراد الله لها أن تتبدد ، بـدأ العرب في أواخر القرن الماضي يبنون حاضرا مجيدا ، ويقيمون حضارة طريفة ، وكان للمجامع العلمية واللغوية والعلماء والادبـاء والمفكرين دور كبـير في

(١) ينظر البيان والتبيين ج١ ص ١٣٩ .

(٢) ينظر الحيوان ج١ ص ٣٢٧-٣٣٦ ، ص ٣٧٤-٣٨٤ .

وضع المصطلحات ، وقد استهدى هؤلاء بوسائل كثيرة أهمها : الوضع ، والقياس ، والاشتقاق ، والترجمة ، والمجاز ، والتوليد ، والتعريب ، وهو ما استهدى به العرب الاوائل . ورفدت علوم اللغة العربية بكثير من المصطلحات الجديدة ، وصدرت المعاجم المختلفة تعرض لها وتوضحها لئلا يقع الباحثون والمتأدبون في إشكال لا تتضح سبيله ، او التباس يؤدي الى بُعْدِ الشقة بينهم . ولم يَنْسَ اولئك العلماء والادباء والمفكرون تراثهم وتراث الامم الاخرى ، فنهلوا من كل معين ، ووفقوا في وضع مصطلحات أدبية ونقدية كان لها اكبر الاثر في تقدم الحركة الادبية الحديثة . ولكن الاتجاه ـ في السنوات الاخيرة ـ بدأ يميل الى الغرب كل الميل ، وصار المؤلفون والمترجمون والنقاد يغرفون من المصطلحات الاجنبية ادعاءً او استسهالا مما أدّى الى طغيان المصطلحات الاجنبية فيما ينشر ويترجم . وبدأت الاصوات ترفع شعار « إشكالية المصطلح النقدي » وتعقد من أجله الندوات والمؤتمرات ، ولو رجع من يرفع هذا الشعار الى التراث العربي الضخم لوجد الطريق ممهدا ، ولو ادرك مسالك الغربيين وعودتهم الى التراث اليوناني والروماني لرأى السبيل واضحة للعيان . ومما ادّى الى « إشكالية المصطلح » أن بعضهم لا يعرف الظروف التي نشأ فيها المصطلح ، والاسباب التي دفعت الى وضعه ، ولم يطلع على الادب الاجنبي اطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهما دقيقا ، واكتفى بما يكتب عن الادب من مقالات أوقعته في الخلط والاضطراب .

إنّ إشكالية المصطلح النقدي حدثت من فوضى التأليف والترجمة ، ومما زادها خللا واضطرابا :

١ ـ اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين إذ هم ثلاثة انواع :

الاول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الادب ونقده باللغة الاجنبية .

الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الادب الاجنبي ونقده بالعربية .

الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف .

لقد أدّى هذا الاختلاف في لون الثقافة وطريق تحصيلها الى ان يأخذ من يقرأ الاجنبية مصطلحاته عن اللغة التي يعرفها فيقع الاختلاف والتفاوت كما حصل بين المغرب العربي والمشرق العربي ، أما ذو الثقافة المضطربة والمعتمد على الترجمات فأمره أكثر اضطرابا ، ومثله ذو الثقافة العربية الذي لم تتضح أمامه الرؤية ، ولم يستطع ان يوازن بين ما كان وما يفرضه الواقع الجديد . وهذان الصنفان في حيرة من الامر فهما يتأرجحان بين المصطلحات العربية والاجنبية ، ولن يكون هناك مصطلح عربي إنْ لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة العربية والثقافة الاجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل ، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات .

٢ ـ اختلاف الاوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم اليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الادبي والنقدي ، ويتجلى ذلك في مصطلح « الصورة » فهي عند العرب غيرها عند الغربيين ، وهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والافكار الذاتية ، وعند البرناسيين تعرض الموضوعية ، وعند الرمزيين تنقل المحسوس الى عالم الوعي الباطني ، وعند السرياليين تعنى بالدلالة النفسية(٣) . وهي عند غيرهم « رسم قوامه الكلمات(٤) » وهي « اعادة انتاج عقلية ، ذكرى لتجربة عاطفية او ادراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية »(٥) .

كيف يفهم العربي هذا التفاوت إذا لم يفهم الروح الادبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور ؟ وكيف يحدد مصطلحها ، ويستعمله ، ويديره في كتاباته ، وهو يجهل دلالته الدقيقة ؟

(٣) ينظر النقد الادبي الحديث ص ٤١٧ وما بعدها .
(٤) الصورة الشعرية ص ٢١ .
(٥) نظرية الادب ص ٢٤٠ .

٣ ـ الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة[٦] .

٤ ـ الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء ، ومن ذلك « التضمين » ومن معانيه الاصطلاحية :

الاول : التضمين في العروض هو أن ينبى بيت على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضبا ، أو هو « أن يكون الفصل الاول مفتقرا الى الفصل الثاني والبيت الاول محتاجا الى الاخير » او هو « أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها فيما بعدها » كقول الشاعر :

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدى بليلى العامريةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزّها شَرَكٌ فباتتْ تُجاذِبُهُ ، وقد عَلِقَ الجناحُ

الثاني : التضمين هو « حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه » وهو على وجهين :

١ ـ ما كان يدل عليه الكلام دلالة الاخبار .

٢ ـ ما يدل عليه دلالة القياس .

أي : أن العبارة تتضمن المعنى من غير اشارة صريحة اليه ، وهو تضمين توجبه البنية مثل « معلوم » يوجب انه لابد من « عالم » ، وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلاّ به كالصفة بـ « ضارب » يدل على « مضروب » .

الثالث : التضمين هو « استعارتك الانصاف والابيات من غيرك ، وادخالك إياها في أثناء أبيات قصيدتك » .

الرابع : التضمين هو « اعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الاسماء وفي الافعال وفي الحروف »[٧] .

---

(٦) ينظر مقدمة في علم المصطلح ص ٨٢ـ٨٤ .

(٧) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج٢ ص ٢٦٠ـ٢٦٤ .

هذه الاسباب وغيرها خلقت جـوا غير محمـود في الدراسـات الادبية والنقدية ، وجعلت بعض الدارسين يتعثرون وقد حدث هذا للقدمـاء وأدى اختلاف ثقافة الادباء والمؤلفين وحرية وضع المصطلح الى :

١ ـ تعدد المصطلح للدلالة على شيء واحد ، ومن ذلك « الالتفات » فقـد سماه ابن وهب الكاتب « الصَرْف » ، وسماه أسـامة بن منقـذ « الانصراف » ، وسماه قوم « الاعتراض »[٨] .

٢ ـ اختلاف دلالة المصطلح ، فقد ذهب قدامة بن جعفر الـى ان « المطابق » هو « ما يشترك في لفظة واحدة بعينها »[٩] مثل :

وثبّتَهُم يَستنصرونَ بكاهلٍ وللؤمِ فيهم كاهِلٌ وسَنامُ

وهذا هو « التجنيس » أو « الجناس » عند البلاغيين والنقاد الاخرين .

٣ ـ اطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة أشـياء ، ومن ذلـك مصـطلح « الاجازة » فهو : « أن تتم مصراع غيرك » وهو « أن يكون الحـرف الذي يلي حروف الروي مضموما ثم يكسر ، أو يفتح ، ويكون حـرف الروي مقيدا » وهو « أن تكون القافية طاءً ، والاخرى دالا »[١٠] .

ولكن هذا التفاوت والاختلاف لم يستمر إذ توحدت المصطلحـات البلاغية والنقدية وكـان للسـكاكي (ـ٦٢٦هـ) فضـل اسـتقرار المصطلحات إذْ « لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى أن محـص السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه »[١١] . وسار جلال الدين القزوينـي (ـ٧٣٩هـ) على خطـاه وكـان كتـاب « التلخيـص » وشرحه « الايضاح » عمدة الدارسين في تحديـد المصـطلح البلاغي ، وتبيان معناه ، ولم يقع بعد ذلك اختلاف في فهم المصطلحات البلاغيـة

(٨) ينظر معجم المصطلحات ج١ ص ٢٩٦ .
(٩) نقد الشعر ص ١٨٥ ، وينظر معجم المصطلحات ج٢ ص ٥٣ وما بعدها .
(١٠) ينظر معجم المصطلحات ج١ ص ٥٠ .
(١١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

كالجناس ، والطباق ، والاستعارة ، والكناية ، أو المصطلحات النقدية كالأخذ ، والموازنة ، والسهولة ، والمصطلحات الادبية كالشعر ، والنثر ، والغزل ، والمدح ، والوصف ، وما الى ذلك من مصطلحات كثيرة زخرت بها كتب الادب والنقد والبيان . وهذا الاستقرار قد يكون غير محمود ، ولكنه ضروري بعد نضج التجارب واكتمال الدراسات ، لئلا تؤدي هلامية المصطلح الى الفوضى وتنافر الآراء وتضاربها ، وتحديد المصطلح هو من اول ما ينبغي معرفته إذ انه « اتفاق طائفة مخصومة على امر مخصوص »(١٢) والاتفاق على المصطلح ـ ولاسيما العلمي ـ « شرط لا غنى عنه »(١٣) فشروط المصطلح :

١ ـ اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية .

٢ ـ اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الاولى .

٣ ـ وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي .

٤ ـ الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد .

ولكنْ هل اتفق الادباء والنقاد على وضع المصطلح ؟ إنّ المتتبع للحركة النقدية المعاصرة يجد الفوضى تأخذ بأطراف الباحثين والدارسين ، ويرى الاختلاف واضحا بين مشرق الوطن العربي ومغربه ، ويجد الاضطراب عند الباحث الواحد حين يستعمل المصطلح للدلالة على عدة معان ، او يستعمل عدة مصطلحات للدلالة على معنى واحد ، لانه يغرف من هنا ومن هناك ، وتتزاحم المصطلحات الروسية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والالمانية من غير هدف إلا إظهار الاطلاع ، وهو هدف لا يخدم النقد الاصيل ، ولا البحث الادبي الرصين . ولعل الوقوف على ثلاثة مصطلحات تشيع الآن في الدراسات الادبية والنقدية ، يوضح هذه الفوضى ، وهذه الاشكالية التي قد تكون

---

(١٢) تاج العروس (صلح) .

(١٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٦ .

متعمدة احيانا ، وقد تكون حقيقة احيانا اخرى ، وهذه المصطلحات هي : الاسلوبية ، والشعرية والحداثة .

(٢)

عرف العرب مصطلح « الاسلوب » منذ عهد مبكر وكانت لهم فيه عدة تعريفات متقاربة[١٤] ، ولعل تعريفي عبدالقاهر الجرجاني (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) وابن خلدون (ـ٨٠٨هـ) من أدق تلك التعريفات قال الاول : « الاسلوب : الضرب من النظم والطريقة فيه »[١٥] ، وقال الثاني إنه « المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه »[١٦] . ولم يخرج معظم الباحثين في النصف الاول من القرن العشرين عن هذا المعنى ، فالاسلوب « طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتأليف الكلام »[١٧] إلاّ أنّ المتأخرين جاءوا بكلام آخر استمدوه من صلتهم بالنقد الاجنبي فقالوا : إنّ الاسلوب « قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه »[١٨] و « الميزة النوعية للاثر الادبي » و « شرارة نوعية لا ينفذ اليها الفاحص إلاّ بطريقة الحدس ، ومن أجل ذلك يحس ولا يعبر عنه » وهو « اختيار الكاتب لما من شأنه ان يخرج بالعبارة عن حيادها ، وينقلها من درجتها الصفر الى خطاب يتميز بنفسه » أي : « أن الاسلوب رسالة انشأتها شبكة من التوزيع قائمة على مبدأ الاحتمال والتوقع »[١٩] ، وهو « صراع متواصل عنيف ضد اعتباطية الدال » أي « ان الكتابة العادية غير الكتابة الادبية حيث تستعمل الدوال مدلولات »[٢٠] .

---

(١٤) ينظر في بحثنا « الاسلوبية الى اين ؟ » هذه التعريفات ص ٢٥٨ـ٣٦٣ .
(١٥) دلائل الاعجاز ص ٤٦٨ـ٤٦٩ .
(١٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٠ .
(١٧) دفاع عن البلاغة ص ٧٠ .
(١٨) الاسلوبية والاسلوب ٦٤ .
(١٩) النقد والحداثة ص ٥٤ ، ٥٨ .
(٢٠) ينظر كلام محمد الهادي الطرابلسي في مجلة فصول « المجلد ـ الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤ » ص ٢٢٠ .

وتعددت حدود الاسلوب وأخذت مسارات لا تلتقي في كثير من الاحيان وإنْ كانت في الاصل ترجع الى « طريقة الانسان في التعبير عن نفسه »[٢١] ؛ لأنّ الاسلوب « أصعب ملكات الانسان تحديدا » ولان محتواه « واسع الى حد أنه يتفجر غبارا من الفكر المستقلة اذا اخضعناه للتحليل »[٢٢] . وكانت دراسة الاسلوب مرتبطة بالبلاغة وقواعدها المعيارية ، ولكن المتأثرين بالنقد الاجنبي حاولوا ان يفصلوا بين البلاغة والاسلوب فصلا لا تقره طبيعة اللغة وطرائقها في التعبير ، واتخذوا مصطلح « الأسلوبية » سبيلا لهم ، وذهب بهم القول فيه كل مذهب ، واختلفوا في تعريفاتهم ، فقالوا : انها « البحث عن الاسس الموضوعية لارساء علم الاسلوب »[٢٣] .

وانها « منهج لساني تقوم على البحث فيما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب اولا ، وعن أصناف الفنون الانسانية ثانيا » أي انها « وصف للنص الادبي حسب طرائق مستقاة من علم اللسان »[٢٤] .

وانها « نوع من الحوار الدائم بين القارىء والكاتب من خلال نص معين »[٢٥] .

وانها « طريقة في تحليل شكل النص ، مع الافادة من معطيات علم اللغة ـ اللسانيات »[٢٦] .

وبعض هذه التعريفات لا توضح معنى الاسلوبية ، وتحدد مداها ؛ لانها

---

(٢١) معجم مصطلحات الادب ص ٥٤٢ ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ٢٢ .

(٢٢) في الاسلوب الادبي ص ٥ ، وينظر في فلسفة النقد ص ٩١ .

(٢٣) الاسلوبية والاسلوب ص ٣٤ .

(٢٤) النقد والحداثة ص ٥٨ .

(٢٥) دليل الدراسات الاسلوبية ص ٧ .

(٢٦) مجلة آداب المستنصرية (الجزء السادس عشر سنة ١٩٨٨) ص ٢٣٩ ، بحث الدكتور سمير شريف ستيتية الموسوم بـ (منهج التحليل اللغوي في النقد الادبي) .

انطلقت من وجهات نظر متفاوتة ، فما الاسس الموضوعية ؟ وما ذلك الحوار الدائم بين القارىء والكاتب ؟ وما تلك الطرائق المستقاة من اللسانيات ؟ هذه أسئلة لا تجد الاجوبة عنها إلاّ في أذهان بعضهم ، وإنْ كانت الحرية مجال الادب والنقد ، ولكن لا ينبغي أن تكون مطلقة لا يلتقي النقاد فيها على خيط رفيع يكون مؤشرا للباحثين ودليلا للمتلقين .

وظن بعضهم أنَّ الاسلوبية تتضح اذا ارتبطت بالعلم ، فقيل : إنها « علم الاسلوب » ، وتعصب لها تعصبا ، ودعا الى أن تناهض المناهج القديمة وتهدمها ، لانها الوريث الشرعي للبلاغة[٢٧] . وهذا الخلاف في تحديد معنى « الاسلوبية » وموقعها في الدراسات ادى الى طريقين :

الاول : خضوع النقد للمعايير الصارمة التي ناءت بها كتب البلاغة القديمة وحفلت بها كتب التحليل اللغوي الحديث .

الثاني : الانطلاق في التحليل والافتراق بين النقاد ، وهو ما اضفى على النقد ذاتية أبعدته عن الموضوعية وجعلته كلاما ليس فيه اتفاق . وكان للابتعاد عن البلاغة العربية اثر في جفاف النقد الاسلوبي ، فقد قالوا : إن الاسلوبية وريث البلاغة ، أي انها « بديل في عصر البدائل »[٢٨] والمفهوم الاصولي للبديل « أن يتولد عن واقع معطى وريث ينفي بموجب حضوره ما كان قد تولد عنه » أي ان « الاسلوبية » امتداد للبلاغة ونفيٌ لها في الوقت نفسه ، هي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في الوقت نفسه ايضا »[٢٩] ولا يمكن ان تتعايشا ، لانهما تمثلان « شحنتين متنافرتين متصادمتين لايستقيم لهما تعايش آني في تفكير أصولي موحد ، والسبب في ذلك ان الاسلوبية قامت بديلا عن البلاغة ، فهي امتداد لها ونفي ، وهي بمثابة حبل التواصل

(٢٧) ينظر الاسلوبية والاسلوب ص ٧ ، ١٠٧ ، النقد والحداثة ص ٤٤ مجلة فصول (المجلد الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤) ص ٢١٦ ، ٢١٩ .

(٢٨) الاسلوبية والاسلوب ص ٤٢ .

(٢٩) الاسلوبية والاسلوب ص ٥٢ .

وحبل الفصل »[٣٠] ، وبعبارة واضحة ان البلاغة تخطاها العصر وتجاوزتها الحداثة . وهذا فهم غير دقيق للبلاغة العربية ، لانه مستمد من معطيات البلاغة الغربية التي من وظيفتها عند القدماء « انتاج نصوص حسب قواعد فن معين »[٣١] لا تحليل النصوص ، وليست البلاغة العربية كبلاغة القدماء من الاوربيين ، فهي قواعد تعلم فن القول ، وهي مقاييس نقدية ، وقد اوضح أبو هلال العسكري (ـ٣٩٥هـ) أهدافها بوضوح وقال : إنها تسعى الى تحقيق الهدف الديني وهو الوقوف على اعجاز القرآن الكريم ، والهدف التعليمي ، والهدف النقدي وهو تحليل النصوص واختيارها[٣٢] . وكان كتابا « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » لعبدالقاهر الجرجاني احسن تطبيق لهذه النظرة الواسعة ، إذ انطلق في تحليل النص الادبي من البلاغة العربية متخذا من أصولها وقواعدها مقاييس للحكم على الكلام . ومن الدراسات الغربية التي اتخذت البلاغة سبيلا لها كتاب «بنية اللغة الشعرية» لجان كوهين ، ومن الدراسات العربية التي اتخذت مسلكا بلاغيا كتاب « خصائص الاسلوب في الشوقيات » لمحمد الهادي الطرابلسي . ويتضح في هذين الكتابين اثر البلاغة في دراسة الاسلوب وتحليل النصوص تركيبا وتصويرا وتحسينا ، وهو ما يطلق عليه « النقد البلاغي » الذي يضم كل ما تعرضت له كتب النقد والبلاغة القديمة ، وكثيرا مما استجد في هذه الايام ، فيدرس الالفاظ ، وتركيب الكلام ، والتصوير ، والتحسين[٣٣] ، وهذه أصول الادب وجوهره ، وما الأسلوبية التي تفاوتت الاراء فيها ببعيدة عن هذا الاتجاه ، فهي في اوضح معانيها التحليل البلاغي للنص ، وهو تحليل يستمد من طبيعة لغة النص سماته،

---

(٣٠) النقد والحداثة ص ٥٤ ، وينظر البلاغة والاسلوبية للدكتور محمد عبدالمطلب ص ١٩١ .

(٣١) البلاغة والاسلوبية (لهنريش بليت) ص ١٦ .

(٣٢) ينظر كتاب الصناعتين ص ١ـ٣ ، مناهج بلاغية ص ٣٢ـ٣٦ .

(٣٣) ينظر بحثنا « النقد البلاغي » ص ٢٠٩ وما بعدها .

وبذلك يتضح مصطلحها ، ويكون سبيلا ينهجه كل ناقد اديب ، ودليلا لكل دارس أريب •

(٣)

الشعرية من الالفاظ التي حاول الشكلانيون الروس بعثها[٣٤] ،ولم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث ، وانما ترددت عندهم ألفاظ مثل « الشاعرية » و « شعر شاعر » و « القول الشعري » و « القول غير الشعري » و « الاقاويل الشعرية »[٣٥] • وقد دخل مصطلح « الشعرية » في الدراسات الحديثة ، وهو مصدر صناعي ينحصر معناه في اتجاهين :

الاول : فن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول الى شعر يدل على شاعرية ذات تميز وحضور • ومما قيل في الشعرية بهذا المعنى : انها تسعى الى « معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل » وهي « تبحث هذه القوانين داخل الادب ذاته »[٣٦] •

وانها « اسم لكل ماله صلة بابداع كتب أو تأليفها حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة ، لا بالعودة الى المعنى الضيق الذي يعني مجموعة من القواعد او المبادىء الجمالية ذات الصلة بالشعر » • وانها « علم الادب » اي انها تتخذ من « حيث هي علم بالادب »[٣٧] وانها « علم موضوعه الشعر »[٣٨] •

وانها موضوع « لمحاولة التقنين التي تصدى لها فن الكتاب المدعو بلاغة » وقد « عنت زمنا طويلا معايير نظم الشعر » •

---

(٣٤) ينظر الشعرية ص ٢٤ •
(٣٥) ينظر المنزع البديع ص ٤٠٦–٤٠٨ ، منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ١٢٠ •
(٣٦) الشعرية ص ٢٣ •
(٣٧) الشعرية ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٨٤ •
(٣٨) بنية اللغة الشعرية ص ٩ •

وانها « علم الاسلوب الشعري » وهدفها البحث عن « الاساس الموضوعي الذي يستند اليه تصنيف نص في هذه الخانة او تلك »[٣٩] •

الثاني : الطاقة المتفجرة في الكلام ، المتميز بقدرته على الانزياح ، والتفرد ، وخلق حالة من التوتر • ومما قيل في الشعرية بهذا المعنى :

انها « خصيصة علائقية أي : تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات اولية ، سمتها الاساسية ان كلا منها يمكن ان يقع في سياق آخر دون ان يكون شعريا ، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات وفي حركته المتواشجة مع مكونات اخرى لها السمة الاساسية ذاتها يتحول الى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها » •

وانها « اقامة حد فاصل بين الشعر واللاشعر » •

وانها « احدى وظائف الفجوة او مسافة التوتر » •

وانها « وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية ، وتتجلى هذه الوظيفة في علاقات التطابق المطلق ، او النسبي بين هاتين البنيتين ، فحينما يكون التطابق مطلقا تنعدم الشعرية أو تخف الى درجة الانعدام تقريبا ــ وحين تنشأ خلخلة وتغاير بين البنيتين تنبثق الشعرية ، وتتفجر في تناسب طردي مع درجة الخلخلة في النص » •

وانها « الانحراف عن التعبير »[٤٠] •

وانها « الانزياح » الذي « هو الشرط الضروري لكل شعر » •

وانها « عملية ذات وجهين متعايشين متزامنين : الانزياح ونفيه ، تكسير البنية واعادة التبنين • ولكي تحقق القصيدة شعريتها ينبغي أن تكون دلالتها مفقودة ، أو لا يتم العثور عليها وذلك كله في وعي القارىء » •

---

(٣٩) بنية اللغة الشعرية ص ١١ ، ١٤ ، ١٥ .

(٤٠) في الشعرية ص ٤ ، ١٦ ، ٢١ ، ٥٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

وانها « طريقة الوعي الذي يكون الشعر الاداة المفضلة فيها » أي أن ما يسمى « شعرا انما هو بالضبط تقنية لغوية من انتاج نمط من الوعي ، ولا يمكن لمشهد العالم عادة انتاج التقنية »(٤١) .

وليس من تقاطع بين الاتجاهين في فهم « الشعرية » لان كل واحد منهما يرجع الى الآخر ، فالاول هو القواعد والاصول التي ترسم الطريق للاديب ، والثاني هو نتيجة تلك الاصول ، وتجربة الاديب وقدرته على الابتكار والابداع . وليس من اليسير وضع تحديد للشعرية لانها بمعناها الحديث لاتزال في بداياتها ولانها « في تحول دائم »(٤٢) ولان معناها اختلف باختلاف النقاد والباحثين ، اذ شغلت « الفكر النقدي في العالم منذ ارسطو ، وماتزال تحتل موضعا مركزيا في أنظمة نقدية وجمالية كاملة . لقد حدد امبرتو اكو مثلا ـ غاية المنهج النقدي الذي اسسه كروتشه بانها « اقامة حد فاصل بين الشعر واللاشعر » كما شغلت مدرسة كاملة هي مدرسة الاشكاليين الروس نفسها بمحاولة اكتشاف الشعرية وتحديد شروط تكونها او واقع تبلورها(٤٣)، وحتى حين يسعى نظام نقدي معين الى بلورة مفهوم محدد للشعرية فان مثل هذا المفهوم غالبا مايكون متشكلا ضمنا في هذا النظام، ويختفي وراء التصورات والاحكام النقدية التي تصدر عنه . وبين الامثلة على ذلك عمل ت . س إليوت النقدي الذي لا يبلور تصورا نظريا واضحا للشعري واللاشعري بَيْدَ أنه على الرغم من ذلك يتخذ مواقف محددة من قضايا نقدية وادبية كثيرة تقوم على التمييز الفعلي الحاد بين الشعري واللاشعري »(٤٤) .

إنّ تعريف مصطلح « الشعرية » اخذ مسارات متعددة ، وبعضها غامض لا يوضح فكرة ولا يرسم سبيلا ، ولو رجع الباحثون العرب الى

(٤١) بنية اللغة الشعرية ص ٢٠ ، ١٧٣ ، ١٩٨ .

(٤٢) الشعرية ص ١٩ .

(٤٣) ينظر موقف الشكلانيين الروس من اللغة الشعرية في كتاب « نقد النقد » ص ٢٣ وما بعدها .

(٤٤) في الشعرية ص ١٦ .

تراثهم لوجدوا فيه ما يحقق الهدف ويقرب المصطلح الى الاذهان .

إنّ الشعرية ليست خاصة بأمة دون أمة فهي سمة من سمات الشعر المتميز الرائع ، وكان العرب قد حددوا هذه السمات بعمود الشعر الذي شمل « شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ــ ومن اجتماع هذه الاساليب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات ــ والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر ، ولكل باب معيار »(٤٥) ويتضح انهم لم يفردوا للوزن والقافية بابا لانه لا خلاف في ضرورتهما ، ولانهما دخلا في الابواب الاخرى فالوزن من « التحام اجزاء النظم والتئامها » ، والقافية من « مشاكلة اللفظ والمعنى » .

هذه هي أسس الشعرية العربية ، ومن خرج عليها كان خارجا على « طريقة العرب » . وكانت سر الخلاف في موقفهم من البحتري وابي تمام ، فالاول « أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ، ومستكره الالفاظ ، ووحشي الكلام » ، والثاني « شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ويستكره الالفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه شعر الاوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة »(٤٦) .

وحامت آراء النقاد على ابواب « عمود الشعر » وتنوعت ومسّت جوهر الشعرية ، وكان عبدالقاهر الجرجاني من اكثر النقاد فهما لها ، اذ انطلق في فهم الادب من النظم وهو « تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض »(٤٧) والنظم عنده هو « الاساس في الكشف عن شعرية

(٤٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج١ ص ٩ .
(٤٦) الموازنة ج١ ص ٦ .
(٤٧) دلائل الاعجاز ــ المدخل ص ٤ .

الكتابة او النص »[٤٨]، وهو في طريقة اثبات المعنى وبالنظر الى النص « بالقلب، والاستعانة بالفكر ، واعمال الروية ، ومراجعة العقل ، والاستنجاد بالفهم »[٤٩].
ويعد عبدالقاهر ادق من صاغوا « مبادىء الشعرية الكتابية فيما كان يصوغ نظرية النظم القرآني »[٥٠] ، وقد تطرق الى دراسة الالفاظ وأنكر مزيتها من حيث هي كلم مفردة ، وذهب الى ان الشعرية لا تتضح إلاّ في الكلام المركب من ألفاظ تأخذ كل واحدة منها موقعا متميزا في العبارة ودرس الوانا من صيغ بناء الكلام كالتقديم والتأخير الذي هو انزياح سياقي[٥١] ولذلك يصبح « ملمحا متميزا للشعر »[٥٢] وكالحذف الذي يذهب بالسامع كل مذهب وفيه يستطيع الاديب ان يتفنن وان يجعل من الحذف ميدانا للتخيل والتصور ، ورب حذف هو « قلادة الجيد وقاعدة التجويد »[٥٣] ومثل الحذف في الشعرية التنكير فهو يكسب العبارة « حسنا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره ، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والانس الى خلافهما »[٥٤] ومثل ذلك الحال ، والتمييز ، والفصل والوصل ، والمجاز من اهم سمات الشعرية لانه يقوم على التخييل ، ويتمثل في التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة.
ومن اسباب الشعرية التي تعرض لها عبدالقاهر الكناية ، والتعريض ، والرمز ، والتلويح ، والغموض ، والتضاد الذي يخلق تناقضا بين طرفين او صورتين ، اذ هو « احد تجسدات الفجوة »[٥٥] .

(٤٨) الشعرية العربية ص ٤٤ .
(٤٩) دلائل الاعجاز ص ٦٤ ، وينظر الشعرية العربية ص ٤٦ .
(٥٠) الشعرية العربية ص ٤٢ .
(٥١) بنية اللغة الشعرية ص ١١٠ .
(٥٢) بنية اللغة الشعرية ص ١٨ .
(٥٣) دلائل الاعجاز ص ١٥١ .
(٥٤) دلائل الاعجاز ص ٢٨٨ .
(٥٥) في الشعرية ص ١٢٠ .

هذه بعض أسباب الشعرية ، وهي تتصل ببنية اللغة ؛ لان الشعر تشكيل لها واعادة لخلقها ، ومن هنا جاء التأمل في اللفظة وارتباطها بغيرها ، وفي التقديم والتأخير ، والحذف ، والتنكير والحال ، والتمييز ، والفصل والوصل ، والمجاز بانواعه ، والغموض ، والتضاد ، وهو ما وقف عليه المعاصرون من العرب والاجانب • ويتضح ان البلاغة من اهم وسائل دراسة الشعرية ويبدو ذلك في كتابي « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » لعبدالقاهر وفي الدراسات الحديثة ككتاب « في الشعرية » للدكتور كمال أبو ديب ، وكتاب « بنية اللغة الشعرية » لجان كوهين • ولو أخذ الباحثون والنقاد بما في البلاغة العربية من اسباب الشعرية لوجدوا خيرا كثيرا ؛ لان العرب لم يهملوا هذا الجانب وقد انطلقوا في فهم الشعر من طبيعة اللغة العربية وفن القول العربي ، فجاءوا بكل جديد بديع لا يختلف عما شاع في الدراسات الحديثة إلاّ في بعض المصطلحات والتفاصيل • وقد اوقعهم اهمالهم للتراث العربي في الغموض احيانا وفي الابتعاد عن روح اللغة العربية وفنها القولي • وما الشعرية التي اختلف فيها الباحثون كل الاختلاف إلاّ ما في الكلام من اسباب تجعله متميزا رفيعا كالتركيب ، والتصوير ، والتحسين ، وهو ما يظهر في الاسلوبية احدى وسائل تحليل النص ، فالمادة مشتركة بينهما ، وهي ما تحدث عنه البلاغيون والنقاد العرب وكشف عنه الحجاب عبدالقاهر الجرجاني[56] ،وان كانت الوظيفة مختلفة فالاسلوبية تحليل يستمد من طبيعة اللغة سماته ، والشعرية هي فن الشعر واصوله ، وهي الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح •

(٤)

ان الحديث عن « الحداثة » ذو شجون لانها حداثات أو « مجموعة من الحركات »[57] وليست حركة واحدة او حداثة واحدة ، وهي ليست سمة

---

(٥٦) ينظر بحثنا « الشعرية » ص ٤٩ وما بعدها .

(٥٧) الحداثة ص ٣٠ .

أمة أو قطر ، وانما هي سمة العالم الجديد الذي يشهد نهضة فكرية واسعة المدى ، وحركة علمية بعيدة المنحى ، وثورة عارمة تسعى الى تغيير العالم . ولفظة « الحداثة » من المصطلحات الغامضة لجدتها ، وتداخل قضاياها ، واختلاف انصارها احيانا ، ومن المصطلحات الواضحة عند بعضهم احيانا أخرى ، وقد وصفت بانها « مصطلح مراوغ »(٥٨) لم يشع الا في السنوات الاخيرة على الرغم من وجود لفظة « الحداثة » في اللغة العربية ، ففي اللسان : « الحديث نقيض القديم ، والحدوث : نقيض القدمة . حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه »(٥٩) . وكانت الدعوة الى الحداثة قد ظهرت في اوربة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفرق الباحثون بينها وبين العصرية التي بدأت ممهداتها في اوربة منذ القرن السادس عشر . واستعملت مرادفة للرومانسية ، ووصفا لاجواء الادب في اوربة ، وسمة لحركة جارفة غطت الحضارة الاوربية ، وعدّها النقاد الماركسيون لونا من البرجوازية الجمالية المتأخرة النابعة من الواقعية(٦٠) والحداثة « حركة ترمي الى التجديد ودراسة النفس الانسانية من الداخل معتمدة في ذلك على وسائل فنية جديدة »(٦١) وهي « محاولة للوصول الى اسلوب فردي متميز »(٦٢) . وكثرت تعريفاتها ، ولعل بودلير اقدم من عرفها بقوله « ما اعنيه بالحداثة : هو العابر والهارب ، ونصف الفن الذي يكون نصفه الاخر هو الابدي والثابت »(٦٣) . وهو اول من صاغ نظرية لها وهي

(٥٨) الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة (مجلة عالم الفكر ـ الجزء الثالث ص ٦ ـ المجلد التاسع عشر سنة ١٩٨٨م) .

(٥٩) لسان العرب (حدث) .

(٦٠) الحداثة ص ٢٣ .

(٦١) الحداثة ص ٢٦ .

(٦٢) الحداثة ص ٢٩ .

(٦٣) اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة (مجلة فصول ج١ ص ١٢) وينظر مدارات نقدية ص ١٧٠ .

عنده : « مركبة شديدة التعقيد ، فهي من الناحية السلبية تدل على عالم المدن الكبيرة الذي يفيض بالعقم والقبح والخطيئة ، عالم الشوارع المسفلتة والاضواء الصناعية والاعلانات واللافتات البشعة ووحدة الانسان الضائع وسط الزحام »[٦٤] ووقف رامبو الموقف نفسه « فكلاهما يكره الحداثة ، اذا كانت تدل على التقدم المادي او التطور العلمي ، وكلاهما يتشبث بها بقدر ما تعطيه من تجارب جديدة تدفعه بخشونتها وسوادها على ان ينشىء فيها قصائد خشنة سوداء »[٦٥] . وتفاوت فهمها باختلاف تعريفاتها واتجاهات النقاد والباحثين فهي :

« ازالة الحدود الادبية التقليدية بين الاقطار » .

وهي عند بعض الامم : « ضرورة ملحة في تطوير تراثها الادبي والفني ، وعدتها بعض الامم نزوة عابرة » .

وهي : « مشكلة حضارية وجمالية في آن واحد » .

وهي : « ظاهرة تاريخية متطورة ، ظاهرة واكبتها فترات من التأزم والتألق » .

وهي : « العدمية والموقف المعادي للحضارة ، وتعني كذلك التحرر من كل ما يمت الى الحضارة بصلة » .

وهي : « تدمير كل ما يمت الى الواقعية بصلة » .

وهي : « اتجاه الى المعرفة التعددية الغامضة » واتجاه الى « تفضيل التجربة على العقل المنظم » .

وهي : «الوعي بالمستقبل » و « التحليل والتأمل » و « الهروب والخيال واطلاق العنان للاحلام » .

وهي : « اما فن العصاب ، واما السعي وراء كل ماهو مهذب ومتصنع

(٦٤) ثورة الشعر الحديث ج١ ص ٧٢ .

(٦٥) ثورة الشعر الحديث ج١ ص ١١٢ .

ولا يمت الى الطبيعة بصلة ، واما التشوق العارم الى التصوف والغموض ، واما انها العواطف غير المقيدة » .

وهي : « ازدراء التراث » وضرب « الصيغ التقليدية الراسخة في تدبر التجارب وتأملها »[٦٦] .

وهي : « نوع من التحطيم الذاتي الخلاق »[٦٧] .

وهي : « تمثل نفيا للماضي وتعلقا بالحاضر ، وخروجا من المعتاد الى غير المعتاد ، ومن المعروف الى غير المعروف »[٦٨] .

وهي : « الغاء تام للذاكرة الشعرية ، ومحاولة ابتداع ما ليس له وجود قبلي عن طريق توحد وجودي بين الارادة والشهود ، بين الحلم والتمثل »[٦٩] .

وهي : « رؤيا جديدة ، وهي جوهريا رؤيا تساؤل واحتجاج ، تساؤل حول الممكن واحتجاج على السائد ، فلحظة الحداثة هي لحظة التوتر اي التناقض والاصطدام بين البنى السائدة في المجتمع وما تتطلبه حركته العميقة التغيرية من البنى التي تستجيب لها وتتلاءم معها »[٧٠] .

وهي : « مفهوم جديد للشعر يغاير كافة المفاهيم التي عرفها التراث ، يغايرها مجتمعة لا فرادى بقدر ما يغاير القرن العشرون كافة ما سبقه من عصور في مجموعها لا كل عصر على حدة ، وهي عند الشعراء الجدد « مفهوم حضاري اولا ، هو تصور جديد تماما للكون والانسان والمجتمع »[٧١] .

وهذه التعريفات والاقوال تؤيد ان مفهوم « الحداثة » غير مستقر ، اذ تفاوت باختلاف الاتجاهات والنقاد والباحثين ، وهو تفاوت يفضي الى إشكالية فهمها

---

(٦٦) ينظر الحداثة ص ١٤، ٢٤، ٢٩، ٣٦، ٤٢، ٥١، ٥٧، ٧١، ١٢١، ١٥٣ .
(٦٧) مجلة فصول ج١ ص ١٤ .
(٦٨) تجليات الحداثة في التراث العربي (مجلة فصول ج١ ص ٦٤) .
(٦٩) اسئلة الشعر ص ٣٩ .
(٧٠) فاتحةلنهايات القرن ص ٣٢١ ، وتنظر مجلة عالم الفكر ج٣ ص ٢٤ .
(٧١) شعرنا الحديث الى أين ص ٨ ، ١١٤ .

فهما علميا دقيقا ، وزاد الامر تعقيدا اضطراب بعض العرب في فهمها ممـا جعلها بعيدة عن الاذهان في كثير من الدراسات الاخيرة ، وما ذلـك إلا لان بعضهم يتمسك باتجاه او ناقد اجنبي غير ما يتمسك به الآخرون ، او يتعصب له وينفي كل مفهوم غيره ، او لا يدرك ما يكتب في الموضوع ادراكا يؤهـله للخوض فيه . وهذا الاختلاف في تحديد المصطلح جعل بعضهم يرى ان ادب الحداثة هو ما جاء به الشعوبيون وغلاة الباطنية ، وما جاء به الحلوليون ودعاة التناسخ في العصر الحديث ، ودعا بعضهم الى هدم التراث ، والقيم الاجتماعية، وما جاءت به الشرائع ، والانطلاق في عالم الرذيلة وتصوير المباذل وصـرع الجنون ، ولو فهم اولئك الحداثة فهما صحيحا ووقفوا منها موقفا ايجابيـا لعرفوا انها افضل ما يسعى اليه الانسان ، وانها الامل الذي تعمل من اجـل تحقيقه البشرية ، ولو تتبع بعض الباحثين العرب الفكر العربي لبنوا حداثـة تنبع من تراثهم وواقعهم ، وتنطلق الى آفاق رحبة من الخير والعطاء . فالحداثة العربية المنشودة ينبغي ان تبنى بناء يستمد اصوله من فكر الامة ويقتبـس اضاءاته من تطلعاتها لا ان تكون شطحات يمليها الخيال الفاسد ، والتصـور القاصر ، والفكر الشاذ . والحداثة العربية رؤية شاملة ، واصالة صريحـة ، وطموح واسع ؛ لانها تؤمن بالحياة وتجددها ، وتستمد اصولها من واقـع الامة ، وتنفتح على الحضارة الانسانية وتقتبس منها ما يلائمها ، وهي مستمرة لا تقف عند مرحلة ، وانما هي سنة الحياة فلا حدود لانطلاقتها المعقولـة ولا زمن لمسيرتها الظافرة ولا سمات ثابتة لها ، انها هوية المبدع الاصيل والرجـل الحصيف .

إن الحداثة حركة مستمرة لا تقف عند الحدود التي رسمت لها ، وانها بناء الحاضر ، واستشراف المستقبل ، وليست نكسة او شذوذا ، وانها استلهام للماضي وليست تقديسا له ، وانها امتداد للتراث الحي وليست تقاطعا ونكرانا وتمردا عليه ، وانها اكتشاف اللغة العصرية التي تستمد اصولها من اللغـة الحية وليست تحطيما لها او خروجا على اسسها ، وانها خلق للادب المعبـر

عن الواقع بصوره الايجابية التي تبني الحياة وتعلي شـأن الانسـان ، وان الحداثة نسغ الحياة الصاعد ، وليست شجرة ميتة تبعثر اوراقها المتساقطة هوج الرياح ، وانها بعد هذا كله امل الانسان في تقدم حياته ، وازدهار حضارته ، ورفعته في هذا العالم الذي تصطرع فيه المذاهب والاتجاهات ، انها بنـــاء الحاضر الزاهر ، وانطلاقته الى المستقبل الباهر .

هذا تحديد واضح للحداثة ، ولو التفت اليه النقاد والباحثون لوجـدوا لهم سبيلا في صياغة مدلول دقيق لمصطلحها الذي ذهبوا فيه كل مذهب ، وعبر كل واحد منهم عن آرائه وسلوكه في الحياة .(٧٢)

هذه الامثلة الثلاثة مما يشيع في الدراسات الادبية والنقدية تشير الـى مدى الاضطراب في وضع المصطلح وتحديـد معناه ، فهنـاك « الاسلوبية » و « علم الاسلوب » وهناك « الشعرية » و « الادبية » وهناك « الحداثـة » و « الحداثانية » ومن يدري فلعل لهذه المصطلحات الثلاثة اسماء اخرى ندّت عن المتابعة ، وهناك التفاوت العظيم في تحديدها ، والنقد وان كان فنا غـير انه لابد من ان يحمل مسحة من العلم وإلاّ انفرط عقده وذهب النقاد والباحثون كل مذهب ، فالمصطلح وتحديده ضروريان ، ومن قبل قـال التهانوي : « إن أكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة والفنون المروجة الى الاساتذة هو اشـتباه الاصطلاح ، فان لكل علم اصطلاحا به اذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الى الاهتداء سبيلا ولا الى فهمه دليلا »(٧٣) . إن إشكالية مصطلح النقـد الادبي المعاصر تتطلب دراسة عميقة للمصطلحات وعودة الى مظانها للوقـوف على معانيها ودلالاتها قبل اشاعتها في الدراسات الحديثة . ويقتضي ذلك وضع معجم نقدي حديث يسهم فيه المجمعيون والمؤلفون والمترجمون ، والادبـاء والنقاد ، ويتم ذلك بخطوات :

---

(٧٢) ينظر بحثنا « الحداثة » ص ١٣٦ وما بعدها .

(٧٣) كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص١ .

الاولى : رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالتها وتغيرها في العهود المختلفة ، والاخذ بما ينفع في النقد الادبي الحديث . وسيجد الباحثون كثيرا من المصطلحات التي تعينهم في نقد الشعر ، وصياغة الكلام ، وتنوع الاساليب ، وقد يظن من لا علم له بمصطلحات البلاغة والنقد عند العرب ان المصطلح النقدي يخص الشعر وحده ، وهذا وهم كبير وما جاء في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة و « معجم النقد العربي القديم » بجزءيه ، يبين ان المصطلح لم يكن خاصا بالشعر وانما شمل النثر والوانه المعروفة في ذلك العهد ، وتضمن ما يتصل باللفظ ، والصياغة ، والتصوير ، والتحسين . فمما يتصل باللفظ الكلام على اللفظة المفردة ، وجرسها وايحائها ، وما يجوز منها في الشعر وما يجوز في النثر ، وما يحسن في الاثنين . ومما يتصل بالتصوير التشبيه ، والتمثيل ، والمجاز بانواعه ـ المجاز العقلي والمجاز اللغوي (الاستعارة والمجاز المرسل) والكناية ، والتورية ، وما يرتبط بها من وسائل الايضاح ، او الابهام والغموض . ومما يتصل بالتحسين ما ادخلوه في « علم البديع » وهو محسنات لفظية ومعنوية لا يستغني عنها الكلام ، لانها تزيده روعة وجمالا اذا وضعت حيث ينبغي لها ان توضع .

فهذه المصطلحات التي ذكرتها كتب البلاغة والنقد ليست خاصة بالشعر كما يظن بعضهم ، وانما هي عامة ترفد النقد الحديث ، وتقدم للناقد المعاصر مصطلحات ، وهو يحلل ، ويقوّم ويطلق الاحكام النقدية . ولكن هل تكفي هذه المصطلحات .

الجواب : لا ، فهناك فنون استحدثت في العصر الحديث وتعاطاها العرب تقليداً او إبداعاً ، ووضعت لها مصطلحات تعبر عنها وتدل عليها ، ولابد من جمع هذه المصطلحات المستحدثة وتنسيقها والاخذ بما ينسجم وروح اللغة العربية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة النظر فيما يستجد من مصطلحات . وهناك عدة وسائل لوضعها ، منها الاشتقاق ، والمجاز ، والترجمة ، والتوليد ، فان

تعذرت هذه الوسائل كان التعريب ــ وهو نقل الكلمة الاجنبية الى العربية على ان لا تخرج عن المنهج الذي تفوهت به العرب في التعريب ــ ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدة مظان ، منها :

١ ــ كتب البلاغة والنقد ، وهي كثيرة مثل : قواعد الشعر لثعلب ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ، وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، والموازنة للآمدي ، والوساطة للقاضي الجرجاني ، وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ، والعمدة لابن رشيق ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، والبديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والمثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، والجامع الكبير ، والاستدراك لضياء الدين بن الاثير الجزري ، وبديع القرآن ، وتحرير التحبير لابن ابي الاصبع المصري ، ونضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر العلوي ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني ، والمنزع البديع للسجلماسي ، والروض المريع لابن البناء المراكشي ، وجوهر الكنز لابن الاثير الحلبي ، والتلخيص والايضاح للخطيب القزويني وتلخيصاتهما وشروحهما ، وشرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي ، وخزانة الادب لابن حجة الحموي ، وانوار الربيع لابن معصوم المدني ، والفتح المبين في مدح الامين لعائشة الباعونية ، ونفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار لعبدالغني النابلسي ، وغيرها من كتب البلاغة والنقد ، والبديعيات وشروحها التي ذكرت كثيرا من المصطلحات •

٢ ــ كتب الادب ومنها : طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، وزهر

الاداب للحصري القيرواني ، ونفح الطيب للمقري •

٣ ـ كتب اللغة المختلفة ، واهمها المعاجم •

٤ ـ كتب التفسير وعلوم القرآن مثل : معاني القرآن للفراء ، ومجاز القرآن لابي عبيدة ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، والكشاف للزمخشري ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ، والاتقان ، ومعترك الاقران للسيوطي •

٥ ـ كتب الفلاسفة المسلمين مثل : الخطابة والعبارة ، والشعر والمجموع ـ او الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ـ لابن سينا ، وقوانين صناعة الشعراء ، وجوامع الشعر ـ او الشعر لابي نصر الفارابي ، وتلخيص كتاب ارسطو طاليس في الشعر لابن رشد •

٦ ـ كتب المصطلحات واهمها : التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ، والكليات لابي البقاء الكفوي ، وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي المعروف بالتهانوي • وفي هذه الكتب كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية ، وقد تضمنها « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة ـ وفيه اكثر من الف مصطلح و « معجم النقد العربي القديم » بجزءيه ـ وفيه اكثر من ثمانمائة مصطلح ـ وبذلك تيسر الوقوف على المصطلحات وتطورها من خلال هذين الكتابين أو المعجمين •

الثانية : جرد اهم الكتب الادبية والنقدية مثل : كتب طه حسين ، واحمد حسن الزيات ، وعباس محمود العقاد ، وزكي مبارك ، ومحمد مندور ، ومحمد النويهي ، ومحمد غنيمي هلال ، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد •

الثالثة : جرد اهم كتب مصطلحاب الادب والنقد الحديثة مثل : المصطلح في الادب الغربي للدكتور ناصر الحاني ، ومعجم مصطلحاب الادب لمجدي وهبة ، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والادب لمجدي وهبة وكامل المهندس:

والمعجم الادبي للدكتور جبور عبدالنور ، وغيرها من المعاجم الادبية والنقدية الحديثة التي ظهرت في مشرق الوطن العربي ومغربه .

الرابعة : جرد اهم كتب الفلسفة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفنون ، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الادبي او تعين عليه . وهذه الكتب مهمة بعد ان اصبحت المعارف الانسانية متداخلة ، واصبح الادب يعتمد على الفنون التشكيلية ، ويقبس من علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة بعض اصوله ونظرياته .

الخامسة : جرد اهم كتب الادب والنقد المترجمة مثل : نظرية الادب لاوستن وارين ورينيه ويلك ، ونظرية الادب لعدد من الباحثين السوفيت المختصين بنظرية الادب والادب العالمي ، ومناهج النقد الادبي لديفد ديتش ، وسيرة ادبية لكولردج ، والنقد الادبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمان ، والتجربة الخلاقة لبورا ، واسس النقد الادبي الحديث ، ونقاد الادب لجورج واتسون ، وغيرها من الكتب المهمة التي ترجمت في السنوات الاخيرة ، وهي كتب ضمت كثيرا من المصطلحات التي تنفع في وضع المعجم ، وان كان بعضها يحتاج الى اعادة النظر او التعديل .

السادسة : الاطلاع على بعض موسوعات الادب الاجنبي ونقده بلغاتها الاصلية كموسوعة كاسل للادب العالمي ، وموسوعة النقد الادبي .

السابعة : الاستعانة ببعض المعاجم الاجنبية لتحديد معنى المصطلح اللغوي ، والوقوف على دلالته كما تصورها المعاجم الاجنبية ولاسيما معجم اكسفورد الكبير .

الثامنة : تصنيف ما يجمع من التراث القديم والفكر الجديد بحسب حروف الكلمة لتسهل مراجعة المصطلح مثل : « الاخبارية ، الارجوانية ، الاسطورية ، الاسلوب الساخر ... » وهذه هي الطريقة المتبعة في وضع معاجم المصطلحات ، وقد سار عليها « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها »

و « معجم النقد العربي القديم » وغيرها من المعاجم الادبية والنقدية التي صدرت في السنوات الاخيرة .

التاسعة : تعريف المصطلح تعريفا وافيا ، والوقوف على اختلاف المذاهب الادبية في تحديده ، وذكره بلغة اجنبية واحدة او اكثر لمعرفة المقابل الاجنبي والاستفادة منه عند الترجمة او التأليف ، ويبقى المصطلح العربي الاصيل اساسا في عرض المصطلحات ولاسيما ما استقر منها واصبح اكثر دلالة من غيره .

وينبغي أن تكتب المواد باسلوب واحد ومنهج واحد ، وان تراعى فيها الدقة العلمية ، وينبغي أن يضاف الى المعجم بين حين وآخر ما يستجد من مصطلحات ، وان يعدل بعضها ليواكب الحياة الادبية المتجددة .

وليس هذا العمل بمستحيل اذ يقدر عليه عدة باحثين من ذوي النظرة الموسوعية ، والذوق السليم ، وقد ينهض به مجمع عربي او اتحاد المجامع العربية او مؤسسة ثقافية تعي قيمة هذا المشروع الجليل .

ان الشكوى من « إشكالية المصطلح » ستظل ما دام المعجم النقدي الحديث بعيدا عن التحقيق ، وسيظل الادباء ، والنقاد ، والمؤلفون والمترجمون في نقاش لا يوصل الى السبيل القويم ما داموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق امامهم ، ويجعلهم يصدرون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد واضح دقيق . وقد تقف امام المشروع مشكلات ، ولكن الاصرار على العمل يذلل المصاعب ، وما نظن ان ما قام به عالم في القديم يعجز عنه العلماء والادباء والنقاد في العصر الحديث .

(٦)

هذه نظرة في « إشكالية مصطلح النقد الادبي المعاصر » وقد كتبت بعد متابعة علمية طويلة وتجربة تدريسية واعية ، وهي خلاصة لمعاناة في البحث ظهرت في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة و « معجم

النقد العربي القديم » بجزءيه ، وهما معجمان اريد بهما استقراء القديم لوضع اسس ثابتة تستند اليها المعاجم الحديثة ، لان الجديد امتداد للقديم وفهم له ، ولان التجديد قتل القديم درسا ، ولن يزهر حاضر من غير ماض باهر ، ولن يشرق مستقبل من غير حاضر زاهر • وظهرت المتابعة والتجربة والمعاناة في البحوث الخمسة التي ظهرت في « المصطلح النقدي » و « النقد البلاغي » و « الاسلوبية » و « الشعرية » و « الحداثة » ويمثل البحثان الاولان تمهيدا للانطلاق الى البحوث الثلاثة الاخرى ، وهي في مصطلحات نقدية شاعت اخيرا ، ووجدت اهتماما كبيرا من الادباء ، والنقاد ، والمثقفين • وكانت الوقفة عندها علمية وان بدت فيها نزعة تريد ان تؤصل المصطلحات ، وتجعلها تنطق بواقع الثقافة العربية • ولولا تلك المتابعة والتجربة والمعاناة ما كتب هذا البحث بل ما كان الاقدام عليه ، لانه ليس سبحات تدون ورغبات تعلن ، وانما هو مسؤولية يحملها من آمن بربه وامته التي تسعى الى ان تؤم مطلع الشمس ويكون لها اثر في الحضارة الانسانية وتقدم العالم وازدهاره •

المصـــــــادر :

١ ـ اسئلة الشعر ـ منير العكش بيروت ١٩٧٩م .

٢ ـ الاسلوبية الى اين ؟ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ـ الجزء الثالث ـ المجلد التاسع والثلاثون ـ محرم ١٤٠٩ هـ ـ ايلول ١٩٨٨م) .

٣ ـ الاسلوبية والاسلوب ـ الدكتور عبدالسلام المسدي . الطبعة الثانية ـ تونس ١٩٨٢م .

٤ ـ البلاغة والاسلوبية ـ الدكتور محمد عبدالمطلب ـ القاهرة ١٩٨٤م .

٥ ـ البلاغة والاسلوبية ـ هنريش بليت . ترجمة الدكتور محمد العمري . الدار البيضاء ـ المغرب ١٩٨٩م .

٦ ـ بنية اللغة الشعرية ـ جان كوهين . ترجمة محمد الولي ومحمد العمري . الدار البيضاء ـ المغرب ١٩٨٦م .

٧ ـ البيان والتبيين ـ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨ .

٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .

٩ ـ ثورة الشعر الحديث ـ الدكتور عبدالغفار مكاوي . القاهرة ١٩٧٢م .

١٠ـ الحداثة ـ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني ـ المجلد الاربعون ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) .

١١ ـ الحداثة ـ تحرير مالكم برادبري وجيمس ماكفارلن . ترجمة مؤيد فوزي . بغداد ١٩٨٧م .

١٢ـ الحيوان ـ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م .

١٣ـ دفاع عن البلاغة ـ احمد حسن الزيات . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٧م

١٤ـ دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمود محمد شاكر . القاهرة ١٩٨٤م .

١٥ ـ دليل الدراسات الاسلوبية ـ الدكتور جوزيف ميشال شريم . بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١٦ـ شرح ديوان الحماسة ـ ابو علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ـ تحقيق احمد امين وعبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م

١٧ـ شعرنا الحديث الى اين ؟ غالي شكري . القاهرة ١٩٦٨م .

١٨ــ الشعرية ــ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ــ الجزءان الثالث والرابع ــ المجلد الاربعون ــ ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م)
١٩ــ الشعرية ــ تزفيتان تودوروف ــ ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة. الدار البيضاء ــ المغرب ١٩٨٧م .
٢٠ــ الشعرية العربية ــ علي احمد سعيد (ادونيس) بيروت ١٩٨٥م .
٢١ــ الصورة الشعرية ــ سي. دي لويس . ترجمة الدكتور احمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن ابراهيم . بغداد ١٩٨٢م .
٢٢ــ فاتحة لنهايات القرن ــ علي احمد سعيد (ادونيس) بيروت ١٩٨٠م .
٢٣ــ في الاسلوب الادبي ــ علي بو ملحم بيروت ١٩٦٨م .
٢٤ــ في الشعرية ــ الدكتور كمال ابو ديب . بيروت ١٩٨٧م .
٢٥ــ في فلسفة النقد ــ الدكتور زكي نجيب محمود بيروت ــ القاهرة ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .
٢٦ــ كتاب الصناعتين ــ ابو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .
٢٧ــ كشاف اصطلاحات الفنون ــ محمد علي الفاروقي التهانوي . تحقيق الدكتور لطفي عبدالبديع . القاهرة ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م .
٢٨ــ لسان العرب ــ ابن منظور .
٢٩ــ مجلة آداب المستنصرية ــ تصدرها كلية الاداب بالجامعة المستنصرية ــ بغداد (الجزء السادس عشر ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م) .
٣٠ــ مجلة عالم الفكر ــ (الكويت الجزء الثالث المجلد التاسع عشر ١٩٨٨م) .
٣١ــ مجلة فصول ــ (القاهرة ــ الجزء الاول ــ المجلد الخامس ١٩٨٤م) .
٣٢ــ مجلة المجمع العلمي العراقي ــ بغداد :
١ ــ الجزء الثاني والثالث ــ المجلد الثامن والثلاثون . شوال ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .
٢ ــ الجزء الرابع ــ المجلد الثامن والثلاثون . ربيع الثاني ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م .
٣ ــ الجزء الثالث ــ المجلد التاسع والثلاثون . محرم ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م .
٤ ــ الجزء الثاني ــ المجلد الاربعون ١٤٠٩م ــ ١٩٨٩م .
٥ ــ الجزءان الثالث والرابع ــ المجلد الاربعون ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م .
٣٣ــ مدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثة والابداع ــ فاضل ثامر . بغداد ١٩٨٧م .

٣٤ـ المصطلح النقـدي ـ الدكتور احمد مطلـوب (بحث نشر في مجلة المجمـع العلمي العراقي ـ الجزء الرابع ـ المجلد الثامن والثلاثون ـ ربيع الثانـي ١٤٠٨هـ ـ كانون الاول ١٩٨٧م) .
٣٥ـ معجم مصطلحات الادب ـ مجدي وهبة بيروت ١٩٧٤م .
٣٦ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ـ الدكتور احمد مطلوب . بغـداد ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م وما بعدهـا . والطبعـة الثانيـة ـ مكتبـة لبنان ـ بيروت ١٩٩٦م.
٣٧ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ـ مجدي وهبة وكامل المهندس بيروت ١٩٧٩م .
٣٨ـ معجم النقد العربي القديم ـ الدكتور احمد مطلوب . بغـداد ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م . والطبعة الثانية ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٩٨م .
٣٩ـ مقدمة ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن خلدون . دار الكشاف بيروت .
٤٠ـ مقدمة في علم المصطلح ـ الدكتور علي القاسمي . بغداد ١٩٨٥م .
٤١ـ مناهج بلاغية ـ الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
٤٢ـ المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع ـ ابو محمد القاسم السجلماسي. تحقيق علال الغازي . الرباط ـ المغرب ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م .
٤٣ـ منهاج البلغاء وسراج الادباء ـ ابو الحسن حازم القرطاجني . تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة . تونس ١٩٦٦م .
٤٤ـ الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ـ ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. تحقيق السيد احمد صقر. القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م .
٤٥ـ نظرية الادب ـ اوستن وارين ورينيه ويليك . ترجمة محيي الدين صبحي. دمشق ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .
٤٦ـ النقد الادبي الحديث ـ الدكتور محمد غنيمي هلال . الطبعة الثالثـة . القاهرة ١٩٦٤م .
٤٧ـ النقد البلاغي ـ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني والثالث ـ المجلد الثامن والثلاثـون. شـوال ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٤٨ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر . تحقيق كمال مصطفى . القاهرة ١٩٦٣م.
٤٩ـ نقد النقد ـ تزفيتان تودوروف . ترجمة الدكتور سامي سويدان . الطبعة الثانية ـ بغداد ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٥٠ ـ النقد والحداثة ـ الدكتور عبدالسلام المسدي . بيروت ١٩٨٣م .

مضمون النفل في المنهج الاقتصادي الاسلامي

أ.د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي
كلية الآداب/جامعة بغداد

المقدمة

عالج النهج الاقتصادي الاسلامي مواضيع عدة ، يأتي « النفل » في جملتها . ولكي ندرك مضمون « النفل » في النهج الاقتصادي الاسلامي ، يجدر بنا أن تتلمس معنى مفردة « نفل » لغة . قال ابن منظور : نفله نفلا ، وأنفلته إياه ، ونفله بالتخفيف . ونفلت فلانا نفلا أعطيته نفلا وغنما . ونفل الامام الجند ، جعل لهم ما غنموا . والنافلة الغنيمة ، والانفال جمع مفردة « نفل »[1] . وسميت الغنائم انفالا ،لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم. والنفل التطوع ، والنافلة العطية عن يد[2] .

وتعني مفردة « نفل » ما يفعله الانسان مما لا يجب عليه . وبه سميت بعض العبادات « النوافل » لانها زائدة عن الفرائض المقررة[3] . والانفال كل احسان فعله فاعل تفضيلا من غير ان يجب ذلك عليه . « والنفل » هو الذي احله الله للمؤمنين من أموال عدوهم . أو هو الشيء الذي خصهم الله

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ٣ ، ص‌ص ٦٩٤ـ٦٩٥ « مادة نفل » .

(٢) ن.م. الزبيدي ، تاج العروس ، جـ٨ ، ص١٤١ « مادة نفل » .
الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٦٧٤ « مادة نفل » .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ٣ ، ص٦٩٥ « مادة نفل » . الحلي ، كنز العرفان ،ص ٢١٦ .
الزبيدي ، تاج العروس ، جـ٨ ، ص١٤١ ، « مادة نفل » . الرازي ، مختار الصحاح ، ص٦٧٤ « مادة نفل » .

تطولاً منه عليهم ، بعد ان كانت الغنائم محرمة على الامم قبلهم ، فنفلهما الله عزّ وجلّ هذه الامة[٤] .

والنفل هي عطية زائدة ، أو مضافة ، يتفضل بها الامام تطوعا على شخص ما ، إذا خصه بشيء زائد عن سهمه من الغنيمة ، وذلك تثمينا وتشجيعا لمن يبدي عناية ونكاية للعدو[٥] . إلا أن بعض الفقهاء الذين تناولوا في اتاجهم مسألة الغنائم وحكم أراضي العنوة ، أطلقوا احيانا على مفهوم « النفل » الفيء[٦] . ومنهم من قال : ان الانفال ما شذّ من المشركين الى المسلمين ؛ من عبد ، او دابة ، أو متاع . ويبدو ان المقصود بهذا ليس الانفال ، وانما الفيء ، لانه تم الحصول عليه بدون قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب[٧] .

بدء النفل

ترد أول إشارة الى مفهوم « النفل » في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ للهِ والرَّسُولِ »[٨] . ون هذه الآية نزلت بعد معركة بدر سنة ٢هـ/٦٢٣م[٩] ، على اثر اختلاف المسلمين في كيفية تقسيم المغنم[١٠] ، وكان المقصود بمفردة « الانفال » في

(٤) ابو عبيد ، الاموال ، ص٣١٧ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ص٦٨٢ . الزبيدي ، تاج العروس ، جـ٨ ص ١٤٣ .
(٥) ابو عبيد ، الاموال ، ص٣١٨ . ابن زنجوية ، جـ٢ ، ص٦٨٤ . الطبري ، جامع البيان ، جـ٩ ، ص ١٧١ .
(٦) ينظر : الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٢٧ . ابو يعلي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٢٢ .
(٧) ينظر : ابو عبيد ، الاموال ، ص٣١٥ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٧٨ ، الطبري ، جامع البيان ، جـ ٩ ، ص ١٦٩ .
(٨) سورة الانفال ، آية ١ .
(٩) ينظر التفاصيل الكاملة عن معركة بدر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٣٦ وما بعدها .
الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ٢ ، ص٤٢١ وما بعدها . ابن الاثير الكامل ، ج٢ ، ص١١٦ وما بعدها .
(١٠) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٦ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٩٨ . الطبري ، جامع البيان ، جـ٩ ، ص ١٧٢ . النيسابوري ، اسباب النزول ، ص ١٣٢ .

هذه الآية الغنائم[١١] . ويبدو ان الله تعالى جعل أمر الانفال الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يتصرف بها كما يراه اصلاحا للاسلام والمسلمين . فقسمها بينهم دون أن يخمسها[١٢] ، لان آية الخمس لم تنزل بعد . وذكر « ابو عبيد » ان الرسول صلى الله عليه وسلم نفل بعض المقاتلة على قدر الدفاع عن الاسلام والنكاية بالعدو . فقد خصهم بأعطية زائدة عن سهمهم من الغنيمة[١٣] . ذلك ان النفل هو ما يفضل به الامام بعض المقاتلة عدا سهمه، عندما يرى تميزه باداء القتال عن اقرانه المقاتلة[١٤] . قال ابو يوسف : لا بأس ان ينفل الامام ، أو واليه على الجيش بمستوى أفراد أو جماعات[١٥] .

ولذلك نستطيع القول ، ان النفل كانت بدايته إبان معركة بدر[١٦] ، وانه سبحانه وتعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، في كتابه العزيز : « يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال »[١٧] . فهذا الخطاب موجه الى النبي ، ولكل من قام مقامه في ادارة امور المسلمين . والتحريض هنا بالنفل . فأن المقاتلين قد لا يخاطرون بأنفسهم إن لم يخصوا بشيء من المصاب ، فاذا خصهم الامام بذلك ، فذلك يدفعهم على المخاطرة بأرواحهم والقاء انفسهم في حلبة العدو[١٨] .

(١١) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٤ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٦٧٦ .

(١٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٥ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٦٧٨ .

(١٣) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٦ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٦٩٨ . الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ٢ ، ص ٤٤٨ .

(١٤) ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ص ٦٨٤ . الشافعي ، الام ، جـ٤ ص ٦٨ . الطبري ، جامع البيان ، جـ٩ ، ص ١٧١ . قدامة ، الخراج ، ص ٢٣٧ .

(١٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٩٧ . الطبري ، جامع البيان ، جـ٩ ، ص١٦٩

(١٦) ابو داود ، سنن ، جـ٢ ، ص ٧٠ . الطبري ، جامع البيان ، جـ٩ ، ص ١٧٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٢ ، ص ١٧٠ .

(١٧) سورة الانفال ، آية ٦٥ .

(١٨) السرخسي ، شرح ، جـ٢ ، ص ٥٩٤ . الطبري ، جامع البيان ، جـ٩ ، ص ٤٠ .

ويبدو ان الله سبحانه وتعالى جعل للمقاتلة الاجر والثواب في الاخرة ، ونيل مرضاته واحسانه في الحياة الدنيا ، إذ أحلّ لهم الغنائم ، وفاضلهم في النفل على قدر نكاية بعض الرجال لعدوهم[١٩] .

ومن استقرائنا للنصوص يتضح أن المقصود بالنفل ، مازاد على حصة المقاتل في سهام المغنم[٢٠] . ففي يوم بدر اراد سعد بن أبي وقاص أن يحصل على نفل إلا ان الرسول صلى الله عليه وسلم رفض ذلك . قال : فما جاوزت الرسول صلى الله عليه وسلم الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال : « يَسْأَلُونَكَ عن الأنْفَالِ قُلِ الأنْفَالُ للهِ والرسُولِ »[٢١] ، وعندئذ منحه الرسول صلى الله عليه وسلم سيفا[٢٢] ، ذلك ان الله سبحانه وتعالى أنزل حكمه بشأن ذلك ، إذ جعل أمر الانفال مقتصرا على رسوله ، له حق التصرف فيه ، وعند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، انسحب أمر الانفال من بعده الى الامام[٢٣] ، وهذا ما يراه الامامية ، حيث اجازوا اعطاء النفل إذا كان بالمسلمين ضعف ، واذا احتيج اليه يستحب[٢٤] .

وهنا يتضح ان النفل كان يمنح للمقاتلة وقت الحاجة ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينفل في كل مغازيه ، بل نفل في بعضها ، وكان ذلك على وجه الاجتهاد من الامام[٢٥] . وعن عبدالله بن عمر ان الرسول صلى

---

(١٩) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٨ . قدامة ، الخراج ، ص ٢٣٧ .
(٢٠) ابو يوسف ، الخراج ، ص‌ص ١٩٧–١٩٨ . ابو عبيد ، الاموال ، ص٣١٨
(٢١) سورة الانفال ، آية ١ .
(٢٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٤ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٧٦ . ابو داود ، سنن ، جـ٢ ، ص ٧٠–٧١ . النيسابوري ، اسباب النزول ، ص ١٣٢ .
(٢٣) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٣٢ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٧١١ .
(٢٤) الطوسي ، الاقتصاد ، ص ٤٢٨ .
(٢٥) ينظر : مالك ، الموطأ ، جـ٢ ، ص٤٥٦ . الشافعي ، الام ، جـ٤ ، ص٦٨ .

الله عليه وسلم ، كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة[٢٦] .

الناسـخ والمنسـوخ فـي الانفـال

أثَرَ الناسخ والمنسوخ في مسألة الانفال الذي يعد احد روافـد الفكر الاسلامي ، ولا سيما في آية الانفـال . فبرز رأيـان بشـأن قوله تعالـى : « يَسْأَلُونَكَ عن الأنْفَالِ قُلِ الأنْفَالُ للهِ والرسُولِ »[٢٧] . الرأي الاول : ان آية الانفال لم تنسـخ ، والدليل على ذلـك اسـتمرار العمـل بمضمونها حتى نزول آية الغنيمة . وان الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان ينفل المسلمين سواء كانوا افرادا ام جيوشا . ولا يوجد في الآية الكريمـة ما يوحي الى ان حكمها منسوخ ، لان النسخ إلا ما أبطل حكمه جاءت حكـم بخلافه ينفيه من كل معانيه ، أو يأتي خبر يوجب الحجة ان احدهما ناسـخ الآخر[٢٨] . لذا فأن آية الانفال لم تنسخ وان الأئمة والولاة قد ساروا علـى هديها فيما بعد . اما الرأي الثاني : « ان آية الانفال نسـخت ، واصـبح مضمونها لا يعمل به »[٢٩] . إذ نزلت آية اخرى أجابت عن التساؤل الموجود في سورة الانفال ، حيث قال تعالى : « واعلَموا أنمَا غَنِمْتُم من شيءٍ فَأنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرسول ولذي القُربى واليَتامى والمسَاكينِ وَابنِ السَبِيْلِ »[٣٠] . وبذلك اصبح حكما ربانيا يعمل على وفق ما جاء بـه وأوقف العمل بآية الانفال .

وسبق ان قلنا ان مفردة « النفل » تعني العطية الزائدة على الاستحقاق ، والغاية منها رفع معنويات الجند وحثهم على القتال والجهاد إبتغاء مرضـاة الله عزّ وجلّ . وأصبح ذلك سياقا ثابتا يعمل به لمن جاء بعد الرسول صـلى

(٢٦) ابن حنبل المسند ، جـ٩ ص ١١٩ . ابو داود ، سنن ، جـ٢ ، ص٧٢ . الشافعي ، الام ، جـ٤ ، ص ٦٨ .
(٢٧) سورة الانفال ، اية ١ .
(٢٨) الطبري ، جامع البيان ، جـ٩ ، ص١٧٦ .
(٢٩) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٦ . ابن زنجوية ، جـ٢ ، ص ٦٧٨ .
(٣٠) سورة الانفال ، اية ٤١ .

الله عليه وسلم ، من الائمة • ومما يعزز هذا الرأي ويؤكده ان النفل بقـــى اسلوبا ملازما يعمل به في الدولة الاسلامية ، وان الامام او من ينوب عنه لــه حق أن ينفل من يشاء من الجند • وتشير النصوص الى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينفل قبل ان تنزل فريضة الخمـــس في المغنم ، لان ذلك كـــان متروكا له حسب آية الانفال • فلما نزلت آية الغنيمة ، ترك النبي عليه الصلاة والسلام النفل الذي كان ينفله من مجموع الغنيمة ، وصار النفل من خمـــس الخمس ؛ سهم الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم(٣١) •

وبشأن الغنائم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « •••• ومالي فيها إلا الخمس ، والخمس مردود اليكم »(٣٢) • ومن هنا يتضح ان النفل كـــان يتم من الخمس • ومما يؤكد ذلك أن أبا داود اورد حديثا للرسول صلـــى الله عليه وسلم ، قال فيه : « لا نفل إلا بعد الخمس »(٣٣) ، وقال أبو يوسف : لا بأس ان ينفل الامام ، أو واليه على الجيش الرجال او السرية بشـــرط قبل ان تحرز(٣٤) •

وروي عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لا نفل في اولى الغنيمة ، ولا بعد الغنيمة »(٣٥) • ولعله يعني ان لا نفل في بدء لقاء العدو لان معنويات الجيش مازالت عالية ولا تحتاج الى تحريض • « اما بعد الغنيمة » ولعله يريد بها انها اصبحت من حق من حاز عليها • وقد يكون قد قصـــد بقوله هذا ان النفل مقتصر حصرا على الخمس •

ويبدو ان للنفل صيغة محددة ، كأن يقول الامام ، أو واليه على الجيش: من قتل قتيلا فله سلبه • أو من خرج فأصاب كذا او كذا فله منه كذا • او من

(٣١) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٨ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٧٠٠.
(٣٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٧ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٨٠.
(٣٣) ابو داود ، سنن ، جـ٢ ، ص ٧٤ .
(٣٤) ينظر : الخراج ، ص ١٩٧ .
(٣٥) السرخسي ، شرح كتاب السير ، جـ٢ ، صص ٦١٢-٦١٣ .

أصاب شيئا فله منه كذا او كذا ، او من أصـــاب شيئا فهو له لا خمس عليه . او ان يبعث الامام سرية الى ارض العدو ويقول لهم ما أصبتم من شيء فلكم منه النصف أو الثلث ، او الربع ، او الخمس[٣٦] . وهذا يدل على ان ليـــس للنفل حد لا يجاوزه الامام ، وان تنفيله يتم على الاجتهاد في الاعم الاغلب[٣٧] .

مـــواد النفـــل

يوجد خلاف بين الفقهاء في تحديد المواد التي يحق للامام أن ينفل منها . قال ابو عبيد : ان رجلا سأل عبدالله بن عباس ما الانفال ؟ . فقال : « الفرس والدرع والرمح »[٣٨] . وقوله هذا ان المواد التي ينفل منها هي آلة القتـــال وعدته . في حين قال آخرون ان النفل في الاموال كلها من الذهب والفضـــة وغير ذلك . فاذا قال الامام ؛ من قتل قتيلا فله سلبه ، فقتـــل مسلم رجلا من جيش العدو ، وكان معه دراهم ، أو دنانير ، أو سيف فيه فضه ، أو ســـوار من ذهب ، أو قرط من ذهب ، أو منطقة من فضة أو ذهب فذلك كله له[٣٩] . بينما يرى فريق آخر : أن لا نفل في ذهب أو فضة ، وإنما النفل فيما يكون من الامتعة ، فاما في أعيان الاموال فلا ، والذهب والفضة عين مال ، فيكـــــون مقررا فيها حكم الغنيمة[٤٠] . ويرد السرخسي على أصحاب هذا الرأي فيقول : بما ان التنفيل يأتي مقابل المخاطرة بالنفس ، وهي أغلى شيء عند الانســـان ، فعندئذ يستوي في النفل الاموال وغيرها ، وحجته في ذلك ان الرسول صلى

---

(٣٦) ينظر : ابو يوسف ، الخراج ، ص‌ص ١٩٧-١٩٨ . الطبـــري ، جامـــع البيان ، جـ٩ ، ص١٦٩ .

(٣٧) الشافعي ، الام ، جـ٤ ، ص ٦٨ .

(٣٨) الاموال ، ص ٣١٥ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٧٦ .

(٣٩) السرخسي ، شرح كتاب السير ، جـ٢ ، ص ٦١٦ . قدامة ، الخـــراج ، ص ٢٨٠ .

(٤٠) مالك ، المدونة ، جـ٢ ، ص٣٠ . السرخسي ، شرح كتاب الســـــير ، جـ٢ ، ص ٦١٦ .

الله عليه وسلم نفل عبدالله بن مسعود سيف أبي جهل ، وكان عليه فضة[٤١] وان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجاز البراء بن مالك في اخذ سلب مرزبان « الزارة »[٤٢] عندما قتله ، وذكر ان عليه منطقة ذهب فيها جوهر[٤٣].

ويرى الامامية أن النفل ما اخذ من أهل دار الحرب ، كالارض التي جلا عنها أهلها ، وميراث من لا وارث له ، وقطائع الملوك إذا لم تكن مغصوبة ، وبطون الاودية والاراضي الموات . فان هذه لله ولرسوله ، وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالحه ومصالح المسلمين[٤٤] .

اقسام النفل :

حدد النهج الاقتصادي للانفال التي ينفلها الامام ، أو من ينوب عنه أربع سنن ، لكل واحدة منها موضع غير موضع الاخرى ، هي :

١ ــ النفل الذي لا خمس فيه . أي النفل من السلب .

٢ ــ النفل من الغنيمة بعد اخراج الخمس .

٣ ــ النفل الذي يكون من الخمس نفسه .

٤ ــ النفل من جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء[٤٥] .

النفل الذي لا خمس فيه :

نقصد بالنفل الذي لا خمس فيه الاسلاب التي كانت تعطى كلها لمن قتل أصحابها أي أن هذه الاسلاب لا تخمس وإنما تعطى الى من حصل عليها

---

(٤١) ن.م. (ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ ، ص ١٥٢) .

(٤٢) الزارة : قرية كبيرة بالبحرين ، ينظر : ياقوت ، البلدان ، جـ٢ ، ص٦٠٦ .

(٤٣) قدامة ، الخراج ، ص ٢٨٠ . الحلي ، كنز العرفان ، ص ٢١٦ .الماوردي الاحكام ، ص ١٢٧ .

(٤٤) الحلي ، كنز العرفان ، ص ٢١٦ .

(٤٥) ابو عبيد ، الاموال ، صص ٣١٨-٣١٩ . قدامة ، الخراج ، ص ٢٣٧ .

سواء كانت كثيرة أم قليلة(٤٦) . ولدينا أمثلة على أسلاب نقلت لاصحابها دون ان تخمس(٤٧) . ففي هذا الشأن ذكر الطبري أن الحمزة بن عبدالمطلب، والامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعبيدة بن الحارث أخذ كل منهم سلبا دون ان يخمس(٤٨) . وقال « ابو عبيد » أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعطى كل قاتل سلب قتيله على وجه النفل دون ان يخمس(٤٩) . وكرر هذا النهج خلال معركة حنين(٥٠) . واستمر هذا السياق بشأن نفل الاسلاب حتى الشطر الاول من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذ طرأ تطور في هذه المسألة اوجب تخميس السلب قبل أن ينفل لمن حصل عليه . وكان اجتهاد الخليفة عمر رضي الله عنه ان مبالغ ، أو قيم الاسلاب زادت كثيرا الامر الذي جعل الخليفة يقول : « كنا لا نخمس الاسلاب ، وان سلب البراء بلغ مالا ، فأنا خامسه . فكان اول سلب خمس في الاسلام »(٥١) . وقد قدر ابو عبيد ما حصل عليه البراء بن مالك بثلاثين ألف درهم(٥٢) . ومما يدعم اجتهاد الخليفة عمر في تخميس السلب أن رجلا من اهل العراق قدم الى عبدالله بن عباس يسأله عن السلب ، فقال له : « السلب من النفل ، وفي النفل الخمس »(٥٣) .

والمبدأ الذي سار عليه المنهج الاقتصادي الاسلامي ، ان القاتل يستحق سلب قتيله عندما يحصل القتل قبل التقاء الجيشين او بعده . أما من قتله في

---

(٤٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٣٩ .
(٤٧) ن.م.
(٤٨) تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص ٤٤٥ و٤٤٨ .
(٤٩) الاموال ، ص ٣٢١ .
(٥٠) ن.م. ، ص ٣٢٢ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٨٦ .
(٥١) ابو عبيد ، الاموال ، صص ٣٢٠–٣٢١ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٩٥ .
(٥٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢١ .
(٥٣) ن.م. ص ٣٢٣ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٧٧ .

حالة التحام الحرب فلا يستحقه[٥٤] . ولعل سبب ذلك ان القتل تم في اثناء التحام الجيشين وعندئذ يكون الجهد جهدا عاما لجميع الجيش . اما إذا تم القتل قبل التحام الجيشين وبعده ، فهو يعد مجهودا فرديا يستحق عليه النفل والثناء .

٢ ـ النفل من الغنيمة بعد اخراج الخمس :

تشير النصوص الى جواز اعطاء النفل من أربعة أخماس الغنيمة التي هي حصة الجند الذين حصلوا عليها بعد اخراج الخمس منها . كأن « يوجه الامام السرايا فيكون للسرية ما جاءت به الربع ، او الثلث ، او ما رأى بعد الخمس »[٥٥] . ومما يعزز هذا الرأي ويؤكده ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا نفل إلا بعد الخمس »[٥٦] . وقال أبو عبيد[٥٧] وابن زنجوية[٥٨] ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينفل الربع في بدأته ، والثلث في الرجعة . واورد لنا « ابو عبيد » رواية عبادة بن الصامت التي قال فيها : « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفلنا في بدأته الربع ، وحين قفلنا الثلث »[٥٩] .

وأول « ابو عبيد » نفل السرايا ، في أن يدخل الجيش في ارض العدو ، فيوجه الامام منها السرايا في بدأته ، فيجوبون الارض يمينا وشمالا مخاطرين بأنفسهم ، في حين يمضي الامام في بقية عسكره ، امامهم ، وقد واعد امراء السرايا أن يوافوه في مكان محدد اتفقوا عليه . فإن أتت السرايا

(٥٤) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢١ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٩٠.
(٥٥) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٩ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٨٤. قدامة ، الخراج ، ص ٢٣٧ .
(٥٦) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٥ ، ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٦٩٦.
(٥٧) الاموال ، ص ٣٢٥ .
(٥٨) الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٩٦ .
(٥٩) الاموال ، ص ٣٢٦ .

بالمغانم ، عزل الخمس منها ، ثم أخذ الربع مما بقى وجعله نفلا خاصا لمن اتى به؛ وبعدئذ يقسم ما بقي على جميع الجند ، بمن فيهم افراد السرايا بالسوية . ثم ينقل الامام بعد رجوع الجيش فيعطيهم الثلث بعد الخمس(٦٠) .

وعندي ان اشراك كل المقاتلة مع افراد السرايا في غنائمهم ، بعد اخذ السرايا لأنفالهم ، متأت من ان جميع العسكر ردء للسرايا التي احرزت المغنم ، يشدون عضدهم وينصرونهم اذا استوجب الامر ذلك ، وان كانت السرايا قد حووا الغنيمة والعسكر غَيْبٌ" عنها(٦١) . وقال « ابو عبيد » : واحسبهم ذهبوا الى أنهم لا يدرون لعلهم لا يغنمون بعد هذه الغنيمة شيئا ، فاحبوا الاسوة بينهم لكي لا يرجع العسكر مخفقين(٦٢) .

ولدينا دليل آخر يؤكد ان للامام ، أو من ينوب عنه ، أن ينفل من الغنيمة الربع او الثلث . ذلك ان يحيى بن آدم نقل لنا رواية الشعبي التي مفادها ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لجرير بن عبدالله البجلي ـ زعيم قبيلة بجيلة ـ « هل لك أن تأتي العراق ولك الربع أو الثلث بعد الخمس من كل ارض وشيء »(٦٣) . وفي رواية اخرى عن جرير نفسه ، قال : « إن الخليفة عمر رضي الله عنه اعطى بجيلة ربع السواد ، فأخذوه سنتين ، ثم وفد جرير الى الخليفة عمر رضي الله عنه ، فقال عمر : لولا اني قاسم مسؤول لكنتم على ما قسم لكم ، فأرى ان ترده . فرده فاجازه بثمانين دينارا »(٦٤) . وذكر قدامة ان الخليفة عمر رضي الله عنه اتفق مع زعيم قبيلة بجيلة(جرير)،«على أن يُعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه،وسار نحو العراق»(٦٥) في حين أن أبا يوسف يورد هذه الرواية على أساس ان الخليفة عمر

(٦٠) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٧ .
(٦١) ن.م. ، ص‌ص ٣٢٧-٣٢٨ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٩٩ .
(٦٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص٣٢٨ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٧٠٠ .
(٦٣) ابن آدم ، الخراج ، ص ٤٥ . (ينظر : قدامة ، الخراج ، ص ٣٦٣) .
(٦٤) ابن آدم ، الخراج ، ص ٤٦ . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٦ .
(٦٥) الخراج ، ص ٣٥٨ .

رضي الله عنه انفل قبيلة بجيلة ربع السواد مكافأة لها لاسهامها في معركة القادسية ، لان قبيلة بجيلة كانت تشكل ربع عدد المقاتلين الذين اشتركوا في هذه المعركة الحاسمة ، التي انتهت بانتصار المسلمين ـ ومعهم بجيلة ـ ، وهزمت جيوش الفرس هزيمة شنيعة . وان بجيلة ظلت مستفيدة من هذا النفل لمدة ثلاث سنوات . غير ان الخليفة عمر رضي الله عنه بدأ يراجع بعض قراراته التي سبق ان اجتهد فيها في ظروف صعبة وحرجة ، وتراءى له مستقبل المسلمين ومصالحهم ، ومتطلبات الدولة الفتية ، وتلمس ثقل المسؤولية التي يطلع بها ، فاستغل قدوم جرير اليه مع عمار بن ياسر والي الكوفة حينذاك فقال له : « يا جرير اني قاسم مسؤول ، لولا ذلك لسلمت لكم ما قسمت لكم ، ولكني ارى ان يرد على المسلمين ، فردّه جرير ، فاجازه عمر رضي الله عنهما بثمانين دينارا »[٦٦] . وبروح مفعمة بالايمان ومملوءة بالايثار ونكران الذات ، استجاب زعيم قبيلة بجيلة وقومه لطلب الخليفة فتنازلوا عن حق سبق لهم أن اكتسبوه ، نزولا عند رغبة الخليفة ، واستجابة لمصالح المسلمين ومتطلبات الدولة ونهجها الاقتصادي . فما كان من الخليفة الا ان كافأ جريراً وقومه بمبلغ رمزي .

٣ـ النفل الذي يكون من الخمس نفسه :

إن احدى السنن المتبعة في إعطاء النفل ، أن يكون من خمس الغنيمة . فاذا صار الخمس في يد الامام نفل منه على قدر ما يرى[٦٧] . على أساس ان الخمس مفوض اليه ، ينفل منه إن شاء ، حتى أن بعضهم يرى أن للامام ان ينفل الخمس كله[٦٨] . ففي هذا الصدد ذكر « ابو عبيد » ان الرسول صلى

---

(٦٦) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣٢ . البلادزي ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٦ .

(٦٧) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٨ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٨٤ . قدامة ، الخراج ، ص ٢٣٧ .

(٦٨) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٣٢ . ابن زنجوية ، جـ٢ ، ص‌ص ٧٠٩ـ٧١٠ .

الله عليه وسلم ، نفل يوم حنين من الخمس[٦٩] ، وروي عن ابن المسيب انه قال : « ما كانوا ينفلون إلا من الخمس »[٧٠] ، ودليله في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مالي مما افاء الله عليكم إلا الخمس ، والخمس مردود فيكم »[٧١] . وروي عن عبدالله بن عمر انه قال : « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأصبنا نعما كثيرا . فنفلنا بعيرا بعيرا ، فلما قدمنا أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم سهامنا ، فأصاب كل رجل منا اثنى عشر بعيرا سوى البعير الذي نفل »[٧٢] . فالنفل الذي ذكره بعد السهام ليس له وجه إلا ان يكون من الخمس نفسه . قال مالك : كان الناس يعطون النفل من الخمس ، فالامام لا ينفل إلا من الخمس ، لان الخمس مصروف الى اجتهاد الامام[٧٣] . وفي يوم حنين نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا من اشراف الناس ، وكان يهدف من وراء ذلك أن يأتلفهم على الاسلام[٧٤] . قال « ابو عبيد » ان هناك رأيين في هذه المسألة . أولهما أن يكون النفل من جميع الغنيمة ، ويكون ذلك خاصا له صلى الله عليه وسلم. وثانيهما أن يكون هذا النفل من الخمس نفسه ، وان هذا اولى الامرين عند « أبي عبيد » لان أنس بن مالك أبى أن يأخذ النفل الذي اعطاه له الامير إلا ان يكون من الخمس ، ذلك ان الخمس مفوض الى الامام ينفل منه ما

(٦٩) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٩ . ابن زنجوية ، جـ٢ ، ص ٧٠٢ . البخاري الجامع الصحيح ، جـ٤ ، ص ٥٢٢ .

(٧٠) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٩ و٣٣٢ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٧٠٥ .

(٧١) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٩ . ابن زنجوية ، جـ٢ ، ص ٧٠٣ .

(٧٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢٩ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٧٠٢. البخاري ، الجامع الصحيح ، جـ٤ ، ص ٥١٨ .

(٧٣) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٣٠-٣٣١ و٣٣٢ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٧١٠ . البخاري ، الجامع الصحيح ، جـ٤ ، ص ٥١٨ . ابو داود ، سنن ، جـ٢ ، ص ٧١ .

(٧٤) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٣٤ . ابن زنجوية ، جـ٢ ، ص ٧١٥ . البخاري، الجامع الصحيح ، جـ٤ ، ص ٥٢٢ .

يرى ، لان الامام هو الناظر في مصلحة المسلمين والقائم بأمرهم[٧٥] • وعن مكحول ، قال : « الخمس بمنزلة الفيء ينفل منه الامام ، الغني والفقير »[٧٦]• ويرى أبو يعلي الفراء ، إذا كان في المقاتلة من ظهر غناؤه ، وأثر بلاؤه في القتال لشجاعته واقدامه ، اخذ سهمه اسوة بغيره ، وزيد بأعطية من سهم المصالح لاجل غنائه[٧٧] • وسهم المصالح المقصود به سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته[٧٨] • وهذا يعني تأكيدا لاعطاء النفل من الخمس •

٤ ـ النفل من جملة الغنيمة قبل ان يخمس منها شيء :

تناول المنهج الاقتصادي الاسلامي هذا القسم من التنفيل • فذكر « قدامة » ان الحالة الرابعة من اعطاء النفل ؛ هو ان يعطى الامام من اصل الغنيمة قبل ان يخمس او يقسم • مثل أن يعطي الادلاء على عورات العدو ، رعاة الماشية ، والسواق لها ، او من جرى مجرى هؤلاء ، شيئا من اصل الغنيمة ، لان عليهم يعود بالنفع العام لكل اهل العسكر[٧٩] ، فكان مبررا لتنفيلهم من مجموع الغنيمة ، لذا صار نفلهم عاما • إذ لا غناء عنهم في تسهيل مهمة الجيش[٨٠] • ويرى ابو عبيد ان التفضيل من السهام ، والنفل من الغنيمة كلها ليس لاحد سوى النبي صلى الله عليه وسلم[٨١] • وقد روي عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : « لا يعطى من الغنائم اذا

---

(٧٥) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٣٢ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٧١١.

(٧٦) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٣٠ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٧٠٨.

(٧٧) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٣٩ . ابو يعلي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٣٦ .

(٧٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٣٩ .

(٧٩) قدامة ، الخراج ، ص ٢٣٧ . (ينظر : ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٩ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٨٤ .

(٨٠) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣١٩ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٧١٣.

(٨١) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٣٤ . ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص٧١٤.

اجتمعت إلا راع او سائق او حارس غير محابي »[٨٢] • وهذا النص اجاز النفل من مجموع الغنيمة قبل تخميسها الى الاوجه التي ذكرناها • وهذا يعني ان التنفيل من مجموع الغنيمة بقي معمولا به بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم •

انفال لا خمس فيها :

وتوجد انفال تعطى للمقاتلة ولا يؤخذ منها الخمس • ومنها ما اخذ من بلاد اهل الحرب من غير قتال ، كالاسير يهرب منهم بمال • فكل المال الذي جيء به ملكا خالصا له ، وما طرحه العدو خوف الغرق ، إلا ان يكون ذهبا او فضه ، فيجري حكم الزكاة عليها • وهناك مال مختلف فيه ، أيخمس ام لا ؟ وهو ما غنمه العبيد ولا حرّ معهم ، والنساء والصبيان ولا رجل معهم[٨٣] • وكذلك اذا بعث الامير رجلين من دار الاسلام ، وقال لهما ما أصبتما فهو لكما على سهامكما ، ولا خمس فيه ، فهو جائز • ولو ان سرية في دار الحرب اصابوا غنائم فعجزوا عن حملها الى دار الاسلام ، واراد امير الجيش اتلافها ، او تركها ، ثم بداله وقال للمسلمين : من اخذ شيئا منها فهو له ، فهذا جائز ولا خمس فيه[٨٤] •

واخيرا يلاحظ الباحث أن المنهج الاقتصادي الاسلامي نظر الى مسألة النفل بمنظار واقعي وموضوعي ، فهو لم ينكر الجهد الذي بذله الجند إبان اشتداد وطيس المعركة ، وفي الوقت نفسه لم يبخس حق بيت المال ، ولا حق من سماهم الله في الآية (١) من سورة الانفال ، وإنما لكل من هؤلاء حقه على وفق ما تقره مبادىء الشرع ، وما تتطلبه ظروف المعركة المستجدة •

(٨٢) ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٨٤ ــ ٦٨٥ و ٧١٢ ــ ٧١٣ .

(٨٣) ابن زنجوية ، الاموال ، جـ٢ ، ص ٦٧٨ــ٦٧٩ و٦٨٤ .

ينظر : البخاري، صحيح البخاري ، جـ٤ ، ص ٤٩٠ و٥١٨ .

(٨٤) البخاري ، صحيح البخاري ، جـ٤ ، ص ٥٢١ــ٥٢٢ و٥٢٥ .

اهـم المصـادر والمراجـع

القـرآن الكـريم

ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ) .
الكامل في التاريخ ، مطابع دار الفكر العربي ، (بيروت : ١٩٦٧) .

ابن آدم ، يحيى القرشي (ت ٢٠٣هـ) .
الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٧٩) .

ابن خياط ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) .
تاريخ خليفة بن خياط ، مطبعة الاداب ، (النجف : ١٩٦٧) .

ابن زنجوية ، حميد بن مخلد بن قتيبة الازدي ، (ت ٢٥١هـ) .
الاموال ، مطبعة بساط ، (بيروت : ١٩٨٦) .

ابو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) .
الاموال ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٨٦) .

ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ) .
الخراج ، دار المعرفة ، (بيروت : ١٩٧٩) .

البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) .
صحيح البخاري ، دار القلم ، (بيروت : ١٩٨٧) .

البلاذري : احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) .
فتوح البلدان ، مطبعة الموسوعات ، (مصر : ١٩٠١) .

الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) .
تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٦٧) .

قدامة ، ابن جعفر الكاتب (ت ٣٢٧هـ) .
الخراج وصناعة الكتابة ، دار الحرّية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨١) .

الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) .
الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٧٨) .

المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:١٩٨٦).

ياقوت ، ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ) .
معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت : ١٩٥٦) .

اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤ هـ) .
تاريخ اليعقوبي ، المطبعة الحيدرية ، (النجف : ١٩٦٤) .

قضية الأثر الأجنبي في البلاغة العربية(*)

د. ضياء خضير
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تعرضت البلاغة القديمة التي تمثل ، كما هو معروف ، أول محاولة لوعي الانسان بلغته لازمة حقيقية مع ظهور الرومانسية وتفكك القواعد الكلاسيكية في الصياغات اللسانية . وهي أزمة لم تعرفها هذه البلاغة طوال تاريخها الأوربي منذ ظهور كتابي أرسطو (الخطابة) و (فن الشعر) اللذين احتلا مكانة رفيعة في صياغة التصورات النقدية التي عرفها عصر النهضة الاوربية حتى العصور الحديثة . وقد قيل عن هذه البلاغة انها ماتت وأفسحت المجال لعلوم أخرى كالاسلوبية والشعرية لتتربع على عرشها .

وقد أصبح من الشائع بعد ذلك الاستهزاء باللغة والصور والصياغات البلاغية القديمة ورفض كل محاولة للتصنيف والتشقيق وإلصاق بطاقات صغيرة على أدق التفاصيل في التراكيب اللغوية والمعاني المختلفة التي يتضمنها النص بالطريقة التي كان يلجأ اليها بعض البلاغيين الاوربيين المتأخرين من أمثال الفرنسيين (ريمارسيه) و (فونتاني) . وكان (فكتور هيجو) يفخر في احدى قصائده الرومانسية بأنه سخر من البلاغة و :

« صعد على نصب أرسطو وأعلن
بأن الكلمات متساوية ، حره ، راشده »

فيما كان (فرلين) في كتابه (الفن الشعري) الصادر عام ١٨٨٢ يدعو الى « الامساك بالفصاحة ودق عنقها » .

---

* محاضرة القيت في المجمع العلمي بتاريخ ١٩٩٨/٣/٩م .

غير أن الذي حدث في اوربا هو أن الدرس البـلاغي لم يُهمل ولم يندرس على الرغم من أنه لم يعد قادرا ، كما أوضحنا على اعتلاء عرشه السابق وتلبية متطلبات التعبير النثري والشعري الجديد .

ومنذ أن اتخذت أبحاث اللغة شكل العلم وسلكت مناهج وطرقا جديدة في الكتابة ظهرت الحاجة الى ايجاد تفسير جديد للصور البلاغية ، لان التفسير القديم قد أصبح ، كما يقول تودروف في كتابه (الادب والدلالـة) ، بلا جدوى[1] . وكان ظهور الدراسات الاسلوبية المعتمدة في جانب كبير منها على اللسانيات البنيوية التي أحدثها (دي سوسير) في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشر في الفرنسية عام ١٩١٣ ، هو الرافعة التي انتشلت البلاغة من الوحدة التي سقطت فيها ، بحيث صارت الدراسـات الاسلوبية التي طورها تلميذ (دي سوسي) (بالمبا واتباعه) بديلا عـن الدراسات البلاغية . وهذه الاسلوبية تستند الى قواعد معرفية تتمثل في تعريف الناقد الفرنسي (بيير جيرو) للاسلوبية بوصفها « دراسة للتعبير اللساني » ثم للبلاغة التي هي عنده « اسلوبية القدماء »[2] وبها يتحدد ، كما يقولون ، تشغيل آلية المنهجية الاسلوبية بوصفها الوجه الجديد للبلاغة ، أو هي البلاغة الحديثة نفسها . ومن المعروف أيضا أن علم اللسان قد تفاعل مع مناهج النقد الجديد فأرسى قواعد علم الاسلوب الذي يعتمد كثيرا على درجات تحدد ظهور الملامح اللسانية المتغيرة ، هذه الملامح التي يمكن لنتائجها أن تُضبط باستخدام التحليل الاحصائي[3] . علما بأن فكرة الاسلوب فكرة قديمة ترجع الى بداية التفكير البلاغي الاوربي ، وقد ارتبطت اول أمرها بالبلاغة أكثر من ارتباطها بالنقد . ولم يكن لذلك من سبب سـوى ان

(١) تزيفتان تودروف ، الادب والدلالة ، ت محمد نديم خشفة ، حلب ، ١٩٩٦ ، ص٩١ .

(٢) بيير جيرو ، الاسلوب والأسلوبية ، ص٢٩ .

(٣) د. سندس عبدالكريم ، شعر رشيد أيوب ـ دراسة اسلوبية (رسالة دكتوراه) ص٣ .

الاسلوب قد دُرس من حيث هو عنصر التأثير في الخطابة . والخطابة القديمة كانت تختلف عن الانواع الادبية الاخرى بمضامينها السياسية والوعظية والحجاجية الجدلية . ولذا كان على الخطيب ، كي يحقق مراميه في الخطبة ، أن يستخدم ألفاظا مقنعة وعبارات محكمة وأشكالا من الكلام التي تجعل النص واضحا ملموسا . وقد وردت الاشارة الى كل ذلك في كتاب (الخطابة) لارسطو وفي كتاب (الاسلوب الرفيع (The suplime style) لمؤلفه (لونجانيوس) الذي عُني بالاخلاق مثلما عُني بالمنابع الروحية للادب(٤).

ومهما يكن من أمر فان الذي تركه لنا التراث البلاغي الاوربي وما كُتب حول الاسلوب يُعد من الافكار الرئيسة التي قام عليها النقد الذي يميز بين المادة والطريقة في الفن ، أو ما نسميه نحن العلاقة بين المضمون والشكل . وشيء من هذا القبيل غالبا ما قيل مقرونا بالاستعارة **Metaphor** التي تستخدم فيها اللغة للتعبير عن الفكرة استخداما خاصا بحيث تكون اللفظة ثوبا للمعنى، بينما يكون الاسلوب هو التصميم الذي يخاط هذا الثوب طبقا له ، كما يقول كراهام هاف في كتابه (الاسلوب والاسلوبية)(٥) .

اما مصطلح (الشعرية) الذي شاع استخدامه في اوربا منذ عصر النهضة اعتمادا على (ارسطو) فقد تركز ، كما يقول (هنريش بليث) على دراسة المقومات البلاغية وعلى استعمالها في النص . ولكن التأثير المتبادل بين البلاغة والشعرية القديمة قد انتهى مع ظهور الرومانسية وجمالياتها القائمة على العبقرية الفردية الرافضة للتقاليد والصور البلاغية الثابتة وفكرة الصنعة في مجال الاسلوب ، وهو الامر الذي وضع النقاد ودارسي البلاغة أمام « شعرية » او « شعريات » أخرى مع ظهور اللسانيات الحديثة(٦) .

---

(٤) انظر ، د. ابرا خليل ، الاسلوبية ونظرية النص ، بيروت ١٩٩٧ ، ص٦٧.
(٥) كراهام هاف ، الاسلوب والاسلوبية ، بغداد ، ص١٥ ، وانظر ، الاسلوبية ونظرية النص ، مرجع سابق ، ص٦٨ .
(٦) هنريش بليث ، البلاغة والاسلوبية ، ترجمة محمد العمري ، منشورات سال ، المغرب ، د.ت ، ص١٣ .

ان البلاغة فن ، والفن يعني الصنعة التي لا يبقى التعبير فيها معتمدا على الطبيعة ومصادفاتها فقط ، بل هي نتاج العقلانية المنهجية في العلوم الانسانية المتكونة عبر الزمن والمتطورة مع تطور مراحله المختلفة • ووظيفة البلاغة الاساسية هي الكشف عن العناصر التي تجعل من الكلام الانساني المكتوب أو المنطوق أدبا • غير أن قواعدها وقوالبها المنهجية كثيرا ما ترتد لتطوق الادب وتجبر الاديب على اتباع قواعدها والالتزام بالطرائق المقررة فيها • كما أن التطور الذي أصاب العلم ومناهجه المختلفة قد خلف لدى الادباء الاوربيين احساسا بالحاجة الى تغيير طرائق التعبير في العلوم الانسانية التي تستخدم اللغة لكي تساوق التغيير الذي اصاب روح العصور القديمة مما جر الخراب على الاشكال والصور الجمالية والفنية المرافقة للمضامين القديمة وأدخل العطب على المصطلحات البلاغية المتداولة فيها •

ولقد دفعت التطورات السريعة التي عرفها المصطلح البلاغي العربي منذ القرن الثاني الهجري بعض الباحثين والمستشرقين الاوربيين المطلعين على تاريخ البلاغة العربية او بعض جوانبه الى التشكيك في اصالة هذه البلاغة وطرح قضية الاثر الاوربي وكل المزاعم الخاصة بوجود نموذج أجنبي يوناني أو فارسي أقتفته العلوم اللغوية والفقهية العربية واستندت اليه لدى ظهورها ونشأتها الاولى ثم تطورها ونضجها فيما بعد ، معتقدين بأن الزمن الذي تطلبه اكتمال هذه العلوم ونضجها المبكر ليس كافيا بالمقاييس التي عرفوها في التاريخ الاوربي الخاص بتطور هذه العلوم في أثينا وروما ، وأنه لابد للعلوم البيانية العربية من عناصر معرفية تقع خارج المنطقة العربية لكي يكون ظهورها وتطورها السريع مفهومين • وهم يقولون ، مثلا ، ان تقسيم الكلام في النحو العربي الى اسم وفعل وحرف انما هو تقسيم يوناني • و (دي بو De Boer) مؤرخ الفلسفة الاسلامية المعروف كثيرا ما كان ينسب أصالة المناهج اللغوية التي سلكها العرب في مباحثهم الى ارسطو ؛ وهو يقول في تاريخه « ان منطق ارسطو قد أثر في علوم اللسان •• السريان والفرس كانوا

قبل العصر الاسلامي قد درسوا كتاب (العبارة) لارسطو مع اضافات ترجع الى الرواقيين والى أهل المذهب الافلاطوني الجديد • وابن المقفع الذي كان صديقا حميما للخليل بن أحمد يسّر للعرب الاطلاع على كل ما كان في اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية » • وهو يقول في مكان آخر « ان الابحاث اللغوية النظرية التي نشأت عند العرب في زمان مبكر قد أحدثتها المقولات النحوية المنطقية الموجودة في كتاب (باري ارميناس) وذلك مع ما وقع من تأثير الرواقيين في هذا النشوء ومن ثم ظهر القول بانقسام الكلام الى الاقسام الثلاثة »[٧] •

وهذا الكلام وكثير غيره قاله (ألبير مركس A. Merx) و إيناس جيدي I. Guidi) وغيرهما لا يدخل في التفاصيل ، ولا يرى أصحابه ضرورة لتقديم البراهين على وجود هذه العلاقة بين النحو والبلاغة اليونانية من جهة والنحو والبلاغة العربية من جهة ثانية • وأصحاب هذه الاراء يشبهون ، كما يقول عبدالرحمن الحاج صالح في بحثه المهم عن (النحو العربي ومنطق ارسطو) ، النظام المعتزلي الذي حكى عنه الجاحظ بأنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أنه كان في بدء أمره ظنا[٨] •

وعلى الرغم من أن أحداً لا ينكر تأثر علوم البيان العربية ببعض وجوه الفكر الفلسفي والمنطقي اليوناني منذ نشأتها الاولى ، فان ذلك لا ينبغي أن يقود الى التشكيك في أصالة الفكر اللغوي والبلاغي الضخم الذي انتجه العقل العربي ، ولا مصادرة العبقرية العربية الاسلامية الموجودة في علوم البيان المختلفة ، هذه العلوم التي اعتمدت على القرآن واتخذت منه أساسا وقاعدة في كل ابداعاتها المعروفة في هذا الجانب •

---

(٧) انظر عبدالرحمن الحاج صالح ، النحو العربي ومنطق آرسطو (بحث غير منشور) •

(٨) المرجع نفسه •

وقد لاحظ الاستاذ عبدالرحمن الحاج صالح في بحثه المشار اليه أن المستشرقين الذين ربطوا بين النحو العربي ومنطق ارسطو اليوناني لم يأخذوا بنظر الاعتبار قضيتين أثنتين :

الاولى : عدم تمييزهم بين النظر العقلي وهو عام الاطـلاق والمنطق اليوناني • فالظاهر من كلامهم أن المنطق الارسطوطاليسي والوسائل العقلية المذكورة شيء واحد • ذلك لانهم يريدون أن يثبتوا تأثير منطق اليونان في النحو العربي ويبرروا ذلك بضرورة استعمال وسائل النظر • فالفلسفة عندهم هي الفلسفة اليونانية فقط ، ولا يتصورون أن تكون هناك في عصر نشوء العلوم الاسلامية فلسفة أخرى • وهذا بين الفساد لان المناهج العلمية التي سار عليها المتكلمون والاصوليون لم ينظر فيها (مركس) فأمثاله النظرة العلمية الحقة حتى يحكم بمثل هذا الحكم ، فهو لا يزال يظن الظن ويقيس عليه ناسيا ابتداء أمره •

الثانية : عدم تمييزهم بين أطوار ارتقاء العلوم عند الانسان بصـفة عامة وعند العرب بصفة خاصة • فقد بنوا كل مزاعمهم على فكرة اقتباس العرب ــ جملة ــ من اليونان أصولهم العلمية ، ولا يجوز لهم اقتدارهم على أي خلق وأي أبداع • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانهم يرون أنه لابد لمنشيء العلوم ومؤسسيها أن يشعروا أولا وابتداء بما يستعملونه في استدلالاتهم من مبادىء واصول عقلية • وهو دليل على الجهل أو التجاهل لقوانين ارتقاء العلوم • فالمعروف لدى علماء الاجتماع ومؤرخي النظم والافـكار الانسانية أن العلم لا ينشأ في المجامع والمعاهـد ، وانما يولد في المعامل ودور الاختبار ، وهي عند المسلمين الاولين المساجد التي كانوا يعالجون فيها مادة القرآن ويستنبطون منهاجا ــ أي نحوا ــ لاستخراج معانيه والمحافظة على لغته • وما كان يشعر يومئذ أي عامل بالآلات العقلية المستعملة عندهم حتى

جاء طور التأمل والتوقف على ما قاله القدماء بدأوا يلتفتون الى تلك الوسائل لاجل ذلك التوقف وبفضل تلك المهلة التي أتاحت لهم الفرصة للرجوع الى الـوراء[٩] .

ويمكن ان يضاف الى ذلك قضية أخرى ثالثة لا تقل عن هاتين القضيتين اللتين ذكرهما الاستاذ عبدالرحمن ، وهي أن كتابي ارسطو (الخطابة) و (فن الشعر) لم يترجما على نحو صحيح بحيث يفهما ويكونا مؤثرين في مناهج البلاغة العربية ومصطلحاتها على النحو الذي ذكره هؤلاء المستشرقون . فقد ظل مصطلحهما غامضا وعبارتهما قلقة ركيكة ، حتى أن بعض القدماء أنفسهم مثل (ابن سينا) و (ابن رشد) قد شعر بصعوبة عبارتهما وأشارا الى بعض أوجه الخطأ فيها ، فضلا عن أن البلاغة العربية قد ظهرت في وقت سابق على ترجمة هذه الكتب اليونانية الى العربية ، كما يشير الى ذلك جمهور الباحثين في النقد والبلاغة العربية ، ومنهم الدكتور أحمد مطلوب

وقد استعرض الدكتور أحمد مطلوب في الفصل الخامس الخاص بـ (الفلاسفة والمتكلمين) من كتابه (مناهج بلاغية) المطبوع ببيروت عام ١٩٧٣ جوانب واسعة من أوجه تأثر البلاغة العربية بكتب الفلسفة اليونانية ومنطق ارسطو بدءا من مقالة (بشر بن المعتمد) المتوفى في نهاية العقد الاول من القرن الثاني الهجري ، وانتهاء ببعض القرون المتأخرة التي طغت فيها الفلسفة وعلم المنطق وعلم الكلام على البلاغة « بعد أن اكتملت مباحثها حتى أحالت كتبها ميداناً للنزاع الفلسفي والجدل المنطقي . وأدى الامر الى انتهاء البحث في البلاغة الى ضروب من الخلاف والمناقشة تعقد لها مجالس المناظرة ويجلس لها المحكمون بين (السعد التفتازاني) و (السيد الشريف) حين يتناظرون في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية وعدم اجتماعهما ،

(٩) نفسه .

كأنهما يتناظران في مشكل من أصول القوانين أو معضل من مسائل الفلسفة الى أن ينهزم (السعد) فيموت كمـدا وضـحية الفلسفـة في البلاغـة المظلومة »[10] •

وكان هذا ، كما يضيف الدكتور أحمد ، بعد أن « استوت البلاغة واصبحت علما له أصوله وقواعده ومناهجه وكتبه ، وبعـد أن ما تمت المواهب والملكات وفسد الذوق »[11] •

وموت (السعد) كمداً بعد هذه المناظرة (البلاغية) يشبه موت (سيبويه) بعد تلك المناظرة (النحوية) التي عقدت في بغـداد قبل ذلـك بينه وبين (الكسائي) تحت اشراف الخليفة (هارون الرشيد) وبتوجيه منه حـول ما سُمي فيما بعد بـ (المسألة الزنبورية) !

وذكرنا لآراء بعض المستشرقين في قضية الاثر الاجنبي اليوناني وغير اليوناني في البلاغة العربية لا ينبغي أن ينسينا الاشارة الى آراء مشـابهة لبعض الباحثين العرب الذين تأثروا بمقولات المستشرقين وتبنوها وألقوا فيها الكلام علي عواهنه أحيانا •

ويأتي الدكتور (طه حسين) في مقدمـة هؤلاء الباحثين العرب الذيـن تحدثوا عن الاثر اليوناني في البلاغة العربية في بحث له باللغة الفرنسية قدم عام ١٩٣٣م الى مؤتمر المستشرقين ونشر مترجما بقلم عبدالحميد العبادي في مقدمة « نقد النثر » المنسوب لقدامة بن جعفر[12] •

ولم يقف الدكتور (طه حسين) عند قضية ارتباط البيان العربي بالبيان اليوناني وانما عمد الى دفع بعض طلابه الى الكشف عن تأثيرات بلاغية جاءت العرب من الثقافة الفارسية ولغتها الفهلوية •

(١٠ ــ ١١) د. احمد مطلوب ، مناهج البلاغة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص٢٠٤ •

(١٢) نقلا عن د. أحمد مطلوب ، بحوث بلاغية ، مطبوعات المجمع العلمي ، بغداد ١٩٩٧ ، ص٢٥٧ •

وقد تصدى الدكتور (أحمد مطلوب) في بحث واسع له عن « أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية » اعتمدنا عليه في ايراد هذه المعلومات، تصدى لمزاعم الدكتور (طه حسين) ومن نقلوا عنه وتأثروا به من الباحثين العرب كالدكتور (ابراهيم سلامة)، ففندها ونقضها وقدم البراهين من كلام العرب ونصهم القرآني وكتبهم البلاغية العربية المؤلفة على تهافتها وضعفها وبطلانها، فضلا عن دراسته لواقع الادب الفارسي الذي نشأ بعد الاسلام ولغته (الدرية) التي ظهرت على أنقاض (البهلوية) التي كانت سائدة في بلاد فارس أيام الساسانيين (٦٢٦ــ٦٥١م) واستمرت لغة للدين بين الموابذة الزرادشتيين طوال القرنين أو الثلاثة اللاحقة[١٣] .

ونحن نكتفي هنا بالأشارة السريعة الى هذه الدراسة، وندعو من يعنيهم الامر من الباحثين والمختصين الى الرجوع اليها ضمن كتاب الدكتور أحمد مطلوب (بحوث بلاغية) الذي نشره المجمع العلمي عام ١٩٩٦، فهي تكفينا مؤونة ايراد الكثير من التفاصيل الخاصة بالموضوع .

ولكن قبل أن نفرغ للحديث عن التأثير الاجنبي في الظاهرة البديعية وتفسيرنا الخاص لوجودها الكثيف في النصوص الشعرية والنثرية المتأخرة بشكل خاص، نود أن نتوقف قليلا عند رأي للدكتور (محمد عابد الجابري) ورد في الفصل الثاني من كتابه (بنية العقل العربي) ويتصل برؤيته للوضع الذي آلت اليه مباحث البلاغة العربية عند (السكاكي) المعتزلي في (مفتاح العلوم) حيث جرى النظر الى البلاغة نظرة فلسفية واستدلالية منطقية جرى فيه تفريع مصطلحاتها وتقسيمها تقسيما « أوقفها وأعاق نموها » في عرف أغلب دارسي هذه البلاغة والباحثين في تاريخها .

غير ان للدكتور (الجابري) رأيا آخر يتوجب أن نعرضه هنا لان له علاقة بما سبق أن أوضحناه عن علاقة البلاغة العربية بالمنطق اليوناني .

---

(١٣) انظر، د. أحمد مطلوب، المرجع السابق، ص٢٥٧ــ٥٩٢ .

وخلاصة هذا الرأي هو أنه اذا كانت مساهمة (عبدالقاهر الجرجاني) في تحليل الظاهرة البيانية تتمثل في محاولته تجاوز اشكالية اللفظ والمعنى من منظور يتخذ من النحو (= منطق اللغة) اطارا مرجعيا له ، ويجعل « سر البلاغة » راجعا الى توخي معاني النحو أي الي نظام الخطاب مبنى ومعنى ، واذا كان الجديد الذي يجده عنده الباحث الابستمولوجي يكمن أساسا في ابرازه للطابع الاستدلالي للاساليب البيانية العربية ، فان مشروع (السكاكي) المتوفى سنة ٦٢٦هـ كان أوسع وأعمق لقد كان بمعنى من المعاني تجاوزا ليس فقط لاشكالية اللفظ والمعنى ، بل أيضا لنظرية (النظم) الجرجانية ذاتها •

والدكتور الجابري يعرف أن مثل هذا الحكم سيستفز كثيرا من المطلعين والمختصين في تاريخ البلاغة العربية من الباحثين العرب والاجانب الذين يكادون يجمعون ، كما ذكرنا ، على أن (السكاكي) اعتمد على منطق (آرسطو) وقتل بتقعيداته وتعقيداته الحياة في البلاغة العربية • والجابري ينطلق في رأيه هذا من القول بأن نظرة المؤرخ للفكر العربي ككل لابد ان تختلف عن نظرة المؤرخ لجانب واحد من جوانبه • فهو ينظر الى العلوم البيانية العربية كلها مجتمعة في ترابطها وتداخلها وتأثير بعضها في بعض ، وبالتالي فان ما يهمه ليس « نبضة » الحياة كواقعة منفردة في هذا العلم أو ذاك ، بل ان ما يهمه بالدرجة الاولى هو « شرايين الحياة » كمنظومة تقوم على الترابط والتكامل بين أجزائها وأطرافها وتؤدي وظيفة عامة واحدة منها تستقي الاجزاء معناها ووظيفتها • وهو يعتقد أن لهذه النظرة ما يبررها سواء تعلق الامر بعلم البلاغة أم بعلم النحو أم بعلم الفقه وأصوله وعلم الكلام ، فهذه العلوم مترابطة متداخلة بصورة تجعل منها مظاهر وفروعا لعلم واحد هو (البيان) • وبالتالي فتاريخها مشترك ونبضة الحياة فيها نبضة واحدة مشتركة • وهذا هو بالضبط ما أدركه صاحب المفتاح الذي شكل كتابه بالنسبة للدراسات البيانية العربية (أرجانون) •

غير أنه على الرغم من أن هناك ما يبرر هذه المماثلة بين (مفتاح) السكاكي و (أرجانون) آرسطو ، فان السكاكي لم يصدر ، كما يعتقد الجابري ، عن منظور آرسطي أبدا ولا كان يفكر بتوجيه من المنطق الذي ضبطه آرسطو ومنطق البرهان . فعلاقة السكاكي بآرسطو لم تكن علاقة متأثر بمؤثر ، بل علاقة مماثلة . بمعنى أن كل ما كان يربط السكاكي بآرسطو هو أنه عمل على ضبط وتقنين العلوم البيانية العربية مثلما عمل آرسطو من قبله على ضبط وتقنين العلوم الفلسفية اليونانية ، وبعبارة أخرى ، انه اذا كانت العلوم الفلسفية اليونانية قد بلغت منتهاها حينما بلغ بها تطورها الذاتي الى الكشف عن منطقها الداخلي مع آرسطو وعلى لسانه ، فان العلوم البيانية العربية قد كشفت هي الاخرى عن منطقها الداخلي مع السكاكي وعلى لسانه حينما دفع بها تطورها الذاتي الى ذلك دفعا ، لكونها بلغت منتهى ما يمكن أن تبلغه على نفس الاسس التي قامت عليها أول الامر .

وينتهي (الجابري) من كل ذلك الى القول :

« واذن فليس (السكاكي) هو الذي خنق الحياة في البلاغة العربية بتعقيداته وتقنيناته ، كما يزعم البعض ، بل ان الاسس التي قامت عليها العلوم البيانية كلها ، والبلاغة العربية مجرد فرع منها ، هي التي كان مخزونها قد نفد تماما ، فلم يعد بامكانها أن تمد الباحث بشيء آخر غير نفسها .. ان هذا يعني أن التجديد في البلاغة العربية كان يتطلب اعادة تأسيس البيان العربي ككل .. »(١٤) .

هذه هي الخلاصة التي أردنا أن نعرض من خلالها هذا الرأي الذي يخالف الآراء الشائعة لدى جمهور الباحثين في تاريخ البلاغة العربية وعلاقتها بالمنطق اليوناني ؛ وهو رأي ينسجم مع ما كنا ذكرناه من قبل من أن وجود

---

(١٤) د. محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص٨٩ وما بعدها .

المنطق الآرسطي والفكر الفلسفي اليوناني بهذا الشكل أو ذاك في البلاغة العربية لا يمنع أن يكون لمباحث هذه البلاغة منطقها ونظامها العقلي وفلسفتها الخاصة المتطورة مع تطور الفكر العربي والتعقيد الذي دخل على الحياة العربية نفسها • وهو ، كما لا يخفى ، منطق قد لا يتقاطع مع المنطق والفكر الفلسفي اليوناني ، ولكنه ليس مستمدا منه بالضرورة •

وما يدفعنا الى التنبيه الى خطورة هذا التفسير أو القراءة الجديدة لـ (مفتاح) السكاكي أنه يُعطي دفعا وتصورا جديدا لجهود الدارسين والفاحصين للمصطلح البلاغي العربي الذي لا تقف أصالته عند حدود نظرية (النظم) التي شغف الجميع بالحديث عنها وعن عبقرية صاحبها الامام عبدالقاهر الجرجاني غير المشكوك فيها • فنحن هنا مع السكاكي ، أمام محاولة جديدة لتحديد هذا المصطلح وتقنينه من أجل توفير آلة فيها مزيد من الضبط لعلوم الخطاب العـربي وابراز الطـابع الاستدلالي للاساليب البيانية العربية وما تنطوي عليه من (مبنى) و (معنى) لهما علاقة بنظام العقل أو بالنظام الذي يؤسسه العقل ، حسب عبارة (الجابري) • ولهذا فان الاشكالية البيانية التي كانت تُطرح من قبل من خلال (اللفظ والمعنى) قـد تحولت مـع السكاكي الى اشكالية تُطرح من خلال ثنائية جديدة هي (نظام الخطاب / نظام العقل) وبالتالي فالبلاغة التي كانت تقوم من قبل على نشدان التوافق بين اللفظ والمعنى ستصبح مع السكاكي ، كما يقول الجابري ، كامنة في تحقيق التوافق بين نظام الخطاب ونظام العقل •

لقد قسم (السكاكي) البلاغة الى قسمين معان وبيان ثم ألحق بها قسماً ثالثـاً هو البديـع الذي سمى انواعـه المختلفـة بـ (المحسنات) • وهذه المحسنات أو البديع هو الذي سنقف عنده فيما يلي من هذه الورقة •

اغرم شعراء العصـر العباسي وكتابـه ولا سيما في الفترتين البويهية والسلجوقية بالبديع وحرصوا حرصا عجيبا على تزيين شعرهـم ونثرهم به ، حتى صار من الصعب ان نقرأ قصيدة أو قطعة نثرية لاحدهم دون ان نجد

فيها الوانا من هذا البديع[١٥] .

ومن الطبيعي ان يؤدي التطرف في العناية بالمحسنات اللفظية الى الغلو والاحالة اذ ان البيت من الشعر او الجملة النثرية لا يقومان في مثل هـذه الاحوال على الفكرة او المعنى الذي يريده الشاعر او الناثر فحسب ، وانما يقومان ايضا على اساس من العلاقات اللفظية التي توجه المعنى وتعدل فيه انسجاما مع احساس المقابلة اوالمجانسة والمشابهة بين الحروف والالفاظ وهو الاحســاس الذي سيطر على ادبـاء العصر البويهي والسلجوقي وشعرائهما وجعلهم غير قادرين على الحركة بمعزل عن القيود الشكلية التي فرضوها على انفسهم مختارين .

واذا كانت مباحث المعاني تتناول الدلالات المركبة ، ومباحث البيـان تتناول الدلالات الافرادية ، فان مباحث البديع تتناول اللفظ المفرد وما يحمله من القاب بحسب تأليفه مع غيره من الفاظ .

وتدور مباحث البديع على مستويين : اولهما المستوى السطحي الذي يختص بالناحية المحسوسة في النطق كالجناس والسجع والازدواج ، والآخر يمثل في المستوى الاعمق ، أو ما يسميه محمد عبدالمطلب في كتابه (البلاغة والاسلوبية) بـ (النطق الفكري) وهو الذي يتصل بالفصاحة المعنويـة كالطباق والمقابلة والتورية وحتى الالغاز .

وتحرك البديع في هذين المستويين ارتبط بالصياغة من حيث تشكيلها الحسي في النطق او في الكتابة ، ثم من حيث تشكيلها المعنوي[١٦] .

ونقصي اجزائها هو الذي قاد البلاغيين الى استخلاص الخواص الجزئية التي تهيمن عليها ، والتي يؤثر كل منها في الآخر لاداء المعنى المقصود ، وربما

---

(١٥) ينظر بهذا الصدد كتابنا (بحثا عن الطريق) بغداد ١٩٨٤ ، بحث (راي في ظاهرة شيوع البديع في الادب العباسي) .

(١٦) محمد عبدالمطلب ، البلاغة والاسلوبية ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٤ ص١٩٦ .

كان هذا ايضا هو الذي دعاهم الى المبالغة في استخلاص تنويعات الجملة وجزئياتها حتى اصبح كل تعبير له تسمية محددة ، بل ربما وجدنا في مجال بحث البديعيات ـ باعتبارها محسنات ـ ما يمكن ان نعتبره من (المقبحات) لا المحسنات[١٧] .

وقد طرحت لتعليل شيوع هذه الظاهرة تفسيرات عدة ، من بينها ذلك التفسير الذي يقرن بين هذه الظاهرة وبين ميل المجتمع العباسي في العراق وفارس الى المبالغة في التأنق والترف[١٨] والتفسير الآخر الذي يرى في ظاهرة البديع اثرا اجنبيا فارسيا او يونانيا . كما فعل الدكتور زكي مبارك الذي يرى ان البديع جاء ، العرب عن طريق الفرس ، والدكتور شوقي ضيف الذي يقول ان الفرس اعانوا فيه دون ان يخترعوه وانه مذهب عباسي تعاونت فيه طوائف الشعراء من العرب مع طوائف الشعراء من الفرس[١٩] بينما يرى الدكتور محمد مندور ان العرب تأثروا فيه بالبلاغة اليونانية[٢٠] .

وهو الرأي نفسه الذي يراه الاستاذ ابراهيم سلامة الذي يقول ان بعض فنون البديع (كالمذهب الكلامي)[٢١] لا تخلو من أثر يوناني[٢٢] .

وقد رفض الدكتور محمود غناوي الزهيري في كتابه (الادب في ظل بني بوميه) الرأي الذي المحنا اليه انفا والذي يقرن بين ظاهرة البديع وبين ميل المجتمع العباسي في العراق وفارس الى المبالغة في التأنق والترف[٢٣] لانه

---

(١٧) المرجع السابق ص٢١٥ـ٢١٦ .

(١٨) النثر الفني (١ : ٤٤) .

(١٩) النثر الفني (١ : ٤٤) .

(٢٠) الفن ومذاهبه في النثر العربي (ص١١٤) .

(٢١) النقد المنهجي عند العرب ص٥٩ .

(٢٢) يذكر أن ابى المعتز قد جعل (المذهب الكلامي) واحدا من الاقسام الخمسة التي قسم اليها فنون البديع في مؤلفه (كتاب البديع) .

(٢٣) ينظر بلاغة ارسطو بين العرب واليونان (ص١١٠ـ١٣٢) .

يرى ان هناك فرقا بين التأنق في العيش والتأنق في الاسلوب الادبي فالانسان في الحالة الاولى يلهو ويعبث ليحقق لنفسه لذائذ رخيصة من ايسر سبيل ، وهو في الحالة الثانية يجد ويكدح ويشقى ليحقق لها لذائذ فنية من اشق سبيل[٢٤] . والتفسير الذي يذهب اليه استاذنا المرحوم غناوي بدلا من ذلك هو ان شيوع ظاهرة البديع على هذا النحو يتصل اتصـــالا وثيقا بطبيعة الشعب الفارسي الذي يكلف بالزخرفة كلفا شديدا ويميل اليها بغريزته ، على نحو ما يظهر في العمارة الفارسية والخزف وصناعة السـجاد والمنسوجات وغيرها .

وهو يرى انه مادام الادب البويهي في جملته فارسيا نشأة وروحا « فانه من الطبيعي ان يتأثر منشؤوه بهذا الميل العام الى الزخرفة عند الفرس »[٢٥].

ونحن انما نعرض لرأي الدكتور غناوي بشيء من التفصيل لانه يمثل في الواقع وجهة نظر كثير من الدارسين الذين رددوا ما قاله المرحوم الدكتور غناوي وغيره منذ اربعينات هذا القرن . فالكل مجتمعون ، فيما يبدو ، على ان الادب العربي قد تأثر بالادب الفارسي مثلما تأثرت الحياة العربيـــة في المشرق وفي العراق خصوصا بأساليب الحياة الفارسية .

وفي مقابل ذلك يبدو من حماس بعض الدارسين لدفع الاثر الفارسي عن البديع الحرص الشديد على ان يكون هذا (الفن) عربيا خالصا لا شائبة فيه لاثر اجنبي ، فارسي او غير فارسي ، دون ملاحظة مدى الانحطاط في الافكار والاساليب التي تمثلها الكثير من صور الادب التي تبالغ في استخدام هذا البديع ، ولا سيما في عصور الانحطاط من تاريخ الادب العربي[٢٦] .

---

(٢٤) الادب في ظل بني بويه (٢٩٨ــ٣٠٠) .

(٢٥) المرجع نفسه .

(٢٦) انظر بهذا الصدد مثلا مقالة للدكتور نعمة رحيم العزاوي في صحيفة الجمهورية البغدادية ، ع ١٧٨٣ .

وليس ثمة من ينشر ، ابتداء تأثر بعض صور الادب العربي في العصر العباسي بالبيئة الفارسية وطرائق الفن المعروفة لدى الفرس •

وفي شعر بعضهم ما يشير الى هذه القرابة بين الشعر والتصوير في طبيعة الوصف والاستغراق في تفصيل المشهد على نحو ما تفعل اللوحة المرسومة ، وحينما يصف عبدالصمد بن منصور البغدادي احد شعراء اليتيمة ، قصيدته، مثلا ، يقول انها « برد محبر » •

مغبوفـــة اللفظ تستجلي بدائعهـا

كـأن الفاظهـــا تحـبير ابـــرار

بيد ان التقارب في العلاقة بين الشعر والتصوير ليس كافيا ، كما هو واضح ، لتفسير شيوع ظاهرة البديع في الادب العباسي • فذلك يقتضي وجود جملة من العوامل يتعلق بعضها بالادب الفارسي • وبعضها الآخـر بطبيعة الادب العربي نفسه • فقد كان من المنطقي مثلا ان يكون الادب الفارسي قد تأثر قبل غيره بالفنون والزخارف الفارسية لقربه منها ، او ان هذه الامور تؤلف جزءا من مميزاته بحكم صدوره عن نفس تلك الطبيعة الميالة الى الزخرفة (بالغريزة) في حين ان الواقع لا يؤيد ذلك ، بل لعله يثبت العكس منه ، فالاستاذ ادوارد جرانفيل براون وهو احد المختصـين الثقات في الآداب الفارسية يقول لنا بهذا الشأن ما يلي :

« يتصور كثير من الناس ان الآداب الفارسية مصطنعة متكلفة تمتلىء بالصناعات البديعية وتزخر بالمجازات او الاستعارات ، ولكن هـذا الرأي ليس صحيحا الا فيما يتعلق بمجموعة من الآداب نشأت في ظروف وبيئـات خاصة كالتي نشأت في كنف الفاتحين الاجانب من المغول والاتراك »[٢٧] •

واذن فالزخارف البديعية والمحسنات اللفظية بألوانها واشكالها المختلفة ليست موجودة في الادب الفارسي على النحو الذي تتصوره ، وهي ان وجدت

(٢٧) تاريخ الادب في ايران ص٢٧ .

في بعض مراحل هذا الادب فهي عارضة ويمكن ان تعزى الى ظروف خاصة لا تتصل بطبيعته ، فضلا عن ان الزخارف التصويرية المجردة ذات الشبه بالزخارف والتزويقات اللفظية تعد فنا عربيا اكثر من كونها فنا فارسيا[٢٨]

والاسباب التي ادت الى نشأتها وتميز فن العمارة والخط العربي بها يجب ان تبحث تحت نفس الاسباب التي ادت الى نشأة البديع وطغيانه في الادب العربي ، فكلاهما ينطلق من نزعة فنية واحدة .

اما فيما يتعلق بالادب العربي فلابد من التذكير ان البديع كان معروفا في الشعر والكلم العربي منذ القديم وان غرض ابن المعتز من وضع مؤلفه (كتاب البديع) سنة اربع وسبعين ومائتين هو « تعريف الناس ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع »[٢٩] ، فهو موجود عند العرب وفي القرآن وكلام الصحابة وان المحدثين لم يكونوا مبتكرين له وان (حبيب بن اوس من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه واكثر منه فأحسن في بعض ذلك واساء في بعض ، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف »[٣٠] . وقد كان الجاحظ يظن ان « البديع مقصور على العرب ، ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة ، واربت على كل لسان »[٣١] . ومع ما في هذا القول من مبالغة ربما تدخل فيها موقف الجاحظ من الحركات الشعوبية في عصره وحرصه على نسبة الفنون اللغوية كلها للعرب ، فانه يمكن ان يوضح لنا موقف النقاد والادباء في القرن الثالث من قضية نسبة البديع التي يبدو انها لم تكن تشغلهم ما تشغلنا الآن لانها مقررة ومعروفة ، وربما كان سبب اثارتها على هذا النحو يرتبط بالمشكلات الفنية التي اثارها ابو تمام ومن قبله مسلم

---

(٢٨) ينظر — (فن التصوير عند العرب) رتشارد انتفها وزن ص١٧٥ وينظر كذلك (تراث فارس ص١٨١) .

(٢٩) ينظر كتاب البديع ، ابن المعتز ص٥٨ .

(٣٠) ينظر كذلك (من حديث الشعر والنثر) للدكتور طه حسين ص١٠٢ .

(٣١) البيان والتبيين (٢، ٥٥) .

ابن الوليد اللذان افرطا في استخدام هذا اللون من الفن على نحو لا يعرف له مثيل من قبل .

ولعل من الطريف الذي لا يخلو من دلالة ان نذكر ان اثنين من ابرز الشعراء العرب الذين عنوا بالبديع ، اعني بشارا وابا العلاء ، كانا اعميين .. وهو ما يجعل تطبيق ما يقرره الدكتور غناوي وغيره بشأن العلاقة المفترضة بين البديع وفنون التصوير الايرانية صعبا او غير ممكن اذ كيف يتأتى للشاعر ان يتأثر بهذه الفنون البصرية ويضع ما يوازيها في شعره مع انه لم يرها اصلا ؟

وهل يكفي في مثل هذه الحال ان يقال ان الشاعر انما يعتمد على خياله وينسج على منوال ما قرأه من اشعار سابقيه او معاصريه الذين تأثروا بتلك الفنون فنقلوا تأثرهم اليه ، ثم كيف نوفق بين هذا التأثر وبين كون ثقافة بعض الشعراء العرب الذين عرفوا بالبديع ثقافة عربية في جوهرها رغم وجود بعض التأثيرات الاجنبية فيها ؟ وهل كان المتنبي ، مثلا ، فارسي الثقافة ليكون للبديع شأن غير قليل في شعره ؟

اما التوافق الذي نجده بين الادب والفن في العهد البويهي ، والذي يتمثل في ان كلا من الفنان والشاعر كان حريصا على تحقيق مبادىء التوازن والتماثل والتقابل والتكرار وما اليها[٣٢] فلا يدل بالضرورة على ان احدهما كان متأثرا بالآخر بقدر ما يدل على ان الاساس الذي ينطلقان منه واحد . وهو تحقيق المتعة الفنية وتنظيم الدوافع المتضاربة في داخل الانسان عن طريق خلق معادلها في القصيدة او اللوحة . ولعل كون الثقافة العربية لغوية في طبيعتها هو الذي يعلل لماذا حقق العربي في لغته ما حققه الفارسي في فنه التصويري ، حتى ان فنون العمارة والزخرفة العربية كانت متأثرة بالفنون اللغوية فاستعارت الكلمات وجعلت الحرف يستجيب لدواعي التشكيل

(٣٢) ينظر الادب في ظل بني بويه ص٣٠١ .

والتصوير على نحو لا يعرف في غير العربية . حيث الحروف والكلمات تحاول ، عبر ذلك ، تحقيق نوع من الحركة الذهنية المقصودة التي تضيف متداعيات الى المضمون الحضاري والروحي للغة وكلماتها . وقد حاولت بعض التصاوير العربية فوق ذلك (كتلك الموجودة على مقامات الحريري) ان تنقل طبيعة اللغة المعقدة عن طريق الايماءات وتعبيرات الوجوه[٣٣] اي انه اذا كان لابد من الحديث عن علاقة ما بين الشعر والتصوير فأن هذه العلاقة يجب ان لا تكون مقتصرة على تأثير الاول بالثاني وانما هي علاقة متبادلة مشتركة .

وليس غرضنا هنا ان نضع دراسةً مفصلة عن الاسباب التي ادت الى شيوع ظاهرة البديع وانتشارها في العصر البويهي والسلجوقي بشكل خاص فهي في ظننا معقدة وليس ثمة مفر من اعتبار بعض اغراضها رمزية شأنها شأن التجريد من الزخارف العربية .

حيت تميل الفنون الزخرفية الى رد الطبيعة العضوية الى اشكال هندسية ، وهي غالبا ما تهجر العالم العضوي الي عالم من خطوط واشكال والوان صافية . فالزخرف ، كما يقول د. ورينغر ، يفصل نفسه كشيء لا يتبع مجرى الحياة بل يواجهه بصرامة .. باعتباره شيئا مسلوخا عن الزمان ، فهو امتداد صرف ومجهز وثابت[٣٤] .

ولابد ان هناك اسبابا لهذا النزوع الفني ، ولكن ثمة فيما يتعلق بالبديع ، امرا جوهريا لابد من الاشارة اليه وهو ارتباط هذه الظاهرة بالجو النفسي والفكري السائد في العصر الذي شاعت فيه فقد كان ضيق الافق الفكري وفقدان الامن والحرية وتعمق التناقض الطبقي والتسلط الاجنبي في المجتمع عوامل اساسية في دفع الشاعر والناشر الى التخلي عن التعبير الحر المنطلق والخالي من القيود الشكلية .

---

(٣٣) ينظر (فن التصوير عند العرب) ص١٨٦ .
(٣٤) (نظرية الادب) ، أوستن وارين ، رينيه وبليك ص٢٦٥ .

فاللغة في مثل هذه الحال لم تعد اداة للتوصيل والاعراب عما في النفس فقط ، وانما تحولت بمرور الوقت الى غاية في حد ذاتها . فبعد ان ضاقت سبل الحياة بالشاعر وعجز عن حل التناقض في عالمه حاول ان يجعل من اللغة العالم الذي يوفر له البديل عن ضيق العالم الخارجي وعطبه فراح يوسع من حدودها ويجعلها ميدانا فسيحا للتقابل والتناظر والانسجام وتصادم المعاني محققا من خلال ذلك كله في نفسه الاتساق والنظام والتوازن . وقد بين الناقد الانكليزي (رتشاردز) ان غاية الفن ليست اللذة وانما هي عامل مصاحب لبلوغ الفن غايته التي هي القضاء على الفوضى والاضطراب والتوفيق بين الدوافع المتضاربة . ومن المعروف ان الجمع بين المعاني المتقابلة اصل من اصول الفلسفة الجمالية في الشعر العربي[٣٥] . وقد سبق للامام عبدالقاهر الجرجاني في (اسرار البلاغة) ان اشار الى شيء من ذلك حين قال ان الجمع بين المعاني المتقابلة «صنعة تستدعي جودة القريحة والحذق الذي يلطف ويدق في الجميع بين اعناق المتنافرات والمتباينات في ربقه ويعقد بين الاجنبيات معاقد نسب وشيكة »[٣٦] .

ومعروف ان مصدر الاهتمام بالجناس لدى كثير من الشعراء العرب يدخل في اطار النزوع الى الاحتيال والتلاعب بمدلول الكلمة المعنوي والموسيقي عن طريق اعطاء اللفظة الواحدة اكثر من وجه او تغيير بعض حروفها ، فالشاعر كما قال الامام عبدالقاهر « قد اعاد اليك اللفظ كأنه يخدعك عن الفائدة وقد اعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد احسن الزيادة ووفاها »[٣٧] والجناس اذا لم يحقق مثل هذه الفائدة العقلية كان ضعيفا او مستهجنا[٣٨] .

---

(٣٥) الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين (فصل التكامل في القصيدة العربية) . د. لطفي عبدالبديع ص٧٣ .

(٣٦) اسرار البلاغة ص١٧١ ، وينظر بهذا الشأن أيضا (دراسة الادب العربي) د. مصطفى ناصف ص٣٨-٣٩ .

(٣٧) اسرار البلاغة ص١٢ .

(٣٨) من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده ، محمد خلف الله ص٨٠ .

ولعل استعراض اسماء اكثر الشعراء العرب الذي عرفوا بالبديع يوضح لنا العلاقة القائمة بين اكثارهم من البديع وبين شخصياتهم القلقة المضطربة . فقد كان بشار بن برد مثلا معروفا بعلته وركب النقص الناتج عنها . وكان مسلم بن الوليد ذا « نفس قلقة مضطربة »(٣٩) وقد لاحظ العقاد ان ابن الرومي يستخدم التجنيس للتعبير عن طيرنه وحساسيته المفرطة « فاذا لم يكن متطيرا فلا جناس ولا اكتراث باللفظ الا لما فيه من معنى ظاهر مستقيم وماله من فصاحة وظارة »(٤٠) . وكان ابو تمام يعاني من غربة مزدوجة عن النفس والمجتمع الذي يعيش فيه(٤١) . اما ابو العلاء المعري الذي بلغ افتتانه بالغريب والوان البديع المختلفة حدا دفعه الى لزوم ما يلزم فأمره اشهر من ان ينبه اليه .

وقد سبق ان بينا في دراسة مستقلة مقدار ما في شخصية شاعر عباسي آخر مفرط في استخدامه لصور البديع المختلفة من قلق واضطراب وتناقض ، ودور الشعر في حل التناقض او التخفيف منه(٤٢)

ومن المعروف ان القلق الذي تتكشف عنه شخصية ما هو انعـكاس بهذه الدرجة او تلك للعصر الذي تعيش فيه تلك الشخصية .

ومن ناحية اخرى نرى ان هذا النزوع نحو التزويق والزخرفة اللفظية لدى هذا الشاعر وغيره قد وجد تشجيعا لدى بعض الاوساط الادبية التي جعلت البديع صنعة لا تقوم للقصيدةقائمة بدونها . فهي دليل المهارة والتضلع

---

(٣٩) مسلم بن الوليد ـ صريع الغواني ، فؤاد حنا ترزي ص٧٢ .
(٤٠) ابن الرومي ، حياته من شعره ص٢٣٥ .
(٤١) ينظر مثلا مقال سلمان التكريتي (الغربة في شعر ابي تمام) مجلة المورد ـ المجلد الرابع ـ العدد الرابع ١٩٧٥ ص٦٢ـ٦٧ .
(٤٢) صورة الخمر لدى شاعر عباسي ، ضياء خضير ، مجلة المورد ع ٥ ، سنة ١٩٧٨ .

باللغة وفنون القول • ولا شك في ان اتصال الشعراء والادباء بهذه الاوساط كحلقة الصاحب بن عباد قد دفعهم الى المبالغة احيانا ، فهي التماس المحسنات اللفظية المختلفة ، اذ ان الصاحب لم يكن وزيرا ورجلا سياسيا خطيرا في عصره فقط ، وانما كان اضافة الى ذلك أديبا وشاعرا وجه ذوقه وطبيعة اهتماماته الادبية الكثير من الشعراء والادباء ممن كانوا على صلة به • مما كان له اثر في افساد الكثير من الاذواق بفساد ذوقه واسلوبه المتكلف الذي لم يكن قادرا فيه ان يسير الا مقيدا بسلاسل البيان والبلاغة ، او ما كان يتوهمه بيانا وبلاغة •

والامثلة على ذلك كثيرة يعرفها دارسو الادب في القرن الرابع ويكفي ان نورد مثالا على ذلك الثعالبي في معرض الاعجاب بالصاحب •

قال : « لما قال الصاحب قصيدته المعراة من الالف التي هي اكثر الحروف دخولا في المنظوم والمنثور واولها :

قد ظل يجرح صدري   من ليس يعدوه فكري

وهي في مدح آل البيت تبلغ سبعين بيتا ، تعجب الناس منها وتداولها الرواة ، فاستمر الصاحب على تلك المطية وعمل قصائد كل واحدة منها خالية من حرف من حروف الهجاء وبقيت عليه واحدة تكون معراة من الواو فانبرى ابو الحسن يعملها وقال قصيدة ليس فيها واو»[٤٣] •

والذي يهمنا ليس اسلوب الصاحب ، ولكن استجابة الوسط الادبي له وتأثره به • والصاحب بطبيعة الحال لم يكن بدعا في ذلك وانما كانت له منزلة الاستاذ والموجه بحكم مكانته السياسية •

وليس من شك في ان الشاعر الاصيل لا يمكن ان يسقط بسهولة في مثل هذه الاغراءات ، ولكنه كان يجد نفسه مضطرا في احيان كثيرة لمجاراة

---

(٤٣) يتيمة الدهر ، ابو منصور الثعالبي (٣ : ٤١) .

العرف السائد والذوق النامق في سوق الادب . ولا سيما اذا كان مداحا يبيع شعره كما كان كثير من اصحابنا الشعراء يفعلون .

ويجيء اهتمام بعض شعراء العصر البويهي والسلجوقي بنظم بعض الالغاز وصياغتها شعرا ليدخل في الاستجابة لما يجري في تلك المجالس والاوساط الادبية . وهذه الالغاز لون من الوان البديع الذي لم يألفه الشعراء الكبار في العهود الانيلية السابقة[٤٤] ولكنه اصبح في القرن الخامس وما تلاه لونا شائعا مال اليه الشعراء بعد افلاسهم من الموضوعات الجدية وفراغ حياتهم وبعد ان تحولت اللغة على ايديهم الى لعبة تشبه لعبة الكلمات المتقاطعة في عصرنا هذا ، فهي تقوم على التلاعب اللفظي وتغطية المعنى بوسائل شكلية يتطلب حلها مهارة ورياضة عقلية . وقد نظم في هذه الالغاز عدد من الشعراء كالسرى الرفاء ومهيار الديلمي وبديع الزمان الهمذاني[٤٥] .

وقد اظهر بعض الباحثين ان هذا اللون دخل الشعر العربي في القرن الرابع عن طريق الفرس[٤٦] وهو امر ، لا يتناقض مع سبق ان قررناه من ان العرب لم يأخذوا البديع عن الفرس وذلك لان اللغز كما بيّن الدكتور علي جواد الطاهر ، لا يمكن ان يدخل في البديع مالم يفهم منه المعنى الضيق الذي آل اليه[٤٧] . والا فأن اغلب الباحثين يدخلونه في باب الوصف او الشعر التعليمي[٤٨] . ولعل عادة التعليم بالالغاز عادة قديمة لدى الفرس كما هي الحال في اليونان القديمة حيث كان الصبيان في بعض العهود يعلمون بالالغاز[٤٩] .

---

(٤٤) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ـ د. علي جواد الطاهر (٢ : ١٨٩) .
(٤٥) ينظر الشعر العربي واتجاهاته في القرن الرابع ، صاحب سبع ص٢٣٥ .
(٤٦) نفسه ص٣٣٩ .
(٤٧) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم (٢ : ١٨٩) .
(٤٨) الشعر العربي واتجاهاته في القرن الرابع ص٣٣٥ .
(٤٩) اسخيلوس واثينا ، جورج تومسن ، ترجمة د. صالح كاظم جواد ص٢٥٣ .

وغير خاف ان الصور البديعة التي تقصدها بمختلف اشكالها والوانها بعيدة عن تمثيل الواقع او التعبير عنه ، رغم ان الصــورة حسية كانت او متخيلة ، لا يشترط فيها ان تكون متطابقة مع متطلبات الواقع الخارجي • اذ انها تخضع لدى الشاعر الحقيقي لعملية اختيار لبعض عناصره ، وتكون نتيجة ذلك تركيبا غريبا مجافيا للمنطق ولكنه يحمل مع ذلك « منطقه » الخاص الذي يستمد حركته من «واقــع» نفسي او عقلي يفترض في هذه الصورة ان تتلاءم معه او تحركه باتجاه ايجابي•وفي مثل هذه الحال لا يصبح هناك معنى لما يقوله الآمدي وغيره من النقاد العرب القدماء من ان للاستعارة حدودا معلومة على اعتبار ان اللفظة يجب ان تكون لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه[٥٠] • فرغبة الشاعر في التعبير عن نفسه تعبيرا صادقا قد لا تغنى عنها مجموعة التشبيهات والاستعارات الناجزة التي يجدها في كتب الادب والبلاغة « اذ ان هذه البلاغة لابد ان تبدأ حركتهــا من النفس ، فتنبت مـــع الشعور ولا تكون سابقة له•ذلك ان قيمة الصورة ـــ كل صورة ـــ قيمة منتهية وليست قيمة ابدية او ثابتة وليس هناك قائمة بالصــور او التركيبــات الحسية ذات الشحنات المرصودة من الشاعر تمكن ان يلجأ اليها المتفنن حين يشاء ليتخذ منها ادوات للتعبير عن نفسه[٥١] •

ونحن نعثر ، في الواقع ، على هذه (الطراوة) في التعبير لدى كل شاعر كبير • فلابد ان يكون ماهرا في صناعة الصورة وبث شذراتها في ثنايا القصيدة مهما كان حظ تلك القصيدة من قوة التعبير او ضعفه •

وهي (الصورة) ليست طريقة جمالية واســلوبا فحسب ، وانما هي وسيلة مهمة لاستكناه المشاعر والاحاسيس ونقلها ، بما لها من خاصية تكثيف الموقف وتلوينه • وقد لاحظ النقاد المحدثون ان ثمة علاقة بين حاجة الشاعر النفسية وبين الحاجة على استخدام الصورة في شعره • حتى ان ستيفن سبندر

---

(٥٠) ينظر الموازنة بين الطائيين ص٧ •

(٥١) التفسير النفسي للادب . د. عزالدين اسماعيل ص٧٢ •

يقول : انني اشعر بالامان فقط عندما اتعامل بالصورة ، وغير ذلك فانني اشعر بالضياع طوال الوقت(٥٢) .

ولقد تناولنا فيما سبق الصور البديعة في اشكالها المضادة . اي تلك التي ينقلب فيها استخدام هذا الفن الى ظاهرة سلبية في اللغة تتقاطع مع الغاية الاصلية من وجودها باعتبارها عنصرا فنيا اساسيا وعاملا في مد رقعة الخيال الانساني وتوسيع اللغة واغناء ممكناتها في مواجهة الواقع المادي والروحي الذي تصفه او تعبر عنه ، وصلابة اللغة تقف عادة في مواجهة صلابة الواقع ، وحيثما تتبدل طرق الحياة ويصيبها التغيير كان على الادب ان يقوم بدوره المتمثل في ملاءمة نفسه مع هذا التغيير . وكتابات الكتاب التي لا تستطيع ان تقدح شرارة الحياة في الواقع الذي تعالجه تصبح — كما يقول أحد النقاد الغربيين — اشد تحجرا واكثر (انتهائية في الشكل) من الواقع نفسه ، بل تصير اشد املالا وغباء ويأسا وابتذالا من العالم الذي تدعي انها تصوره(٥٣) .

وقد شهد تاريخ اللغة العربية انماطا من الاساليب التي كان التعبير الادبي فيها ينحط لانحرافه عن الغايات الادبية الكبرى بسبب غياب الوعي والوضوح الفكري والرؤية السليمة وافتقاد الشجاعة الكافية لمواجهة الواقع وتسمية الاشياء بأسمائها واننا لنجد انه حيثما يستطيع المد البديعي في اي عصر ان يهيمن على اساليب التعبير الشعري والنثري ويقيدها ويجمدها ويحد من حركتها وحريتها الفنية ويحاصرها في دوائر ضيقة ويكبلها باغلال المحسنات اللفظية المصطنعة(٥٤) ، فان بامكاننا ان نحزر دونما حاجة الى الاستعانة

---

(٥٢) ينظر « التطور في الشعر العراقي الحديث » د. علي عباس علوان ص٤٢٤ .

(٥٣) ينظر مقال جورج لوكاس « تولستوى وتطور الواقعية » من كتاب تولستوي ، ترجمة نجيب المانع ص١٤٨ ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

(٥٤) ينظر مقال الدكتور علي احمد الزبيدي « ادب العراق في العهد العثماني » مجلة كلية الآداب عدد ٢٦ ص٤٧١ .

بالتفاصيل التاريخية ، نوع العصر وشـكل السـلطة والعلاقات الاجتماعية القائمة ، بما فيها من تجبر وعدوان وافتقاد للحرية وتسلط من قبل الاجانب الغرباء فكأن الاسلوب وحده بما فيه من سمات اساسية كأفتقاد الجدة والعناية البالغة بالتزويق والاهتمامات الشكلية وميل للتكرار واجترار لطرق وتعابير العصور السابقة وتقاليدها الادبية ، كاف لتحديد شكل العصر والاشارة الى روحـه اي ان الاسـلوب لا يصبح هنـا هو الرجـل فقط وانمـا يصبح هو العصر ايضـا •

وقد بين الدكتور محمد عابد الجابري في الفصل الثاني من كتابه (بنيـة العقل العربي) كيف ان الاهتمام بتجنب التنافر بين الكلمات معناه الحرص على النغمة الموسيقية في نظام الخطاب ، ومن هنا المحسنات البديعية بمختلف انواعها ، وهي محسنات تقوم بمهمة ابستمولوجية وهي تعويض الفراغ واخفاء التناقض على صعيد المعنى • اذ ان النغمة الموسيقية المرافقة للخطاب توجّه السامع الى نظام الكلمات وتصرفه بالتالي عن نظام الافكار مما يجعله في حالة اغفاء عقلي تسمح للمعنى ـ ان كان ثمة معنى ـ بالانسياب الى لاوعيه بدون رقابة عقلية فتقبله بدون نقاش •• فعندما ينشـغل المتكلم بالباس كـلامه ما يستطيع من المحسّنات اللفظية يكون ذهنه مسرحا لنوعين مـن التداعي : تداعي الالفاظ وتداعي المعاني •

فاذا هو عمد الى التحكم بتزاحم الالفاظ وتداعيها وذلك بأن لا يسمح بالخروج الا لتلك التي تتميز بادائها للصورة الحسية او الذهنية اداء مكثفا ، جاء كلامه يحمل فائضا من المعنى ، وذلك ما يسمّى عندهم بـ (الايجاز) وهو كما يقولون (الاتيان بكثير من المعنى في قليل من اللفظ • اما اذا ترك

المتكلم الالفاظ تنساب على لسانه وقلمه وكـان متـدربا على اقامة روابط موسيقية جرسية بينها ، اي قادرا على توظيف المحسنات اللفظية بمهارة واتقان، فان كلامه سيأتي حينئذ يحمل فائضا من الالفاظ ، ولكن بصورة توهم بـأن وراء كل لفظ معنى ، مما يغطي على فقر المعنى وتناقض الافكار(٥٥) .



(٥٥) د. محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية ، بيروت ١٩٨٧، ص١٠٨ .

آل الجـراح في العصر العباسي الثانـي

ا.د. عبدالواحد طـه ذنون
كلية التربية ـ جامعة الموصل

اصل الاسرة ونبذة عن اهتمامات رجالها في حقل الكتابة والتاليف :

كان آل الجراح بالاصل من كبار وجوه منطقة دير قُنّى الذي يبعـد نحو ستة عشر فرسخا عن بغداد (في حدود ثمانية واربعين ميلا) • وهو معدود في الجانب الشرقي في اعمال النهروان ، بينه وبين دجلة نحو ميل واحـد •[١] ويبدو أنهم كانوا يمتلكون ضياعا في بلدة الصافية التي تقع قرب هذا الديـر في أواخر النهروان ليس بعيدا عن النعمانية •[٢] والصافية في الاغلب موطنهم، حيث كان بعض أفراد اسرتهم ينفون اليها في اوقات النكبات •[٣] وربما كانوا يعودون في أصلهم البعيد الى احدى اسر الموالي الفرس التي نزحت الى هـذه المنطقة •[٤] ولكنهم في العصر الذي نتحدث عنه كانوا قد استعربوا تمامـا ،

(١) ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ : ٥٢٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٨٩/٣ .

(٣) ينظر : ابو الحسن هلال بن المحسن الصابيء ، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق ، عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ ، ص ١٥٢ ، ٣٠٥ ؛ محمد بن عبدالملك الهمذاني ، تكملة تاريخ الطبري ، منشور ضمن ذيول تاريخ الطبري ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ٢٦٧ـ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ .

(٤) ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق ، عبدالسلام محمد هارون ، ط٤ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٧، ص ٥١٢ ؛ وينظر ايضا : ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٣١ : ١٤/١٢ ؛ ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ط١ ، حيدر اباد الدكن ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، ١٣٥٧هـ : ٣٥١/٦ .

وبلغوا مرحلة متقدمة في مجال الثقافة العربية والكتابة الادبية الرصينة . ويدل على هذا ان الوزير علي بن عيسى لم يكن يعرف حتى اللغة الفارسية ، وقد احتاج معز الدولة البويهي الى من يترجم له كلام الوزير العربي الى الفارسية ليفهمه ، وذلك حين التقائه به بعد دخوله الى بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م .[٥]

يأتي على رأس هذه الاسرة داود بن الجراح ، وهو جد أبي الحسن علي بن عيسى ، وكان يكتب للخليفة المستعين بالله (٢٤٨ـ٢٥١هـ/٨٦٢ـ٨٦٦م) ، وله من الكتب كتاب التاريخ ، وأخبار الكتّاب ، وكتاب الرسائل .[٦] ويبدو أن اولاده واحفاده قد ساروا على سنته فأضافوا الى كتاب التاريخ ، وقد ضاعت هذه الكتب جميعا .[٧] ونبغ ابنه محمد بن داود بن الجراح ايضا في مجال الكتابة ، فكتب بخطه مالا يُحصى كثرة ، وأهم كتبه اثنان ، هما : كتاب الورقة في اخبار الشعراء ،[٨] ويذكر شاكر مصطفى ،[٩] انه تناول في هذا الكتاب ايضا اخبار الخلفاء مخصصا ورقة لكل منهم ، وان مخطوط هذا الكتاب موجود في طهران ، ومنه نسخة لدى الشاعر أحمد الصافي النجفي . أما الكتاب الثاني ، فهو كتاب تاريخي بعنوان كتاب الوزراء .[١٠]

(٥) ينظر : الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ ، وقد نقل هـ. ف آمدروز هذه الرواية من الهمذاني وضمنها في كتاب الوزراء للصابيء ص ٣٩٥ .

(٦) محمد بن اسحق بن النديم ، الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة عن طبعة القاهرة ، ١٣٤٨هـ ، ص ١٨٥ .

(٧) ينظر : شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ : ١/٢١٠ ، ٢/٦٣ .

(٨) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ـ١٨٦ .

(٩) التاريخ العربي والمؤرخون : ٢/٦٣ .

(١٠) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ ؛ وينظر ايضا : ابن الجوزي ، المنتظم : ٦/٨٩ ؛ مصطفى ، المرجع السابق : ١/٣١٣ .

وقد اشار المسعودي[11] ، اليه باسم اخبار الوزراء ، وهو من الكتب المفقودة .

أما مؤلفات الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، فهي متنوعة ، منها دينية مثل كتابي جامع الدعاء ، ومعاني القرآن وتفسيره ، ومنها ادبية ،مثل الكتاب الخاص برسائله[12] ، اما كتبه التاريخية ، فتتمثل في كتاب الكتّاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء[13] . وهو من الكتب الضائعة ايضا ، كما هو حال بقية كتبه الاخرى . وكان عبدالرحمن بن عيسى أخو علي بن عيسى ايضا من الكتّاب المشهورين ، فضلا عن انه وزر للخليفة المتقي بالله (٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م) . وله من الكتب ، كتاب سيرة أهل الخراج وأخبارهم وأنسابهم في القديم والحديث ، وكتاب التاريخ من سنة سبعين ومائتين الى ايامه ، وكتاب الخراج ، وكان كبيرا ولم يتمه .[14]

وقد استمرت هذه الاسرة في التأليف ، فكتب ابو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، الذي وزر للخليفة المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٦-٩٧٤م) سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م[15] ، كتابا فيه اخبار وحكايات نقلها عنه بعض المؤلفين . وقد وقع الكتاب بيد ابن العديم ، ونقل عنه بعض الحديث

---

(١١) ابو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والاشراف ، عني بتصحيحه ومراجعته عبدالله اسماعيل الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨ (اعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالاوفست) ، ص ٢٩٨ .

(١٢) ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم الادباء ، بيروت ، طبعة دار المستشرق (د.ت) : ٦٨/١٤ .

(١٣) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ ؛ وينظر ايضا : مصطفى ، المرجع السابق : ٣٢٠/١-٣٢١ ، ٦٣/٢-٦٤ .

(١٤) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ ؛ وينظر ايضا : مصطفى ، المرجع السابق : ٦٤/٢ .

(١٥) ياقوت ، معجم الادباء : ٧٣/١٤ .

عن الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ـ٢٨٩هـ/٨٩٢ـ٩٠٢م)[١٦] • وكتب ابو القاسم عبدالله بن علي بن محمد بن داود بن الجراح ، ويعرف بابن اسماء ، وهي اخت علي بن عيسى ، كتابا بعنوان : الاستفادة من التاريخ ، وكتاب البيان وتقويم اللسان[١٧] ، وهما ايضا من الكتب الضائعة • كذلك كان أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح عالما بعلوم الاسلام ، والمنطق ، وله مؤلفات لغوية ، وقد كتب للخليفة الطائع لله (٣٦٣ـ٣٨١هـ/ ٩٧٤ـ٩٩١م) •[١٨]

دور اسرة آل الجراح في الادارة والسياسة :

كتب عميد هذه الاسرة داود بن الجراح للخليفة المستعين بالله ، كما أسلفنا ، كذلك عمل ابنه عيسى بن داود ، والد الوزير علي بن عيسى ، ايضا في الكتابة بالدواوين •[١٩] اما ابنه الآخر محمد بن داود ، فقد تقلد مناصب عديدة ، منها توليه ديوان المشرق في خلافة المعتضد بالله سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م) •[٢٠] كما تولى الكتابة ايضا في خلافة المكتفي بالله

(١٦) ينظر : كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله المعروف بابن العديم ، بغية الطلب ، المجلد ١ من مخطوط احمد الثالث رقم (٢٩٢٥) الورقة ١١٩ وجه ، نقلا عن : مصطفى ، المرجع السابق : ٢/٦٤ .

(١٧) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ ؛ وينظر : مصطفى ، المرجع السابق : ٢/٦٤ .

(١٨) ينظر : ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ ؛ ياقوت ، معجم الادباء : ١٤/٧٣؛ عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٩ : ٩/١٦٨ .

(١٩) ابو علي المحسن بن علي التنوخي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق ، عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧١ـ١٩٧٣ : ٨/٥٣ .

(٢٠) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، نشر : دي غوية ، ليدن ، بريل ، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١ : ٣/٢١٩٠ ؛ وينظر : التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٤/ ٧٢؛ الصابيء ، الوزراء : ص ١٤٩ .

(٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م) . وتقلد بالاضافة الى دواوين الخراج والضياع بالمشرق ، ديوان الجيش ايضا[٢١] ، وقد كُلف محمد بن داود من قبل الوزير العباس بن الحسن بن ايوب ، بصفته متوليا لديوان الجيش بالخروج الى الكوفة سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م والمقام بها لانفاذ الجيوش لمحاربة القرامطة الذين كثر خطرهم وقاموا بمهاجمة قوافل الحجاج ، فخرج محمد بن داود وحمل معه اموالا كثيرة لاعطاء الجند وتسييرهم لمجابهة خطر القرامطة .[٢٢]

ولكن الدور السياسي الكبير الذي لعبه محمد بن داود كان محاولته في تحويل الخلافة بعد وفاة المكتفي بالله من المقتدر بالله الى عبدالله بن المعتز . فكان على رأس المنفذين لهذه الخطة ، حيث واطأ جماعة من القادة على الفتك بالمقتدر بالله والبيعة لابن المعتز . وقد تراجع الوزير العباس بن الحسن عن هذه الفكرة بعد ان كان مساهما فيها ، فقتله المتآمرون ، وخلعوا المقتدر بالله ، وبايعوا عبدالله بن المعتز ولقبوه الراضي بالله وقيل المرتضى بالله . وقد استوزر ابن المعتز محمد بن داود واستخلفه على الجيش ، وقلد علي بن عيسى الدواوين . ولكن الحركة أخفقت وانفضت الجموع التي كان قد جمعها محمد بن داود ، بسبب تصدي القائد التركي مؤنس الخادم لهم ، فهرب محمد بن داود ، ثم عُثر عليه وقتل سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م .[٢٣] أما علي

(٢١) الطبري ، المصدر السابق : ٢٢٧٣/٣ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، ٣٩٠ .

(٢٢) الطبري ، المصدر السابق : ٢٢٧٣/٣ ؛ عريب بن سعد القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ، منشور ضمن ذيول تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣ .

(٢٣) ينظر عن الحركة : الطبري ، المصدر السابق : ٢٢٨١/٣-٢٢٨٣ ؛ عريب ، المصدر السابق ، ص ٣١-٣٣ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٦-٣٢٧ ؛ ابو علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه ، تجارب الامم ، باعتناء : هـ. ف أمدروز ، القاهرة ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م : ١/٢-٧ ، ٩-١٠ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٢٩-٣١ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ١٩١-١٩٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٨٠/٦-٨١ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ١٤/٨-١٧ .

بن عيسى ، فقد نفي الى واسط ، ومنها طلب ابعاده الى مكة ، حيث بقي هناك الى ان تم استدعاؤه للوزارة .(٢٤)

وبرز من احفاد داود بن الجراح عدة اشخاص كان لهم اثرهم الفاعل في المجتمع ، أبرزهم علي بن عيسى بن داود ، الذي سنتحدث عنه لاحقا بالتفصيل . أما بقية اخوته ، فقد لعبوا ادوارا مختلفة ، ويأتي في مقدمتهم عبدالرحمن بن عيسى بن داود ، الذي اشتهر ايضا بالكتابة في دواوين الدولة. وقد ضمه اليه اخوه علي بن عيسى في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م في اثناء وزارته الاولى وقلده كتابته .(٢٥) ثم وزر عبدالرحمن بن عيسى للخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠) سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م بمشورة اخيه علي بن عيسى ، لكنه طلب إعفاءه من الوزارة حين عجز عن تصريف الامور ، وقبض عليه وعلى اخيه علي بن عيسى وصودرا على مبالغ طائلة من المال .(٢٦) وكلف في عهد المتقي بالله ايضا بالوزارة سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م ، ولكن اخاه علي بن عيسى اشار عليه بعدم توليها رسميا والاكتفاء فقط بادارة الاعمال ، نظرا لعدم استقرار الامور السياسية . وفعلا لم تستمر ادارته التي ساعده فيها اخوه علي بن عيسى سوى تسعة ايام ، حيث قلد الخليفة المتقي لله

(٢٤) ينظر : الصابيء ، الوزراء ، ص ٢٩ ، ٣٢ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ٨/١ ، ١٣ ، ٢٦ ؛

Harold Bowen, The Life and Times of Ali ibn Isa, Cambridge, 1927, P. 114.

(٢٥) الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢٦) ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ، اخبار الراضي بالله والمتقي لله او تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ ـ ٣٣٣ هجرية من كتاب الاوراق ، عني بنشره : ج. هيورث ، دن ، ط٣ ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٨٣ ، ص ٤ ، ٦٥ ـ ٦٦ ، ٨١ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٣٣٧ ؛ مسكويه، المصدر السابق : ٣٣٦/١-٣٣٨ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٥٩-٣٦٠ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٣١٤/٨-٣١٥ .

الوزارة الى أبي اسحق محمد بن احمد بن ابراهيم الاسكافي المعروف بالقراريطي .(٢٧)

وقد تقلد ابراهيم بن عيسى بن داود مناصب ادارية رفيعة ، منها اعمال الزاب الاعلى نيابة عن اخيه علي بن عيسى ، ثم تولاها رئاسة ، وذلك في خلافة المعتضد بالله على ايام الوزير عبيدالله بن سليمان . ثم تولى اعمال واسط وبعض مناطق اعمال سواد بغداد ، فكشف عن اختلاسات كبيرة لابني الفرات ، احمد بن محمد بن موسى ، وعلي بن محمد بن موسى ، واستيلائهما على بعض الضياع السلطانية ، الامر الذي ادى الى انتقام ابي الحسن علي بن الفرات منه حين ولي الوزارة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م ، فنفاه الى الصافية . كما نكبه في وزارته الثانية سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م وصادره . ثم لاحقه في وزارته الثالثة سنة ٣١١هـ/٩٢٣م وطالبه باموال اخرى ، ونفاه الى البصرة ، وقد سُم بواسطة اعوان ابن الفرات وهو في الطريق الى بواسط .(٢٨) وكان ابراهيم بن عيسى قد تولى ديوان الجيش لاخيه علي بن عيسى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م ،(٢٩) وأسهم في بعض المهام الاقتصادية للدولة ، منها عمله في اصلاح أحد البثوق المعروفة باسم أبي الاسود على نهر الملك ، وانفق عليه سبعمائة الف درهم .(٣٠)

ومن الذين تقلدوا مناصب ادارية اخرى من هذه الاسرة ، محمد بن عيسى بن داود الجراح ، الذي قلده اخوه علي بن عيسى ديوان الحُرم في وزارته الثانية .(٣١) كما تولى أبو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى الوزارة

---

(٢٧) الصولي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٣٤٤ ؛ وينظر : ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٨٦ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٤٤ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ـ١٥٢ ؛ عريب ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(٣٠) الصابيء ، الوزراء ، ص ٢٨٠ ؛ ونهر الملك « كورة واسعة بعد نهر عيسى » ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان : ٥/٣٢٤ .

(٣١) مسكويه ، المصدر السابق : ١/١٥٢ .

للخليفة المطيع لله في شهر ربيع الاول سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م .[٣٢] وقد إستخلف عيسى بن علي بن عيسى على الحضرة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م من قبل ابي القاسم بن أبي عبدالله البريدي ، بعد ان تسلم الاخير ضمانة واسط من معز الدولة البويهي وغادر اليها .[٣٣] ثم كتب عيسى بن علي اخيرا للخليفة الطائع لله ، وكان محدثا وعالما فاضلا ، توفي سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م.[٣٤]

الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح : حياته العملية ومناصبة الادارية :

يُعد علي بن عيسى من ابرز اعضاء اسرة آل الجراح واكثرهم اسهاما في مجال الادارة ، فقد خدم الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي نحو سبعين عاما ، كما يشير الى ذلك ياقوت الحموي .[٣٥] فقد ولد عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م ، وتوفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، او ٣٣٥هـ/٩٤٦م ، عن عمر يناهز التسعين عاما .[٣٦]

ابتدأ علي بن عيسى حياته العملية في تولي شؤون الكتابة في دواوين الدولة. وقد برز بشكل خاص مع عمه محمد بن داود في ديوان الدار الذي كان يديره احمد بن محمد بن الفرات مساعد الوزير عبيدالله بن سليمان زمن الخليفة المعتضد بالله . ثم تقدم علي بن عيسى وكسب ثقة القاسم بن عبيدالله بن سليمان ، الذي انتزع مجلس الغرب من ديوان الدار وقلده لعلي بن عيسى ، ليتولى رئاسته ، وذلك في حدود سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م .[٣٧] فاتخذ مدينة الرقة مقرا له لادارة هذا الديوان ،[٣٨] حيث ابدى كفاءة مشهودة لفتت انظار

---

(٣٢) ياقوت ، معجم الادباء : ٧٣/١٤ .
(٣٣) مسكويه ، المصدر السابق : ٨٨/٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٤٦٥/٨ .
(٣٤) ينظر : ياقوت معجم الادباء : ٧٣/١٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ١٦٨/٩ .
(٣٥) معجم الادباء : ٧٢/١٤ .
(٣٦) ينظر : مسكويه ، المصدر السابق : ١٠٤/٢ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٠٥ ، ٣٤٤ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .
(٣٧) الطبري ، تاريخ : ٢١٩٠/٣ ؛ التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٧٢/٤ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ١٤٨-١٤٩ .
(٣٨) الطبري ، تاريخ : ٢٢٢١/٣ .

الخليفة المكتفي بالله ، الذي اراد ان يوليه الوزارة عملا بوصية الوزير القاسم بن عبيدالله قبيل وفاته سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م ، لكن علي بن عيسى اعتذر من المنصب ، مؤثرا على نفسه الكاتب العباس بن الحسن .(٣٩)

وتشير بعض المصادر الى اشتراك علي بن عيسى مع عمه محمد بن داود في محاولة تنصيب عبدالله بن المعتز خليفة بدلا من المقتدر بالله سنة ٢٩٦-/٩٠٨م .(٤٠) ويبدو أن علي بن عيسى لم يكن متحمسا للحركة ، وقد تأخر عن البيعة ، ولم يحضر الا بعد الالحاح في طلبه . وقد شهد له بذلك الوزير ابو الحسن علي بن الفرات عند المقتدر بالله ، مقررا بانه لم يدخل في أمر عبدالله بن المعتز ، ولا دخل داره وقت البيعة الا عن ضرورة . ولهذا السبب كانت العقوبة المقررة عليه خفيفة ، واقتصرت على مصادرة شكلية ، والنفي الى واسط .(٤١) وقد طلب علي بن عيسى السماح له بالذهاب الى مكة ليسلم من الظنون ، وينسى الخليفة ذكره ، فأجابه الوزير ابن الفرات الى ذلك .(٤٢)

وقد استدعي علي بن عيسى من مكة بعد نحو اربع سنوات لتولي الوزارة في بغداد لاول مرة ، فوصلها في المحرم سنة ٣٠١هـ/٩١٣م ، حيث قلد الوزارة من قبل المقتدر بالله ، وذلك نظرا لفساد وزارة أبي علي محمد بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان .(٤٣) وقد استمرت وزارة علي بن عيسى الاولى نحو ثلاث

---

(٣٩) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٨٧-٣٨٩ .

(٤٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٦ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ٥/١ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل:١٥/٨ .

(٤١) الصابيء ، الوزراء ، ص ٢٩ ، ١٥٤-١٥٥ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ٨/١ .

(٤٢) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٢ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ١/ ١٣ ، الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ١٧/٨-١٨ ؛ وينظر ايضا : **Bowen, OP. Cit., P. 114**

(٤٣) الطبري ، تاريخ : ٢٢٨٨/٣ ؛ عريب ، المصدر السابق ، ص ٤٣ ؛ مسكويه المصدر السابق : ٢٦/١ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٠٥ .

سنين وأحد عشر شهرا ، أُقبل بعدها في سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م بسبب ضغط الحاشية والحرم على الخليفة لابعاده عن الوزارة ، لانه وقف ضد امتيازاتهم، وحاول تقليص النفقات التي تصرف عليهم .(٤٤) وقد حُبس علي بن عيسى في قصر الخليفة ، وتقلد الوزارة علي بن محمد بن موسى بن الفرات .(٤٥)

ولم تطل وزارة ابن الفرات هذه كثيرا نتيجة عجزه عن تلبية طلب الخليفة المقتدر بالله المتزايد الى المال ، واغراء الحاشية به ، ومحاولتهم دفع حامد بن العباس ، احد الطامعين بالمنصب ، الذي تعهد باداء مبلغ كبير من المال مقابل حصوله على الوزارة .(٤٦) فقُبض على ابن الفرات سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ، وحُبس ، وتقلد حامد بن العباس الذي لم يكن اهلا للمسؤولية ، فاضطر الخليفة والحاشية للاستعانة بعلي بن عيسى ، الذي مضى على حبسه نحو ثمانية عشر شهرا ، فأفرج عنه وطُلب منه مساعدة حامد بن العباس وتولي الدواوين .(٤٧) فأصبح كالنائب له ، لكنه كان في الواقع هو الاصل لخبرته وتجربته ، فكان اسم الوزارة لحامد وحقيقتها

---

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦–٣٠٧ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ٣٩/١ ، ٤٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ١٣٨/٦ ؛ ابن الاثير : الكامل : ٩٨/٨ ؛ **Bowen, OP. Cit., P. 125**

وينظر : حمدان عبدالمجيد الكبيسي ، عصر الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥–٣٢٠هـ/٩٠٧–٩٣٢م ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٩٧٤ ، ص٨٧ ، ١٣١؛ فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ٢٤٧–٣٣٤هـ/٨٦١–٩٤٦م ، بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٧٤ ، ص ٩٥–٩٦ .

(٤٥) ينظر : عريب ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٤٦) عن تردي احوال الوزارة في هذا العصر ، واسراف المقتدر بالله في تعيين وعزل الوزراء ، ينظر : توفيق سلطان اليوزبكي ، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ١٣٢–٤٤٧هـ ، ط٢ ، الموصل ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٧–١٥٨ .

(٤٧) عريب ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ٥٨/١ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

لعلي بن عيسى .[48] فقام بواجبه على افضل ما يكون ، ولم يقبل تولي الوزارة وحده حينما عرض عليه ذلك الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م ،[49] مما يدل على زهده في المنصب ، ذلك الزهد الذي عبر عنه في مختلف المناسبات .[50]

وفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م أعيد تعيين ابي الحسن علي بن الفرات وزيرا جديدا للمقتدر بالله ، وانتهت وزارة حامد بن العباس وعلي بن عيسى المشتركة . وقد زعم ابن الفرات للخليفة ان علي بن عيسى خائن متواطىء مع القرامطة ، فصادره ، ثم نفاه الى مكة ، ومنها الى صنعاء باليمن .[51] فظل هناك الى ان قبض على ابن الفرات وابنه المحسن سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م ، فسأل القائد مؤنس المظفر الوزير الجديد ، عبدالله بن محمد بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان ، أن يأذن لعلي بن عيسى في الرجوع الى مكة ، ففعل ، ثم سأل مؤنس الخليفة المقتدر بالله ان يقلده الاشراف على مصر والشام ، فوافق على ذلك ، وأعلم به علي بن عيسى ، فتولى امر المغرب كله .[52] ثم تقلد ابو العباس احمد بن عبيدالله بن سليمان الخصيبي الوزارة ، لكنه لم يستطع

(٤٨) ينظر : مسكويه ، المصدر السابق : ١/٥٩–٦٠ ؛ ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (المنسوب) ، تحفة الوزراء ، تحقيق ، حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار ، بغداد ، وزارة الاوقاف ، ١٩٧٧ ، ص ٥٤ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٧٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٨/١١٢ ؛ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، ١٩٦٢ ، ص ٢١٧ .

(٤٩) عريب ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٥٠) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٩ .

(٥١) عريب ، المصدر السابق ، ص ٩٨–٩٩ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ١/١٠٩ ، ١١٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٦/١٧٣ ؛ **Bowen, OP. Cit., P. 226**

(٥٢) ينظر : عريب ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ١/١٤١ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٨/١٥١ .

ادارة الامور ، فأشار مؤنس على الخليفة المقتدر بالله باستقدام علي بن عيسى ورد الامور اليه • فأرسل الى دمشق لاحضاره منها ، فقدم بغداد سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م ، واستقبله الناس بسرور بالغ •(٥٣)

ولكن وزارة علي بن عيسى هذه لم تدم اكثر من سنة واربعة اشهر ، وقد اضطر الى أن يستعفي من الخليفة بسبب تضاعف النفقات ، وميل نصر الحاجب عنه ، ومحاولات الحاشية الاتصال بمحمد بن علي بن الحسن المعروف بابن مقلة ، الذي تعهد بضمانات مالية كبيرة ان إسند اليه منصب الوزارة وقد تردد المقتدر بالله اول الامر في اجابة طلب علي بن عيسى ، لكنه عزله بعد ذلك في سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م ، وقبض عليه وعلى اخيه عبدالرحمن ، واتهم ايضا بمواطئة القرامطة ، لكن لم تثبت عليه التهمة في هذه المرة ايضا •(٥٤)

وقد تولى علي بن عيسى النظر في المظالم في اثناء وزارة ابن مقلة •(٥٥) وحينما أُقيل الاخير من الوزارة عام ٣١٨هـ/٩٣٠م ، عرض الخليفة المقتدر بالله المنصب على علي بن عيسى فرفضه ، وأشار بتعيين سليمان بن الحسن ، فوافق الخليفة ، واشترط على علي بن عيسى أن يشرف على سائر الامور ، والاعمال والدواوين ، ومعاضدة سليمان بن الحسن بحيث لا ينفرد الاخير باتخاذ القرارات التي يجب ان تكون مقرونة بموافقة علي بن عيسى •(٥٦) كذلك استمر علي بن عيسى في مزاولة هذه المهام جميعا بما فيها النظر في المظالم

---

(٥٣) عريب ، المصدر السابق ، ص ١١٢–١١٣ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٣٥–٣٣٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٢٠٢/٦ ، ٢٠٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل: ١٦٤/٨ ؛ Bowen, OP. Cit., P. 250

(٥٤) عريب ، المصدر السابق ، ص١١٣ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ١٨٤/١٨٧ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٢ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ١٨٣/٨–١٨٤ .

(٥٥) عريب ، المصدر السابق ، ص ١٣١ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤

(٥٦) مسكويه ، المصدر السابق : ٢٠٥/١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٢٣١/٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٢١٨/٨ .

في وزارة ابي القاسم عبيدالله بن محمد الكلوذاني سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[٥٧]. ولما عُزل الاخير وعيّن الحسين بن قاسم في السنة ذاتها، اشترط هذا الوزير الجديد على المقتدر بالله عدم اشتراك علي بن عيسى معه في امور الوزارة، فأجيب الى ذلك، ولم يكتف بهذا، بل حاول مصادرته، ونفاه الى الصافية بالقرب من دير قُنّى[٥٨].

وفي سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م تولى علي بن عيسى أعمال واسط وسقي الفرات في خلافة القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م)[٥٩]. وبعد خلع القاهر بالله، ساعد علي بن عيسى هو وأخوه عبدالرحمن في اخذ البيعة للراضي بالله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م. وقد اعتذر علي بن عيسى من منصب الوزارة الذي عرضه عليه الخليفة الجديد، ورشح لذلك أخاه عبدالرحمن[٦٠]. ولكن المنصب صار اخيرا من نصيب ابن مقلة، الذي عرض تقديم خمسمئة الف دينار للخليفة. وقد اتهم ابن مقلة علي بن عيسى بمكاتبة الحمدانيين، كما اتهمه الخليفة ايضا بحيازة بعض المال في اثناء وزارته، الامر الذي ادى الى صرفه واخيه، ومصادرته ونفيه الى الصافية سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م[٦١]. وبعد اضطرابات في بغداد وعدم تمكن الوزير ابن مقلة من دفع ارزاق الجند سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، قُبض عليه ونُحي عن الوزارة، وأُحضر علي بن عيسى، وعرضت عليه الوزارة، فرفض قبولها وأظهر العجز، وأشار باخيه

---

(٥٧) مسكويه، المصدر السابق: ٢١٢/١؛ ابن الاثير، الكامل: ٢٢٦/٨.

(٥٨) ينظر: عريب، المصدر السابق، ص ١٤١؛ الهمذاني، المصدر السابق، ص ٢٦٨؛ ابن الاثير، الكامل: ٢٣٢/٨؛ الكبيسي، المرجع السابق ص ٢١٨.

(٥٩) الهمذاني، المصدر السابق، ص٢٨١؛ الصابيء، الوزراء، ص٣٨٦.

(٦٠) الصولي، اخبار الراضي بالله، ص ٤؛ مسكويه، المصدر السابق: ٢٩٠/١-٢٩٢.

(٦١) الصولي، اخبار الراضي بالله، ص٤ - ٥، ٦٥ - ٦٦، مسكويه، المصدر السابق ٣٢٤ - ٣٢٥، الهمذاني، المصدر السابق ص٢٩٥.

(٦٢) الصولي، اخبار الراضي بالله، ص ٨١، ٨٣، ٨٤؛ مسكويه، المصدر السابق: ٣٣٦/١-٣٣٨؛ ابن الجوزي، المنتظم: ٢٨١/٦؛ ابن الاثير، الكامل: ٣١٤/٨-٣١٥؛ ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص ٢٢٧.

عبدالرحمن ، الذي تولاها لمدة خمسين يوما فقط لعجزه عن ادارة دفة الامور بسبب قلة الاموال ، فعزل وصودر هو وأخوه علي من قبل الوزير الجديد ، ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي .(٦٢)

وكانت آخر مناصب علي بن عيسى الادارية سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م حيث كلف بالنظر في ديوان المظالم في خلافة المتقي لله ، وامارة امير الامراء بجكم .(٦٣) ثم استدعي في السنة ذاتها لتولي الوزارة ، فأبى القبول ، ونصح اخاه عبدالرحمن ايضا ـ كما اسلفنا في ترجمته ـ بعدم توليها رسميا ، او التسمي باسمها ، لكنهما وافقا بعد ضغط الخليفة على القيام بتدبير الاعمال لمدة تسعة أيام ، ثم تقلد ابو اسحق محمد القراريطي الوزارة ، فلزم علي بن عيسى هو وأخوه عبدالرحمن منزلهما .(٦٤)

دور علي بن عيسى في ضبط الادارة ومعالجة الاوضاع السياسية :

تعد الحقبة الزمنية الممتدة من الربع الاخير للقرن الثالث الهجري حتى نهاية العقود الثلاثة الاولى من القرن الرابع من اكثر الفترات تخبطا وارتباكا في مجال الادارة ، وعدم استقرار الاوضاع السياسية في تاريخ الدولة العباسية . وقد تميز عصر الخليفة المقتدر بالله بالذات بقسط وافر من الخلل الذي استشرى في الدولة نتيجة صغر سنه واستيلاء امه ونسائه وخدمه عليه. يضاف الى ذلك التبذير والاسراف اللذين رافقا حكمه مما ادى الى عجز بيت المال ، والحاجة الملحة الى الاموال ، مما قاد الى الاسراف في تعيين

(٦٣) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٤٣ ؛ وينظر عن بجكم : تقي الدين عارف الدوري ، عصر امرة الامراء في العراق ٣٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٦-٩٤٦م دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ، بغداد ، مطبعة اسعد ، ١٩٧٥ ، ص ٨٢-٩٣ .

(٦٤) الصولي ، اخبار الراضي بالله ، ص ٢٠٣-٢٠٤ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ١٨/٢ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٤٤ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .

الوزراء وعزلهم ومصادرتهم اذا ما عجزوا عن توفير الأموال .[٦٥] لذلك عمد معظم الوزراء الى جمع اقصى ما يمكن من اموال بطرق واساليب غير شرعية في الغالب استعدادا لليوم الاسود الذي يطالبون به بالمصادرة بعد اقالتهم ، كما ادى الى تعيين اشخاص غير اكفاء على الاقاليم والاعمال بهدف تزويد بيت المال بالمال عن طريق التضمينات والتعهد بدفع مبالغ متفق عليها لقاء تولي المنصب. وقد ادى هذا الى زيادة حدة المنافسة والمساومة ، وتدهور الزراعة ، وتراجع الجباية ، واحتكار الاسواق والمنتجات .[٦٦]

في مثل هذا المناخ الاداري الفاسد عمل علي بن عيسى ، وهو وان كان ابن عصره ، لكنه ، باجماع المصادر المتوفرة ، اختلف عن كثير من الوزراء المعاصرين له . حيث تميز بالتعقل ، والتدين ، والعفة ، والبعد عن التبذل والهزل . فحاول جهد امكانه أن يرتب الدواوين على ما رأى فيه الصلاح والسداد . ولم يكن ليرضى بتقليد الاعمال الادارية في اثناء توليه منصب الوزارة الا لمن يعتقد فيهم الكفاءة .[٦٧] ولم يقلد اولاده شيئا من اعماله في وزارته الاولى سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م .[٦٨] وحاول رفع المظالم وردها ، فجلس بنفسه للمظالم كل يوم ثلاثاء ،[٦٩] كما كتب الى جميع العمال برفع انواع الظلم كافة ، واستيفاء الخراج على العدل والانصاف بلا محاباة للاقوياء ، ولا حيف على الضعفاء . وقد انذر كل من يعمل على تحقيق اطماع شخصية

(٦٥) يقارن : ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص ٢١١ ؛ الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٤٨ ؛ اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص ١٥٧–١٥٨ ؛ فهمي عبدالرزاق سعد ، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، بيروت ، الاهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص ٥٩ .

(٦٦) ينظر : عمر ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ص ٨٩ ؛ اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٦٧) التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٤٣/١ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٠٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .

(٦٩) عريب ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

عن طريق اخذ الرشوة بأقصى العقوبات ، وانه لن يتغاضى عن اي تقصير يرتكب في هذا المجال .[٧٠] وكان هو نفسه مثالا نموذجيا لذلك ، فقد ردّ رشوة قدمها محمد بن جعفر العبرتائي ، متولي اعمال طاسيج طريق خراسان قيمتها عشرة الاف دينار ، كان الاخير يتوخى منها ان يتساهل معه علي بن عيسى فيما ضمنه من اعمال . وقد حاسبه بعد ذلك والزمهُ بتسديد خمسين ألف دينار مستحقة لبيت المال ، كان يحاول التهرب من دفعها .[٧١]

وأظهر الوزير علي بن عيسى تفهما واضحا وسياسة حكيمة ازاء خطر القرامطة في اثناء وزارته الاولى ، فقد استشاره الخليفة المقتدر بالله في امرهم، فأشار بمكاتبتهم واشغالهم بالمراسلة والطلب اليهم بالدخول في الطاعة . وفعلا تمت الكتابة اليهم سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م حينما كانوا في جنوب العراق بالقرب من البصرة . كما ارسل اليهم الهدايا ، واطلق لهم حرية التسوق بسيراف على الخليج العربي . وكان قصده من ذلك المصلحة العامة ، واستعادتهم الى الطاعة بالرفق والاستمالة . وبالفعل نجحت سياسته هذه في رد خطرهم واطلاق سراح ثلاثة الاف اسير كانوا بأيديهم ، عاد بهم رسل الوزير الى بغداد . وقد حاول أعداؤه التشنيع عليه واتهامه بموالاة القرامطة والتآمر معهم ، ولكن كما يرى عريب بن سعيد ،[٧٢] « كان الرجل ارجح عقلا واحسن مذهبا من الدخول فيما نسب اليه » . وقد حاول أبو الحسن علي بن الفرات عبثا في اثناء مناظرته له سنة ٣١١هـ/٩٢٣م أن يسجل عليه انه تواطأ معهم لكنه ، كما اسلفنا ، لم يوفق في ذلك .[٧٣]

---

(٧٠) ينظر : مسكويه ، المصدر السابق : ٢٨/١ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤–٣٦٥ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٣ ؛ الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ ؛ Bowen, OP. Cit., P. 125 .

(٧١) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٤٤–٣٤٦ .

(٧٢) صلة تاريخ الطبري ، ص ٧ .

(٧٣) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٧ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ٣٤/١–٣٥ ، ١٠٩ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣١٨–٣١٩ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ١٢١/٦–١٢٢ .

ويدل موقف علي بن عيسى ازاء القرامطة في وزارته الثانية ، انه كان لا يتهاون في سبيل مصلحة الدولة والدفاع عن بغداد . فحينما اقترب هؤلاء من العاصمة ووصلوا عين التمر ، وهددوا الانبار سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م ، قام الوزير علي بن عيسى باتخاذ اجراءات عديدة كان من نتيجتها تخليص بغداد من خطرهم . فقد استأجر خمسمائة سفينة نهرية ، وجعل فيها الف رجل ، وأنفذها مع سفن اخرى من كل الانواع مشحونة بالرجال المسلحين من فرقة الحجرية المكونة من مماليك الاتراك ، لمنع القرامطة من عبور نهر الفرات . كما تقدم الى القادة العسكريين بالمسير الى الانبار وحفظها .(٧٤)

وقد رتب علي بن عيسى بين بغداد ونهر زبّارا ، وهو موضع في نواحي الكوفة ،(٧٥) المراسلين المكلفين بالكتابة عن اخبار العدو في كل ساعة ، وارسالها على اجنحة الحمام الى بغداد . وكان عدد هؤلاء ، كما يشير مسكويه(٧٦) ، مائة رجل مع مائة طير . يضاف الى ذلك ، أنه تقدم باجراء داخلي القصد منه سلامة مدينة بغداد من العيارين والمتشبهين بالجند ، الذين كانوا يقومون بمحاولات اعتداء ونهب لممتلكات الناس ، فأمر صاحب الشرطة نازوك بالطواف ومواصلة الركوب ليلا ونهارا في بغداد ، واباحة دم من يقوم باعمال النهب والشغب مستغلا الظروف الحرجة ، وتقدم القرامطة ، فكان ذلك سببا لسلامة المدينة .(٧٧)

كما قام باجراء آخر على صعيد السياسة العليا فيما يخص هذه الحالة بالذات فبادر الى الخليفة المقتدر بالله سائلا اياه دعم الجهود العسكرية بماله الخاص لمواجهة القرامطة ، وذلك لعدم توفر الاموال في خزينة الدولة ،

(٧٤) مسكويه ، المصدر السابق : ١/١٧٥–١٧٦ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
(٧٥) ينظر : ياقوت ، معجم البلدان : ١٢٩/٣ .
(٧٦) تجارب الامم : ١٧٩/١ .
(٧٧) المصدر نفسه : ١٨٠/١ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

والطلب الى والدته للمساهمة في ذلك ، والا فإن الوضع خطير جدا ، ويمكن ان يهدد البلد وسلامة الخليفة شخصيا ، وكان من جملة ما قاله له : « انما جمع الخلفاء المتقدمون الاموال ليقمعوا بها اعداء الدين والخوارج وليحفظوا بها الاسلام والمسلمين .. والان فلم يبق في بيت مال الخاصة شيء كبير فاتق الله يا امير المؤمنين وتخاطب السيدة فإنها ديّنة فاضلة فان كان عندها مال قد ذخرته لشدة تلحقها او تلحق الدولة فهذا وقت اخراجه وان تكن الاخرى فاخرج انت واصحابك الى اقاصي خراسان فقد صدقتك ونصحتك . فدخل الى والدته ثم عاد فأخبر ان السيدة استرأته وأمرت باخراج خمسمائة الف دينار من مالها الى بيت مال العامة لينفق في الرجال » .(78)

ولم يقتصر موقف الوزير علي بن عيسى في حماية الدولة على اتخاذ القرارات والاجراءات ، واصدار الاوامر حسب ، بل ساهم مساهمة فعلية في صد خطر الاعداء لاسيما على الجبهة الشمالية ضد البيزنطيين . فقد سار في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م في الفي فارس معونة لبشر الخادم والي طرسوس لغزو الصائفة ، فلم يتيسر لهم ذلك ، فغزوها شاتية في برد شديد وثلج ،(79) « وبذلك يكون هو الوزير الوحيد الذي قاد حملة عسكرية خلال عصر المقتدر بالله » .(80)

ويبدو انه كان يولي اهتماما كبيرا بهذه الجبهة وبالاسرى المسلمين فيها، من ذلك مثلا ، انه سمع بان بعض الاسرى المسلمين تساء معاملتهم لدى البيزنطيين ، ويكرهون على التنصر . فأرسل الى بطريق انطاكية ، وجاثلين بيت المقدس ، وطلب اليهما أن يكتبا الى امبراطور البيزنطيين بالكف عن هذه الممارسات ، واحترام اسرى المسلمين وتحسين معاملتهم . وقد افلحت جهوده

(78) مسكويه ، المصدر السابق : ١/١٨٠-١٨١ ؛ وينظر ايضا : الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٦/٢٠٩ .

(79) الطبري : تاريخ : ٣/٢٢٩١ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٨/٨٦ .

في هذا المضمار ، وفك التقييد عن الاسرى ، وبطل التضييق عليهم بفضله.[81] وفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م ازدادت غارات البيزنطيين على الثغور الشمالية ، وكثر عدد الاسرى المسلمين ، فاستغل امبراطورهم هذه الحالة ، وكتب الى الخليفة المتقي بالله يلتمس منديلا ببيعة الرها يقال ان النبي عيسى عليه السلام قد مسح به وجهه ، وان أعطي هذا المنديل أطلق جميع اسرى المسلمين . وقد جمع الخليفة الفقهاء والقضاة وكبار رجال الدولة ، ومنهم علي بن عيسى ، للخروج برأي مناسب . وكان رأي بعض الحضور ان اعطاء هذا المنديل فيه اهانة وغضاضة للمسلمين وانهم احق به ، فقال علي بن عيسى « خلاص المسلمين من الاسر احق » ، فأمر المتقي بتسليم المنديل وأطلق الاسرى » .[82]

وهكذا كانت المواقف السياسية لعلي بن عيسى تتسم بالصدق والجرأة والصرامة ، ولهذا كان رأيه دائما يؤخذ بنظر الاعتبار حتى في الاحوال التي يكون فيها خارج السلطة . فقد استشير فيمن يصلح للوزارة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ، بعد قرار المقتدر بالله استبدال الوزير ابي الحسن علي بن الفرات ، وكان علي بن عيسى في سجن المقتدر بالله ، فجاءته رقعة فيها اسماء مجموعة من الرجال ليقول رأيه فيهم وهل يصلحون للوزارة ام لا ؟ فكانت توقيعاته ازاء كل اسم من الاسماء تتسم بالنزاهة والواقعية والصراحة ، من ذلك مثلا انه كتب امام اسم اخيه ابراهيم بن عيسى : « شره لا يصلح » ، وامام ابن بسطام : « كاتب سفاك للدماء » ، وامام ابن ابي البغل : « ظالم لا دين له » ، وامام حامد بن العباس : « عامل موسر عفيف قد كبر » ، وامام

---

(٨٠) الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٨١) التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٥٢/١–٥٥ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٥٤–٣٥٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٣٥٢/٦–٣٥٣ .

(٨٢) المصدر نفسه : ٣٣١/٦ ؛ ماري بن سليمان ، اخبار بطارقة كرسي المشرق من كتاب المجدل ، طبع رومية الكبرى ، ١٨٩٩ ، ص ٢–٣ ؛ غريغوريوس بن هارون الملطي المعروف بابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ ، ص١٦٥ ؛ وينظر ايضا : الدوري ، عصر امرة الامراء ، ص ٣٧٤ .

الحسين بن احمد المادرائي : « لا علم لي به ، وقد كفى مـا في ناحيته » ، وامام احمد بن عبيدالله بن خاقان : « احمق متهور » ، وامام سليمان بن الحسن بن مخلد : « كاتب حدَث » ، وامام ابن أبي الحواري : «لا اله إلا الله » .[٨٣] وتدل هذه التوقيعات على نزاهة علي بن عيسى وقوله الحق حتى ولو كان على اخيه ، اذا ما تعلق الامر بتولي مصلحة عامة من مصالح المسلمين . وموقف علي بن عيسى هذا شبيه بموقفه حين استشاره الوزير العباس بن الحسن فيمن يقلده الخلافة بعد وفاة المكتفي بالله سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م ، فرفض ان يسمي له احدا وقال : « أنا لا اشير بأحد ولكن ينبغي أن يُتقى الله ويُنظر للدين » .[٨٤]

وظل علي بن عيسى موضع احترام وتقدير ، مسموع النصيحة والرأي حتى آخر ايام حياته ، حيث تشير بعض الروايات الى مقابلته لمعز الدولة البويهي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، وهي السنة التي توفي فيها الوزير علي بن عيسى في الاغلب ، فاستقبله استقبالا يليق به قائلا : « كنا نسمع بك ، فيعظم عندنا امرك ، ويكثر في نفوسنا ذكرك ، وقد شاهدت منك الان ما كنت مؤثرا واليه متطلعا ، والدنيا خراب ، والامور على ما تراه من الانتشار ، فأشر عليّ بما عندك في اصلاح ذلك ... » فأجابه علي بن عيسى جوابا حكيما اكبر فيه نيته للاصلاح معتبرا اياها بادرة خير لكل نجاح ، وطريقا للاعمار واستقامة الجند والرعية والعدل ، واشار عليه ان يبدأ باصلاح سدود الري ، وسد البثوق التي هي أصل الفساد وخراب السواد ، فوعده معز الدولة بالعمل على ذلك .[٨٥]

---

(٨٣) عريب ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٨٤) مسكويه ، المصدر السابق : ٣/١ .

(٨٥) الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩–٣٦٢ ؛ وقد نقلها هـ . ف آمدروز واثبتها في كتاب الوزراء للصابيء ، ص ٣٩٢–٣٩٦ .

اسهاماته في حـل المشـكلات الاقتصـادية :

تفاقمت في عهد الخليفة المقتدر بالله الازمة المالية بشكل كبير جـدا ، ويعود السبب في ذلك الى عدة عوامل ، منها كثرة انفاق الخليفة وتبذيره . يذكر مسكويه ،(٨٦) استنادا الى ما اثبته بعض كتّاب أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات عندما كان وزيرا للمقتدر ، ان واردات بيت المال الخاص (اي بيت مال الخليفة) خلال مدة حكم المقتدر بالله البالغة نحو خمسة وعشرين عاما كانت تسعة وثمانين مليونا وثمانية وثلاثين الف دينار ، صرف المقتدر بالله نحو سبعة عشر مليون دينار منها في وجوه رسمية ، بينما اتلف الباقي وبذره على نفقات البلاط ، وهو يزيد على سبعين مليونا من الدنانير وهكذا بلغت نفقات البلاط في عهده نحو مليونين وثمانمئة وثمانين الف دينار سنويا ، او ما يعادل مائتين واربعين الف دينار في الشهر .(٨٧) وبالاضافة الى هذا ، فقد ازداد العجز في الميزانية نتيجة اسراف بعض الوزراء وتلاعبهم بالاموال العامة ، كما حدث في وزارة ابن الفرات الاولى المنتهية في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م ، ووزارة الخاقاني الذي اعقبه . وتناقصت اموال الخزينة ايضا بسبب الحروب والفتن الداخلية ، واهمال الاراضي الشاسعة التي ظلت بورا بدون استثمار .(٨٨)

وقد حاول علي بن عيسى بعد توليه الوزارة الاولى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م بما اوتي من دراية وحنكة في امور المال ان يصلح بعض شؤون الدولة ويقلص النفقات ، ويبطل السنن الجائرة ، والضرائب غير الشرعية الثقيلة . فأبطل

---

(٨٦) تجارب الامم : ١/٢٣٨-٢٤١ .

(٨٧) يقارن : عبدالعزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ط٢ بيروت ، دار المشرق ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥٢ ، عبدالواحد ذنون طه ، « ثروة الخلفاء والضياع السلطانية في العصر العباسي ١٣٢-٣٣٤هـ » ، مجلة التربية والعلم ، العدد ٣ ، الموصل ، ١٩٨١ ، ص ١٢٥-١٢٦ .

(٨٨) ينظر : الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

المكس بمكة ، وجباية الخمور بديار ربيعة ، وازال ضريبة التكملة بفارس وسوق بحر الاحواز ، وهي الضريبة التي فرضت عندما سيطر الصفاريون على المنطقة ، وفر منها بعض اهل الخراج ، فأخذوا يكملون ما نقص من الباقين • ولما اعيدت المنطقة الى سيطرة الخلافة سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م بقيت هذه الضريبة التي استعمل العمال العسف في استحصالها ، الى ان الغيت في عهد علي بن عيسى نتيجة تظلم الفلاحين سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م ، وعوضت بضريبة الخراج على الشجر في السنة ذاتها •[٨٩]

وكان يرتفع من هذه الضرائب غير الشرعية نحو خمسمائة الف دينار في السنة ، ولكنه ضحى بهذا المبلغ في سبيل احقاق الحق والعدل ، وتخليص الخليفة من الاوزار التي تلحقه من جراء استمرار الظلم •[٩٠] كذلك منع استخدام القوة والعنف في استحصال مال الخراج ، وقد كتب الى عامل بادوريا بالجانب الغربي من بغداد ،[٩١] جوابا عن طلبه في اكراه اهل المنطقة على دفع ما ترتب عليهم من خراج ، وما أضيف اليه من مظالم متبقية عليهم ، فقال : « الخراج ــ عافاك الله ــ دين لا يجب فيه غير الملازمة فلا تتعد ذلك الى غيره » ، فاضطر العامل الى اخذ البقايا الصحيحة فقط ، فخف ذلك على أهل بادوريا ، وزاد ارتفاع الحاصلات في المنطقة في السنة التالية الى نسبة « اثنين في كل عشرة »[٩٢] •

---

(٨٩) التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٨/١٢٠–١٢٨ ؛ مسكويه ، المصدر السابق : ٢٧/١–٢٨ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٣٦–٣٧٢ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ؛ ابن الاثير الكامل : ٦٨/٨ .

(٩٠) مسكويه ، المصدر السابق : ٢٩/١ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص٣٤٩ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ؛ وينظر :

Bowen, OP. Cit., PP. 128, 135, 150, 164, 183

(٩١) عرف ياقوت بادوريا على انها طوح من كورة الاستان في الجانب الغربي من بغداد ، وهو على ايامه محسوب من كورة نهر عيسى بن علي ، وتعود معظم اراضيها وضياعها الى الامراء والوزراء والكتاب والقادة والاشراف : معجم البلدان : ٣١٧/١ .

وشدد علي بن عيسى ايضا على ضبط مساحة اراضي الخراج ، وعدم الزيادة على الناس . وعندما اشتكى اليه أحد فلاحي منطقة النهروانات ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط[٩٣] ، بأن مساحي المنطقة قد زادوا عليه مساحة ارضه ، ارسل فوجا من مساحي بادوريا للتحقيق واعادة مسح الارض ، فوجدوا أن مساحتها واحدا وعشرين جريبا وقفيز ، في حين كان المساحون السابقون قد كالوها على انها اثنان وعشرون جريبا[٩٤] . فأرسل علي بن عيسى كتابا شديدا الى مسؤولي المنطقة يهددهم فيها بعدم تكرار ما وقع قائلا : « والله لئن عادت ظلامة او تحيف أحد من الرعية في معاملة او مساحة لاقابلن على ذلك اشد مقابلة ... » ، فتحرزوا وحرسوا الناس وانفسهم ، فزادت واردات المنطقة في السنة التالية « ثلاثة في كل عشرة لان العدل شاع ، والحيف زال ، فتوفرت العمارة » .[٩٥]

ومن جهة اخرى شدد علي بن عيسى على النفقات ، واسقط الزيادات التي كان سلفه الوزير الخاقاني قد اضافها الى ارزاق اولاد قرابة الخليفة ، والحرم ، والحواشي ، والخدم ، والفرسان ، وسائر اصناف الجند ، والقادة،

---

(٩٢) مسكويه ، المصدر السابق : ٣١/١ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٧٣–٣٧٤؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ؛ وينظر ايضا : آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام ، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة ، ط٤ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٧ : ٢٤٩/١ .

(٩٣) ياقوت ، معجم البلدان : ٣٢٥/٥ .

(٩٤) الجريب كمقياس للارض يساوي ١٥٩٢ مترا مربعا ، أما القفيز فهو ١/١٠ من الجريب ، او ١٥٩٫٢ متر مربع . فمقدار الزيادة في الحالة اعلاه هي تسعة اقفزة ، اي ١٤٣٢٫٨ مترا مربعا . ينظر : فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، عمان ، منشورات الجامعة الاردنية ، ١٩٧٠ ، ص ٩٦،٩٨

(٩٥) ينظر : مسكويه ، المصدر السابق : ٢٩/١–٣٠ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٧٢–٣٧٣ .

والكتّاب ، والمتصرفين ، وكانت كثيرة .(٩٦) وأخذ من واردات الضـــياع السلطانية ، والاقطاع ليتمم به العجز ، حتى اعتدلت الحال دون ان يمد يده الى بيت مال الخاصة . كذلك لم يطالب العمال بمبالغ اضافية من المرافــق ، كما كان يفعل ابن الفرات قبله ، الذي كان يحملهم على دفع نحو خمســـة واربعين الف دينار شهريا . وقد وفرها علي بن عيسى عليهم ، وعدّ اخذهــا طريقا الى الضياع والتفريط بالحقوق ، وخراب البلاد ، وظلم الرعية . كما استرجع الضياع السلطانية التي سيطر عليها ابن الفرات وأبو علي الخاقانــي في اثناء وزارتيهما(٩٧) ، ونظر في كل ما يمكن ان يوفر مالاً للخزينة مهمــا كان ضئيلا ، حتى انه كان يحاسب المسؤول عن استلام الشعير الخــاص بحيوانات دار الخلافة ، وما يتبقى منه في أسافل الزوارق من الرطب والمتعفن الذي يباع بثمن بخس ، ويحسب الفرق بينه وبين الجيد .(٩٨) وعندما علم من الخليفة المقتدر بالله انه لا يستخدم المسك في طعامه الا نادرا ، حــاول إسقاط المبلغ المخصص لهذه المادة ، وهو ثلثمائة دينار في الشهر ، من مطبــخ دار الخلافة ، لولا تدخل الخليفة واعتقاده بان المبلغ ربما يذهب في أقــوات ونفقاتهم وليس اقوام من الاحيان قطعها عنهم .(٩٩) وتشدد مع كل من يأخذ مالا من خزينة الدولة بلا مقابل ، فأغلظ لاحمد بن العباس اخي القهرمـــانة ام موسى ، على ارتزاقه سبعة الاف دينار في كل شهر ، وحاول معاقبته لــولا تدخل ام موسى التي انقذته .(١٠٠)

---

(٩٦) مسكويه ، المصدر السابق : ١/٢٩ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٠٦-٣١٦؛ ابن الاثير ، الكامل : ٦٨/٨ .

(٩٧) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٠٦ .

(٩٨) المصدر نفسه ، ص ٣٧٨-٣٧٩ .

(٩٩) ابو الحسن هلال بن المحسن الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق ، ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ ، ص ٢٨ ؛ وينظر ايضا :
Bowen, OP. Cit., P. 135
الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(١٠٠) عريب ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ؛ وانظر عن ام موسى : الكبيســي ، المرجع السابق ، ص ٨٥-٩٠ .

ويعود الى علي بن عيسى الفضل في انشاء اول مصرف رسمي للدولة في مواجهة الظروف المالية الحرجة التي احاطت بوزارته الاولى . فقد كلف اثنين من الجهابذة اليهود[101] هما : هارون بن عمران ، ويوسف بن فخاس بتأسيس المصرف ومساعدة الدولة ، فقال لهما : « اني احتاج في مستهل كل هلال الى مال ادفعه في ستة ايام من ذلك الشهر الى الرجالة ومبلغه ثلاثون الف دينار ، وربما لم يتجه لي في اول يوم من الشهر ولا الثاني ، واريد ان تسلفاني في اول كل شهر مائة وخمسين الف درهم ، وترتجعانها من مال الاحواز في مدة الشهر ، فان جهبذة الاحواز اليكما ، فيكون هذا المال سلفا لكما ابدا ، واقفا ... »[102] وكان علي بن عيسى اذا حل المال وليس لديه وجه للانفاق يقرض التجار في بغداد على سفاتج[103] ، وردت من الاطراف لم تحل بعد ، اي لم يحل ميعاد دفعها ، فكان يربح في كل عشرة الاف دينار الفان وخمسمائة درهم في كل شهر لحساب بيت المال . وظل هذا الرسم جاريا على يوسف بن فخاس وهارون بن عمران ومن قام مقامهما مدة ستة عشر عاما .[104] وكانت مهمة المصرف الرئيسة هي تسليف الدولة ما تحتاج اليه من النقود ، مع الاعتماد على واردات الاحواز كضمان .[105]

(١٠١) الجهابذة : ومفردها جهبذ بالاصل من التجار ، او هم اصحاب البيوتات المالية ، او الصرافين ، ينظر : الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٥٥ فما بعدها .

(١٠٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٤١/٨ ، وورد النص ايضا باختلاف بالالفاظ عند : الصابيء ، الوزراء ، ص ٩٢-٩٣ .

(١٠٣) السفاتج : ومفردها سفتجة ، هي اهم اداة للمعاملات المستندة الى الائتمان ، شاع استعمالها في القرن الرابع الهجري حيث صارت عاملا مهما في الحياة الاقتصادية . وقد استعملت في مجالات شتى ، منها تسوية الديون في المعاملات التجارية، وكصكوك مسافرين، واخيرا يمكن ان تعد السفتجة بمثابة الكمبيالة في الوقت الحاضر في مبناها واستعمالها . ينظر : الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٦٨-١٦٩ .

(١٠٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٤١/٨-٤٢ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص٩٣.

(١٠٥) ينظر : الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦١ .

ولاجل التوصل الى فهم افضل للاحوال المالية للدولة ، قام علي بن عيسى في اثناء ادارته المشتركة مع حامد بن العباس سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) ، باعداد جريدة مفصلة بواردات الدولة ونفقاتها . وقد استثنى منها الحرمين ، واليمن ، وبرقة ، وشهرزور ، والصامغان ، وكرمان ، وخراسان ، فكانت الواردات تقدر بـ ١٤٫٨٢٩٨٤٠ دينارا . ولكن الصادرات ، او (الخرج) كانت تزيد عليها بمقدار ١٫٤٣٦٤٧٦ درهما ،(١٠٦) الامر الذي تطلب المزيد من الاقتصاد في النفقات . وقد طبق علي بن عيسى هذه السياسة مرة اخرى حينما تقلد وزارته الثانية سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م . فأسقط كثيرا من الزيادات والارزاق التي كان يأخذها الكتّاب والحاشية ،(١٠٧) واقتصر في ارزاق العمال على عشرة اشهر في كل سنة ، أما أصحاب البرود والمنتفعين فاقتصرت ارزاقهم على ثمانية اشهر في السنة ، وحط من ارزاق الرجالة والفرسان وجميع من كان يرتزق بهذين الرسمين من الكتّاب والتجار ، ومن لا يحمل السلاح ، كما أسقط ارزاق اولاد المرتزقة الذين في المهود ، وحط من مال الخدم والحشم وجميع الجلساء والندماء والمغنين واصحاب الشفاعات ، وانقص ارزاق الغلمان الى عشرة اشهر في السنة ، ولازم النظر بنفسه ليلا ونهارا حتى استقامت الامور وتوازن الدخل والخرج ، اي الواردات والصادرات .(١٠٨)

ومن جملة الاجراءات الاخرى التي اتبعها لزيادة الواردات ، المطالبة بأموال المصادرات والضمانات التي كان قد ضمنها المصادرون ، وكذلك المطالبة باموال الصدقات بفارس وكرمان ، والخراج بفارس . يضاف اليها ضمانات النهروانات ، وطاسيج طريق خراسان ، وموات جلولاء ، ونهر

---

(١٠٦) الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٢-٢٧ .

(١٠٧) عريب ، المصدر السابق ، ص١١٤ .

(١٠٨) ينظر : مسكويه ، المصدر السابق : ١٥٢/١ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٤٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ١٦٤/٨-١٦٥ .

بوق ، والزاب الاسفل ، واعمال فارس وكرمان واصبهان .(١٠٩) كما الـزم موظفيه في بيت المال ان يقدموا تقريرا حسابيا في كل اسبوع ، بدلا مـن التقرير الشهري المعروف باسم (الروزنامجات) الذي كان معمولا به سابقا ليتعجل الوقوف على المصروفات وما تبقى في بيت المال .(١١٠) كما قام ايضـا لاسيما في اثناء ادارته المشتركة مع سليمان بن الحسن بن مخلد سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م ببيع الضياع السلطانية لسد العجز في ميزانية الدولة .(١١١)

دوره في خدمة المجتمع وقيادته :

كان علي بن عيسى يُعد من كبار الاغنياء في بغداد فقد كانت له ضياع في ديار ربيعة ، والموصل ، والشام ، والسواد(١١٢) ، تدر عليه مبالغ طائلـة من المال تقدر باكثر من ثمانين الف دينار في السنة . لكنه كان ينفق اكثر من نصفها في ابواب البر ، وسبل الخير ، وتفقد الطالبيين ، والعباسيين ، والانصار واولاد المهاجرين ، ومصالح الحرمين ، ويبقي الباقي لنفقات منزله ، وهـو نحو ثلاثين الف دينار(١١٣) . وقد عُرف بعفته وتنزهه عن طلب الاموال(١١٤) وكراهيته للبذخ والاسراف(١١٥) ، لهذا فقد اقتنع بما كانت تدر عليه ضياعـه من مال ، حتى انه في ايام توليه الوزارة ، كان يرفض اخذ الاقطاع المخصص

(١٠٩) التنوخي ، نشوار المحاضرة : ٨/١٠-١١ ؛ الصابيء ، الـوزراء ، ص ٣٣٧-٣٣٨ ، ٣٦٥-٣٦٦ .

(١١٠) مسكويه ، المصدر السابق : ١/١٥١-١٥٢ ؛ وينظر : الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٢١٨-٢١٩ .

(١١١) مسكويه ، المصدر السابق : ١/٢٠٥ ؛ وينظر Bowen, OP. Cit., P. 299 طـه ، ثروة الخلفاء والضياع السلطانية ، ص ١٣٣ .

(١١٢) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٣٠ .

(١١٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨-٣٤٩ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ ؛ ياقوت ، معجم الادباء : ١٤/٦٩ .

(١١٤) ينظر : الهمذاني ، المصدر السـابق ، ص ٢٥٠ ؛ ياقـوت ، معجـم الادباء : ١٤/٦٩ .

(١١٥) الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص ١٠ .

لضياع الوزراء ، وهو مائة وسبعون الف دينار ، فضلا عن رفضه رزق الوزارة، او راتبها البالغ سبعة الاف دينار في الشهر . وقد كتب الى الخليفة المقتدر بهذا المعنى معتذرا عن اخذ اقطاع الوزارة ورزقها قائلا بان ضيعته تكفيه ، وانه لا يقبض رزقا لهذه الخدمة لان مذهبه هو ترك التنعم ، فشكره الخليفة على ذلك[116] . ويبدو ان علي بن عيسى قد توخى من هذا الاجراء الاقتصاد في النفقات ، ضاربا اروع الامثلة في نكران الذات ، وربما كان يهدف من وراء ذلك ايضا ان يكون قدوة حسنة لبقية الموظفين الجشعين والوزراء الطامعين في الحكم ، علهم ليخففوا من شدة جشعهم وطمعهم في نهب اموال الدولة والناس .[117]

ومن ايثاره ايضا رفضه القيام بعمل مسناة لداره على دجلة اسوة ببقية الدور المجاورة ، على الرغم من الحاح اخيه ابراهيم بن علي ، وقيامه بدلا من ذلك بتخصيص المبلغ اللازم ، وهو نحو مائة الف درهم ، للصرف على فقراء المسلمين ، وآل الرسول عليه الصلاة والسلام .[118] وعندما ندم الخليفة المقتدر بالله على مصادرته لعلي بن عيسى بعد وزارته الاولى ، نظرا لما شاهده من اخلاصه واجتهاده فيما بعد عند توليه الوزارة الثانية سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م ، أمر بان ترد عليه الاموال التي اخذت منه ، فاشترى علي بن عيسى بالمال ضياعا ، وضمها الى الضياع التي كانت موقوفة على اهل مكة والمدينة .[119]

وكان علي بن عيسى قد اشار على الخليفة المقتدر بالله في وزارته الاولى بوقف المستغلات في مدينة السلام ، وغلتها نحو ثلاثة عشر الف دينار ، والضياع الموروثة الجارية في ديوان الخاصة ، ودخلها اكثر من ثمانين الف

---

(١١٦) مسكويه ، المصدر السابق : ١٥٩/١ ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٥١ ؛ ويقارن : الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٠٦ ، ٣١١ .

(١١٧) يقارن : الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ٢١٩-٢٢٠ .

(١١٨) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣١١-٣١٢ ؛ ويقارن : ياقوت ، معجم الادباء : ٧١/١٤ .

(١١٩) عريب ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

دينار ، على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، وعلى الثغور ، فقبل الخليفة برأيه ، واشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه • واستحدث علي بن عيسى ديوانا لهذه الوقوف سمي بديوان البر •(١٢٠)

ولم يكتف بهذا ، بل استفاد من اقامته بمكة بعد ابعاده عن بغداد اثر إخفاق حركة ابن المعتز ، وذلك بالاطلاع على بعض مشاكل هذه المدينة وما تعانيه من نقص في المياه ، وكيف كانت السلطات تسخر حيوانات الناس لنقل المياه من جدة اليها • فلما تولى الوزارة الاولى ، اشترى عددا كبيرا من الجمال والحمير ، ووقفها على حمل الماء ، ورتب لها الخدم المسؤولين عنها ، ومنع السخرة وحظرها • يضاف الى ذلك ، فقد حفر بئرا واسعة في منطقة الخياطين بمكة ، فخرجت عذبة ، وسميت بالجراحية نسبة اليه ، كما اشترى عينا اخرى غزيرة المياه بالف دينار ، وفتحها ووسعها حتى كثر ماؤها ، فازداد الماء في مكة ، ووصل الى من يحتاج اليه من الضعفاء والمساكين •(١٢١)

واهتم علي بن عيسى بعمارة المساجد والجوامع وتبييضها وفرشها بالحصر واشعال الاضواء فيها ، واجرى للأئمة والقراء والمؤذنين ارزاقا •(١٢٢) كما اهتم ايضا بالامور الصحية التي تعد من مآثره القيمة في مجال خدمة المجتمع • فقد اتخذ في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م مارستانا في محلة الحربية المشهورة ببغداد قرب باب حرب ، وانفق عليه من ماله الخاص ، وقلد امره طبيبه عثمان

(١٢٠) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣١٠-٣١١ ؛ ياقوت ، معجم الادباء : ١٤/٧٠ ؛ ابو المعالي المؤيد بن محمد الجاجرمي ، نكت الوزراء ، دراسة وتحقيق ، نبيلة عبدالمنعم داود ، بغداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٤، ص ٧٧ ؛ ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(١٢١) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣١١ ؛ وينظر : Bowen, OP. Cit., P. 128

(١٢٢) ابن الاثير ، الكامل : ٨/٦٨-٦٩ ؛ وينظر ايضا : الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

ابن سعيد بن يعقوب الدمشقي .(١٢٣) وربما كان السبب في انشاء هذا المارستان هو كثرة الامراض والعلل في بغداد في السنة السابقة ، اي ٣٠١هـ/ ٩١٣م ، لاسيما في منطقة الحربية واهل الارباض(١٢٤) ، الامر الذي استدعى ذلك الاجراء من الوزير علي بن عيسى .

كما اوعز في ايام وزارته المشتركة مع حامد بن العباس الى الطبيب سنان ابن ثابت ، الذي كان يتقلد آنذاك البيمارستانات في بغداد ، بتخصيص اطباء لزيارة السجناء ومعالجة المرضى منهم ، فكتب اليه توقيعا يقول فيه : « فكرت امد الله في عمرك في امر المحبوس وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ، ان تنالهم الامراض ... فينبغي أن تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ، وتحمل اليهم الادوية والاشربة . ويطوفون في سائر الحبوس ويعالجون المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة ... »(١٢٥) كذلك امر بانفاذ الاطباء الى القرى والارياف ، لاسيما الى قرى السواد ، فكتب ايضا الى سنان بن ثابت بذلك لتخصيص الاطباء الذين يتنقلون في اصقاعه ويعالجون المرضى فيه من المسلمين والذميين .(١٢٦)

وكان لعلي بن عيسى دور واضح في مقاومة الاختلافات والتحزب والعصبية ، وكل ما يؤدي الى انقسام المجتمع ، فقد امر بهدم مسجد للحنابلة جُعل وسيلة للمشاغبة والفتنة ، ووقع على الامر الخاص بذلك قائلا : « احق

(١٢٣) احمد بن خليفة بن يونس السعدي المعروف بابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق ، نزار رضا ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ ، ص ٣١٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ١٢٨/٦ .

(١٢٤) الطبري ، تاريخ : ٢٢٩١/٣ .

(١٢٥) ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ ؛ جمال الدين ابن الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف القفطي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، بيروت ، دار الاثار للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت) ، ص ١٣٢ .

(١٢٦) ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ ؛ القفطي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ ؛ متز ، المرجع السابق : ٩٢/١ Bowen, OP. Cit., P. 183 الكبيسي ، المرجع السابق ، ص ١٧٥-١٧٧ .

بناء بهدم ، وتعفية رسم ، بناء أسس على غير تقوى من الله . فليتّاحق بقواعده ان شاء الله »(١٢٧) . وعندما سمع بوقوع فتن وحروب أهلية بين عشائر البلالية والسعدية في البصرة ، كتب اليهما في ذلك كتابا بليغا ينهاهم فيه عن العصبية ، ويعرفهم سوء عاقبتها(١٢٨) . وساهم ايضا في الفصل بين الخلافات المذهبية التي تقع حتى بين اهل الذمة ، فقد ورد ما يشير الى عقد مجالس خاصة في داره يحضرها اهل العلم والقضاة والوزراء للفصل في ذلك .(١٢٩) .

وأخيرا يمكن القول أن علي بن عيسى كان لا يتوانى عن تقديم خدماته للمجتمع ، سواء كان في السلطة ام خارجها ، وله اسهامات مشهودة في مساعدة الناس الفقراء على كل الاصعدة ، فقام في سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م ، عندما كثر الموتى في بغداد نتيجة الغلاء بتكفين الفقراء والغرباء على باب داره . وعندما نفذ ما عنده من مال لذلك استدان ، ولم يتوقف عن تلك المهمة الخيرية .(١٣٠) وكان ايضا يساعد التجار الذين يصابون بازمات مالية ، او يتعرضون الى افلاس مفاجيء .(١٣١) يضاف الى ذلك تواضعه الذي حببه الى عامة الناس ، فكان لا يتحرج من مخالطة الطبقات الفقيرة ، حيث ورد ما

(١٢٧) الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٦٢ .
(١٢٨) عريب ، المصدر السابق ، ص ١٣١ (برواية الصولي) .
(١٢٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٩٨ . والمسألة المطروحة كانت خاصة باثنين من كبار رجال الدين اليهود في بغداد .
(١٣٠) الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ ياقوت ، معجم الادباء: ٧٢/١٤ .
(١٣١) القاضي ابن علي الحسن بن علي التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، تحقيق ، عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٨ : ٢٧٦/٢–٢٧٨ ؛ نشوار المحاضرة : ٢٤٣/٢–٢٤٥ ؛ الصابيء ، الوزراء ، ص ٣٦٠–٣٦١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ٣٥٤/٦ .

يشير الى اختلاطه بهم ، وتأديته الصلاة مع الملاحين في دجلة[١٣٢] ، مما يدل على تعاطفه مع هذه الفئة من العاملين . كذلك كان يحسن التصرف مع الذين يعملون معه ويداريهم ، ويحاول كسب مودتهم واحترامهم ، ومساعدتهم ما امكنه ذلك .[١٣٣] وهكذا كانت اسهاماته واضحة في مجال خدمة المجتمع ، ودوره بارز في فائدة الناس ، الامر الذي حببه الى عامة المجتمع ، فساندوه ، وحاولوا حمايته من بعض رجال السلطة في القصر والجيش ، الذين استاءوا من اجراءاته الاقتصادية الهادفة الى الحد من الاسراف في النفقات .



---

(١٣٢) الصابيء ، الوزراء ، ص ١٣٤ ؛ وينظر : سعد ، المرجع السابق ، ص١٣٤
(١٣٣) الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص ١٠ .

جريدة المصادر والمراجع

أ ـ المصادر الاولية :

❋ ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) .
١ ـ الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٩ .

❋ ابن ابي اصيبعة ، احمد بن خليفة بن يونس السعدي (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)
٢ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق ، نزار رضا ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ .

❋ التنوخي ، القاضي ابي علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) .
٣ ـ الفرج بعد الشدة ، تحقيق ، عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر، ١٩٧٨ .
٤ ـ نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق ، عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧١ـ١٩٧٣ .

❋ الثعالبي ، ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (المنسوب) ، ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .
٥ ـ تحفة الوزراء ، تحقيق ، حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار ، بغداد ، وزارة الاوقاف / احياء التراث الاسلامي ، ١٩٧٧ .

❋ الجاجرمي ، ابو المعالي المؤيد بن محمد (اوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) .
٦ ـ نكت الوزراء ، تحقيق ، نبيلة عبدالمنعم داود ، بغداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٤ .

❋ ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .
٧ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ط١ ، حيدر آباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧هـ .

❋ ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .
٨ ـ جمهرة انساب العرب ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، ط٤ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

❋ الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٥م) .
٩ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٣١ .

❋ سليمان ، ماري بن سليمان (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) .
١٠ ـ اخبار بطارقة كرسي المشرق من كتاب المجدل ، روما ، ١٨٩٩ .

* الصابيء ، ابو الحسن هلال بن المحسن الصابيء (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) .
١١ ـ رسوم دار الخلافة ، تحقيق ، ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ .
١٢ ـ الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق ، عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ .
* الصولي ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م) .
١٣ ـ اخبار الراضي بالله والمتقيلله او تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ ـ ٣٣٣ هجرية ، من كتاب الاوراق ، عني بنشره : ج هيورث .دن ، ط٣ ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٨٣ .
* ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) .
١٤ ـ الفخري في الاداب السلطانية ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، ١٩٦٢ .
* ابن العبري ، غر يغوريوس بن هارون الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .
١٥ ـ تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ .
* عريب ، عريب بن سعد القرطبي (ت٣٦٦هـ / ٩٧٦م) .
١٦ ـ صلة تاريخ الطبـري ، منشور ضمن ذيـول تاريـخ الطبري ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، م١١ ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .
* القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) .
١٧ ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء ، بيروت ، دار الاثـار للطباعـة والنشر والتوزيـع (د.ت) .
* المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .
١٨ ـ التنبيه والاشراف ، تصحيح ومراجعة ، عبدالله اسماعيل الصـاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، اعادت طبعه بالاوفست ، مكتبة المثنى ببغداد .
* مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٤٩م) .
١٩ ـ تجارب الامم ، باعتناء ، هـ . ف آمدروز ، القاهرة ، مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر ، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .
* ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م) .
٢٠ ـ الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة عن طبعة القاهرة ، ١٣٤٨هـ .
* الهمذاني ، محمد بن عبدالملك (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) .
٢١ ـ تكملة تاريخ الطبـري ، منشور ضمن ذيـول تاريخ الطبـري ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، م١١ ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .
* ياقوت ، ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦/١٢٢٩م) .

٢٢ ـ معجم الادباء ، بيروت ، دار المستشرق (د.ت) .
٢٣ ـ معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ .

ب ـ المراجع الثانوية :

* الدوري ، تقي الدين عارف .
٢٤ ـ عصر امرة الامراء في العراق ٣٢٤ـ٣٣٤هـ/٩٣٦ـ٩٤٦م دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ، بغداد ، مطبعة اسعد ، ١٩٧٥ .
* الدوري ، عبدالعزيز .
٢٥ ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ط٢ ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٧٤ .
* سعد ، فهمي عبدالرزاق .
٢٦ ـ العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، بيروت ، الاهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ .
* طـه ، عبدالواحـد ذنـون .
٢٧ ـ « ثروة الخلفاء والضياع السلطانية في العصر العباسي ١٣٢ـ٣٣٤هـ » مجلة التربية والعلم ، العدد ٣ ، الموصل ، ١٩٨١ (ص ١٢١ـ١٣٨) .
* عمر ، فاروق .
٢٨ ـ الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ٢٤٧ـ٣٣٤هـ/٨٦١ـ٩٤٦م ، ط١ ، بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٧٤ .
* الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد .
٢٩ ـ عصر الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥ـ٣٢٠هـ/٩٠٧ـ٩٣٢م ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٩٧٤ .
* متـز ، آدم .
٣٠ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام، ترجمة ، محمد عبدالهادي ابو ريدة ، ط٤ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٧ .
* مصطفى ، شـاكر .
٣١ ـ التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ .
* اليوزبكي ، توفيق سلطان .
٣٢ ـ الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ١٣٢ـ٤٤٧ ، ط٢ ، الموصل ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ .
* **Bowen, Harold.**
33 - The life and Times of Ali ibn Isa, Cambridge 1927.

اوضاع ولاية الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال

سالنامات الموصل العثمانية

الدكتور عصمت برهان الدين عبدالقادر
قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل

١ ـ مقدمة :

تعدّ ولاية الموصل من الولايات المهمة للدولة العثمانية منذ أن مدت سيطرتها عليها عام ١٥١٦ وحتى أنسحابها منها في أعقاب الحرب العالمية الاولى • وقد مرت في الموصل أحداث جسيمة عبر تاريخها الطويل تحت السيطرة العثمانية ، لعل أبرزها حصار الموصل سنة ١٧٤٣م من قبل (نادر شاه) ، كما أن الموصل تعرضت الى سلسلة من الامراض والأوبئة والكوارث الاقتصادية أضرت بها كثيرا وجعلتها في وضع اقتصادي صعب ، إلا أن الموصل تجاوزت هذه المحن والنوائب بكل شموخ وأباء بحكم تاريخها الطويل وكفاح وصمود أبنائها •

سنحاول في هذه الدراسة المتواضعة دراسة ولاية الموصل من خلال مصدر أساسي وأصيل وهو السالنامات الخاصة بها « موصل ولايتي سالنامه‌سي » مع الاستعانة بمصادر ومراجع أخرى لتوضيح بعض الجوانب التي لم تتناولها السالنامات •

تقدم سالنامات ولاية الموصل مادة تاريخية جيدة لدراسة الولاية من الناحية الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ومن جانب آخر تدل السالنامات العثمانية على وعي العثمانيين بأهمية التوثيق

وتسجيل الاحداث سواء بشكل عام يخص الدولة العثمانية أو الخاص بكل ولاية من ولاياتها .

٢ ـ معنى السالنامة :

تتكون هذه الكلمة من مقطعين الاول سال ويعني سنة والثاني نامه ويعني كتاب ، فهي تعني إذن الكتاب السنوي الذي تصدره الدولة العثمانية بشكل عام ثم اخذت كل ولاية تصدر سالنامتها الخاصة بها[1] .

٣ ـ محتويات السالنامة :

تحتوي السالنامه على معلومات تاريخية عامة عن الدولة العثمانية ، وتبدأ بتقويم يتضمن أيام الشهر بالتاريخ الهجري والرومي (السنة المالية)* والميلادي مع أوقات طلوع الشمس وتحديد أوقات الصلاة ، كما تذكر تواريخ ما قبل الهجرة النبوية وما بعدها مرورا بتواريخ الدول الاسلامية المتعددة وصولا الى تاريخ صدور تلك السالنامه ، وتتحدث السالنامه أيضا عن وقائع الدولة المهمة واسماء الخلفاء من عهد الراشدين وحتى عهد آل عثمان مع اسماء البعض من الملوك والاباطرة المعاصرين ، وتلحقها بقائمة عن أسماء الولاة والمتصرفين حتى عام صدور كل سالنامه وهي بأغلبها معلومات

(١) للتفاصيل : انظر عن اهمية السالنامات العثمانية لدراسة التاريخ المحلي للولايات لكل من :
د. ابراهيم خليل أحمد « السالنامات العثمانية مصدرا لتاريخ البصرة الحديث » ، مجلة الخليج العربي ، العددان ٣-٤، المجلد الرابع عشر ١٩٨٢
د. فاضل مهدي بيات « السالنامات العثمانية واهميتها لتاريخ العراق »، مجلة المورد ، العدد ٢ ، المجلد ١٧ ، ١٩٨٨ .
د. عبدالجبار قادر غفور « اربيل في السالنامات العثمانية » ، مجلة كاروان ، العدد ١٩ ، كانون الاول ١٩٩٠ .

* عبارة عن تقويم شمسي عثماني يسمى بالسنين المالية الرومية ، وقد اتخذته الدولة العثمانية لاسباب مالية بحتة ، وتبدأ السنة المالية العثمانية في آذار من كل سنة .

مكررة يضاف اليها اسماء الولاة والمتصرفين والتطورات الجديدة ، وتحتوي السالنامه على الالقاب الرسمية والاوسمة والنياشين والرتب ، والتشكيلات الادارية لدوائر الدولة والجيش والجندرمة وأسماء الاولياء ومراقدهم ورؤساء الطوائف الروحية ، كذلك اسماء المحلات والاماكن والجوامع ، إضافة الى احتوائها على معلومات عن الزراعة والموارد المالية ومعلومات جغرافية وتاريخية ومعلومات عن التجارة والمعادن والصناعة والانهار واحصاءات النفوس والمدارس وسفراء وقناصل الدول الاجنبية ، اضافة الى ملحقات الولاية من الالوية والاقضية والنواحي[٢] •

من هنا تبرز أهمية السالنامات لدراسة تاريخ الموصل في العهد العثماني والتي لا يمكن لأي باحث في تاريخ الموصل أن يستغني عنها في الكتابة عنها في عهدها العثماني •

من الجدير بالذكر أن ولاية الموصل أصدرت خمسة اعداد من السالنامه كانت الاولى سنة ١٨٩٠م (١٣٠٨هـ) والثانية سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ) والثالثة سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ) والرابعة سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) والخامسة والاخيرة سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)** •

٤ ــ الموقع الجغرافي :

تحدد السالنامه الموقع الجغرافي لولاية الموصل بين ٣٤ درجة و١٥ دقيقة الى ٣٧ درجة و١٥ دقيقة عرضاً شمالا و٣٩ درجة و٣ دقائق و٤٤ درجة و٤٠ دقيقة طول شرقا ، وتشمل مساحة ٧٥٫٥٠٠ كم٢ من الاراضي[٣] • ويحدها

(٢) انظر على سبيل المثال : موصل ولايتي سالنامة سي ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) •

** يذكر احد المراجع انه لم يجد سوى اربعة اعداد منها ، انظر : غفور ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، هامش رقم ١٠ ، الا اننا استطعنا العثور على الاعداد الخمسة التي صدرت عن ولاية الموصل •

(٣) سالنامة ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ٦٨ •

من الشمال ولاية وان وولاية ديار بكر ، ومن الشرق فارس (ايران) ، ومن الغرب سنجق دير الزور ، ومن الجنوب ولاية بغداد[٤] .

٥ ـ التشكيلات الادارية :

نظم قانون الولايات الصادر في عام ١٨٦٤ الهيكلية الادارية للدولة العثمانية ، الا ان هذا القانون لم يطبق في العراق الا بعد تعيين مدحت باشا والياً عليه عام ١٨٦٩ ، وكان هذا الوالي معروفاً بنزعته الاصلاحية ورغبته الدائمة للتجديد والاخذ بأسباب التقدم والرقي .

شرع مدحت باشا بتطبيق قانون الولايات ، فعمل على تقسيم العراق الى ولايتين هما بغداد (بغداد والبصرة) والموصل (الموصل وشهرزور)[٥]. وفي عام ١٨٧٩ أعيد تشكيل الولايات فقسم العراق الى ثلاث ولايات : هي : بغداد ، البصرة ، الموصل[٦] .

كانت التشكيلات الادارية لولاية الموصل كما يلي :[٧]

اسم اللواء	الاقضية
الموصل (مركز اللواء)	عمادية ، زاخو ، سنجار ، دهوك ، عقرة .
كركوك (مركز اللواء)	راوندوز ، أربيل ، صلاحية (كفري) ، كويسنجق ، رانية .
سليمانية (مركز اللواء)	كلعنبر ، بازيان ، شهربازار ، معمورة الحميد.

كانت الولاية تدار من قبل الوالي الذي يحمل رتبة باشا عادة ، أما

(٤) موصل ولايتي سالنامة سي (١٣٠٨هـ ـ ١٨٩٠م) ص ٩٥ .
(٥) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٣ ، (بغداد : شركة التجارة والطباعة المحدودة ، ١٩٥٥) ص ١٦٨ .
(٦) البرت.م. شاشفيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ، (بغداد : ١٩٧٨) ، ص٨٧ .
(٧) موصل ولايتي سالنامةسي ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) ، ص٧٧ .

الالوية الاخرى فكانت تدار من قبل سنجق بكـي (بك اللواء) أو المتصرف ويحمل رتبة أمير اللواء (ميرلوا)(٨) • ويكون الوالي هو الحاكم الفعلـي أدارياً والممثل للسلطان العثماني في الولاية ، ويتم تعيينه بفرمان تولية يصدر من العاصمة ، وكان الوالي يتمتع بصلاحيات كبيرة لتسيير أمور الولاية مـن جميع النواحي(٩) • وكانت واجباته تتحدد برئاسة مجلس إدارة الولاية وضبط الامن ومراقبة الجهاز الاداري والاهتمام بالتعليم وميزانية ومالية الولايـة ، كما كان عليه الاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة والصحة والعمران(١٠) • ويساعد الوالي في ادارة الولاية معاون الوالي والدفتر دار (مسؤول المالية) ورئيس ديوان التمييز والمكتوبجي (المسؤول عن المراسلات الرسمية)(١١) •

يوجد في الولاية مجالس لادارة الولاية والالوية والاقضية ، وتتكـون هذه المجالس من اعضاء طبيعيين بحكم مناصبهم من كبار موظفي الولايـة برئاسة الوالي وعضوية وكيل الوالي (معاون الوالي) والدفتردار والقائمقام والمكتوبي والمفتي ، ومن اعضاء منتخبين يتراوح عددهم بين (٤ــ٩) أعضـاء وفيهم من يمثلون الطوائف الدينية المختلفة في ولاياتهم • أما في الالوية فيكون مجلس ادارة اللواء برئاسة المتصـرف وعضـوية نائبه والمحاسـب ومديـر التحريرات مع اربعة اعضاء آخرين ينتخبون من الاهالي • ويوجد في الاقضية مجلس ادارة القضاء برئاسة القائمقام وعضوية نائبه ومدير المال ومديـر التحريرات والمفتي والاعضـاء الطبيعيون والمنتخبون بحسـب الولايـات

---

(٨) عبدالعزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، (القاهرة ١٩٦٨) ، ص٦٠٩ •

(٩) ستيفن همسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٤ ، (بغداد ١٩٦٨) ، ص٦١ •

(١٠) الدستور : مجموعة التنظيمات العثمانية ، ترجمة نوفل نعمة الله نوفل ، ج١ ، (بيروت : المطبعة الادبية ، ١٣٠١ هـ) ، ص٣٥٨ وما بعدها •

(١١) المصدر نفسه ، ص ص ٣٨٦ــ٣٨٩ •

والالوية والاقضية أو حسب اهمية الولاية ، ويبين الجدول التالي اركان الولاية مع الاسماء لسنتي ١٨٩٢ و١٩١٢ :[١٢]

اركان الولاية	١٨٩٢	١٩١٢
الوالي	عثمان باشا	طاهر باشا
نائب الوالي	السيد يوسف صدقي افندي	محمد راغب افندي
دفتر دار	نجيب افندي	محمد مختار بك
مكتوبي	حسن توفيق افندي	احمد جودت بك
مفتي	ـــــ	محمد افندي

أما مجلس ادارة الولاية لنفس السنتين فيتكون من الاعضاء الطبيعيين وهم الوالي ونائبه والدفتر دار والمكتوبي والمفتي ، و٨ أعضاء منتخبين لسنة ١٨٩٢ و٤ أعضاء منتخبين لسنة ١٩١٢ .

أما أركان الالوية ، فمثلا لـواء كركـوك في سنتي ١٨٩٤ و ١٩١٢ :[١٣]

اركان اللواء	١٨٩٤	١٩١٢
المتصرف	حاجي عارفي باشا	السيد محمد عون الله الكاظمي بك
نائب المتصرف	مصطفى كاظم افندي	عمر خلوصي افندي
المحاسب (محاسبه جي)	عثمان افندي	حسن رشدي افندي
مدير التحريرات	عبدالرحمن افندي	بهاء الدين افندي
المفتي	سيد حسن افندي	السير حاجي سامح افندي

(١٢) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) ص ص ٧٦-٧٧ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص١٠٨ .

(١٣) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) ، ص١٥٨ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص٢٣٢ .

أما أعضاء مجلس إدارة اللواء فأن الاعضاء الطبيعيون هم أنفسهم أركان اللواء ، أما المنتخبون فكان عددهم لسنة ١٨٩٤ أو سنة ١٩١٢ (٤) أعضاء لكل منها .

وبالنسبة للاقضية ، فمثلا قضاء بازيان التابع للواء السليمانية كان اركانه في سنة ١٩٠٧ متكونين من :[١٤]

وكيل القائمقام	عبداه أفندي
نائب	ابراهيم افندي
مدير المال	حكيم افندي
كاتب التحريرات	مجيد افندي
المفتي	ـــــــ (منحل)

أما النواحي ، فمثلا ناحية كوبري التابعة للواء كركوك ، كان اركانها في سنة ١٩٠٧ يتكونون من :[١٥]

مدير الناحية	سيد عبدالرحمن افندي
كاتب	عبدالحكيم افندي
ديون عمومية مأموري	شاكر افندي
مأمور البريد والبرق	شوكت أفندي
مأمور انحصار التبغ	علي رضا افندي
كاتب الضرائب	حسين افندي

---

(١٤) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص٢٣٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص٢١١ .

٦ ـ الدوائر العدلية :

كانت الدوائر العدلية في ولاية الموصل عام ١٨٩٢ تتشكل مما يلي :[١٦]

١ ـ محكمة البداءة : وتتكون من دائرتين أ ـ دائرة الحقوق ب ـ دائرة الجزاء .

٢ ـ دائرة قلم المحكمة ، وتتألف من رئيس الكتاب (باشكاتب) وعدد من الكتاب .

٣ ـ دائرة التحقيق (استنطاق دائره‌سي) ، وتتألف من اثنين من المحققين.

٤ ـ دائرة الاجراء ، وتتألف من مأمور اجراء ومأمورين تنفيذيين .

٥ ـ محكمة بداءة القسم التجاري ، وتتألف من رئيس وعضوين من اعضاء محكمة البداءة واربعة من التجار المنتخبين وكاتب ضبط .

٦ ـ المحكمة الشرعية وتتألف من القاضي رئيساً وعضوية رئيس كتاب المحكمة الشرعية وسبعة كتاب .

في عام ١٨٩٤ تشكلت هيئة الحكام وهيئة الاتهام بالشكل التالي :[١٧]

هيئة الحكام (هيئة حاكمة)		هيئة الاتهام (هيئة أتهام)	
رئيس : الوالي عزيز باشا		رئيس : مكتوبي فكرت بك أفندي	
مفتي افندي : ـــ	أعضاء	عبدالباقي أفندي	أعضاء
نقيب سيد حسن أفندي	أعضاء	أسحق افندي	أعضاء
جرجيس سرسم أفندي	أعضاء	مستنطق مجلس إدارة الولاية	
عبدالاحد شكر أفندي	أعضاء	عبدالله جودت أفندي	
مدعي عام الولاية		كاتب الضبط محمد أفندي	
علي ياور أفندي			
كاتب الضبط علي بك			

---

(١٦) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص‌ص ٨٤ـ٨٦ .

(١٧) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

وفي عام ١٩١٢ حدث تطور على تشكيلة الحكام حيث اقتصرت الهيئة الحاكمة والهيئة الاتهامية على نائب للرئيس ومدير التحريرات واربعة اعضاء اثنان لكل من الهيئتين ، إضافة الى مدعي عام ومستنطق وكاتب ضبط[١٨] .

أما في الالوية فقد شكلت تفرعات للمحاكم ففي لواء السليمانية مثلا وجدت هيئة العدمية ودائرتي الحقوق والجزاء ، أضافة الى مستنطق ومحرر المقاولات ورئيس كتاب ومأمور إجراء[١٩] .

وفي الاقضية الملحقة بمركز ولاية الموصل مثلا فقد اقتصر الجهاز القضائي فيها على محكمة بداءة وتتشكل من القاضي ومن عضوين ورئيس كتاب ومعاون محقق ومأمورين تنفيذيين وبواب ، أما في قضاء دهوك فقد الغيت وظيفة البواب واستحدثت وظيفة معاون مدعي عام[٢٠] .

وفي بقية الالوية والاقضية ، فقد شكلت محاكم شرعية ولجان عدلية ودوائر البداءة* والجزاء الحقوقية ومدعي عام الاستئناف والجزاء والاستنطاق والاجراء[٢١] .

وتبعاً للحاجة والتطور والاصلاح القضائي فقد جرى دمج محكمتي الاستئناف الجزائية والحقوقية واصبحت واحدة تعرف بأسم محكمة الاستئناف وكذلك دمجت دائرة مدعي عام الاستئناف مع دائرة معاونية مدعي عام البداءة واصبحت دائرة واحدة تعرف بأسم دائرة مدعي عام المركز ، كما جرى استحداث لبعض الوظائف العدلية ، أما في الاقضية فقد جرى التوسع والاضافة ، فقد اضيفت محكمة شرعية ومحكمة بداءة في كل

(١٨) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
(١٩) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .
(٢٠) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص‌ص ١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٧٤ .
* انيطت بها اعمال محكمة التجارة الملغاة . انظر : سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص‌ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

من اقضية زاخو وعقرة ودهوك والعمادية ، واضيفت محكمة شرعية فقط لقضاء سنجار[٢٢] .

٧ ــ التمثيل الدبلوماسي :

كان للدولة العثمانية علاقات سياسية واقتصادية وعسكرية وتجارية وغيرها ، وكان للتمثيل الدبلوماسي دوراً في تنمية تلك العلاقات ، وكانت الممثليات تقام في المدن المهمة في الدولة ومنها ولاية الموصل .

كان للمصالح الاجنبية والتنافس بين الدول دور في أنشاء العديد من القنصليات في العراق ، حيث يمكن اعتبار هذه القنصليات مراكز لجمع المعلومات اضافة الى تمثيل المصالح .

بدأ اهتمام بريطانيا في أن يكون لها تمثيل دبلوماسي في الموصل في أعقاب استيلاء الجيش المصري على بلاد الشام وحلب بالذات ، وكان اول قنصل بريطاني تم تعيينه في الموصل هو كرستيان اتوني رسام في عام ١٨٣٩[٢٣] . في عام ١٨٩٤ عين نمرود رسام الذي تحول في ١٩٠٧ الى وكيل القنصل ، وفي عام ١٩١٢ كانت الهيئة القنصلية متكونة من القنصل هانه والترجمان الفخري نمرود رسام افندي والترجمان ناصر افندي[٢٤] .

أما فرنسا فقد بدأ اهتمامها بتعيين قنصل لها في الموصل منذ عام ١٨٤٢ وذلك لمتابعة مصالحها ولمراقبة النشاط البريطاني ، وكان أول قنصل لها هو

---

(٢١) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٤ــ١٥٦ ، ١٩٤ــ١٩٧ ، ٢٠٠ــ٢٣٣ .

(٢٢) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ص ١١٣ــ١١٤ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٤٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ .

(٢٣) ج.ج لورسيمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٧ ، (قطر : ١٩٧٠) ، ص ٣٩٤٦ .

(٢٤) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص١٤٠ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص١٦٦ ، سالنامه ١٩١٢ ، ص١٣١ .

عالم الآثار بول بوتا[٢٥] . وفي عام ١٨٩٢ كان قنصلها نيكولا سيوفي بك ، وفي عام ١٨٩٤ تم تعيين ألريق الذي استبدل في نفس السنة* ، وكان وكيل قنصل فرنسا في عام ١٩٠٧ دهعراف[٢٦] . وفي عام ١٩١٢ كانت الهيئة القنصلية الفرنسية تتكون من وكيل القنصل سوردو والترجمان عبدالعزيز أفندي[٢٧].

بالنسبة لروسيا فقد وجدت أنه من الضروري ان تفتح لها قنصلية في الموصل لمباشرة مصالحها التجارية ولمراقبة النشاط البريطاني ، ففتحت لها قنصلية في عام ١٨٨٣[٢٨] . وكان قنصلها في عام ١٩١٢ هو كيرسانوف[٢٩] .

وبالنظر لاشتداد حدة المنافسة بين المصالح الاجنبية في الدولة العثمانية فقد ارتأت المانيا ان تفتح لها قنصلية في الموصل وذلك لمتابعة مصالحها ومراقبة نشاط كل من بريطانيا وفرنسا اللتان كانتا تنافسانها على النفوذ والمصالح في الدولة العثمانية ، فكان أن فتحت لها قنصلية في الموصل عام ١٩٠٥[٣٠] . وكان وكيل قنصلها في الموصل عام ١٩٠٧ اندرس أدجار ، وفي عام ١٩١٢ كانت الهيئة القنصلية الالمانية في الموصل تتكون من وكيل القنصل أميمه رتا والمترجم داؤد افندي[٣١] .

أضافة الى ما تقدم فقد كان للبابا ممثلين في العراق ومنها الموصل فقد كان ممثله في الموصل عام ١٨٩٢ وعام ١٨٩٤ المونسنيور هنري التماير ونائبه

---

(٢٥) بييري فوصيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤ ، ترجمة اكرم فاضل ، (بغداد ١٩٦٨) ، ص١٠ .

* سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، ج٣ ، (لبنان ١٩٥٦) ، ص٢٠ .

(٢٦) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص٩٣ ، سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص١٤١ ، ونذكر انه تم استبداله اثناء طبع السالنامه ، انظر : سالنامه ١٨٩٤ ، ص٤٥١ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص١٦٦ .

(٢٧) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

(٢٨) فوصيل ، المرجع السابق ، ص١٥٤ .

(٢٩) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

(٣٠) فوصيل ، المرجع السابق ، ص١٥٥ .

(٣١) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص١٦٦ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

باتري هنري برنارد ، أما في عام ١٩٠٧ فكانت الهيئة القنصلية للفاتيكان في الموصل تتكون من المونسنيور زان درور ونائبه بيراوكوست لاكروا[٣٢] .

ومن الجدير بالذكر ان التمثيل الدبلوماسي لم يقتصر على ما ذكر اعلاه ، فأن السالنامات الخاصة بالموصل تشير مجرد اشارات لوجود ممثلين لفارس (ايران) وممثلين للمصالح الايطالية والامريكية وغيرها من دول العالم التي كانت معروفة آنذاك .

٨ ـ البلديـــات :

تأسست دوائر البلديات في الولايات العراقية تطبيقاً للاصلاحات الادارية التي تضمنها قانون الولايات الصادر عام ١٨٦٤ ، وكان أن تأسست بلدية الموصل عام ١٨٦٩[٣٣] . وكان رئيس البلدية يترأس المجلس البلدي المتكون من ٦ـ١٢ عضوا ، يساعدهم في اداء واجباتهم المهندس والطبيب والكاتب والمحاسب[٣٤] . ويتم انتخاب الاعضاء كل (٤) سنوات على أن يكونوا من ابناء المدينة واعيانها ومن واجبات المجلس البلدي في الولاية اداء الخدمات العامة وتطوير طرق المواصلات وصيانتها وتقديم الخدمات الصحية والاعانات للمحتاجين والايتام ومراقبة الاسواق والاسعار والموازين ، اضافة الى العناية بالمساجد والكنائس وكل ماله منفعة وصلة بالمواطنين[٣٥] .

(٣٢) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص٩٣ ؛ سالنامه ١٨٩٤ ، ص١٤٠ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص١٦٦ .
(٣٣) احمد علي الصوفي ، تاريخ بلدية الموصل ، ج١ ، (الموصل : ١٩٧٠) ، ص٢٢
(٣٤) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .
(٣٥) دستور : ترتيب ثاني ، جلد اول ، (د. سعادت/استانبول : ١٣٢٩هـ) ، ص ١٨ـ١٩ .

يتكون المجلس البلدي في ولاية الموصل وبعض ألويتها وأقضيتها من[٣٦]:

رئيس مجلس البلدية حاجي أمين افندي

سيد خليل أغا

نعوم افندي

داؤد حلمي افندي

جراح عبدالرحمن أغا

نعوم برصوم افندي

خواجة الياس

طبيب قول اغاسي عيسى بك

صيدلي اجزاجي جرجيس افندي

اضافة الى قلم البلدية المتكون من الكاتب والمهندس وامين الصندوق ومأمور المقاولات ومحرر الوقائع ومأمور التنظيفات ومعاون مأمور التنظيفات.

أما في الالوية فأن مجالس البلديات فيها تختلف بالنسبة لاعداد الموظفين فمثلا المجلس البلدي للواء كركوك كان يتألف من رئيس البلدية وكاتبين وامين صندوق وثمانية اعضاء ، اما لواء السليمانية فيتألف من رئيس البلدية وكاتب اول[٣٧] .

كما تختلف المجالس البلدية في الاقضية ، فتتكون من رئيس البلدية ومجلس متكون من (٥) أعضاء في بعضها[٣٨] . وتتشكل بلدية قضاء العمادية عام ١٩٠٧ من رئيس البلدية شعبان آغا والكاتب خالد أفندي فقط ، اضافة الى ان بعض الاقضية ليس للبلديات فيها اي وجود[٣٩] .

(٣٦) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .
(٣٧) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ، ٢٢٦ .
(٣٨) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص١٤٧ .
(٣٩) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، صص ١٩٤ ، ٢٠٣ – ٢٠٤ ، ٢١٦ .

قدمت بلدية الموصل خدمات عديدة وقتذاك حيث عملت على تبليط بعض الطرق وأنارتها بالمصابيح وتأسيس مشاريع النقل الداخلية ـ مشروع النقل بالعربات ـ اضافة الى تشييد المباني الحكومية مثل دوائر البلدية والمحاكم والجندرمة ، كما انها كانت تعتني بالصحة العامة ، وتعمل على تجنيب المواطنين مخاطر التلوث فقامت مثلا ـ وحفاظا على الصحة العامة كما يبدو ـ بنقل معامل الدباغة والمجزرة خارج المدينة ، كما انها وحفاظاً على الذوق العام قامت بنقل الخمارة الموجودة داخل المدينة الى خارجها ، وافتتحت ملجأ للايتام ولايواء المعوزين وعملت على دفع اعانات للفقراء والمحتاجين من ابناء المدينة ، اضافة الى انارة المدينة بالفوانيس[٤٠] .

٩ ـ الصحة :

لم تكن الحالة الصحية في العراق جيدة طوال القرن التاسع عشر وكانت الامراض تنتشر بشكل كارثي كما حدث في الاعوام ١٨٧١ـ١٨٩٩ عندما انتشر مرض الهيضة ، و١٨٧٧ـ١٨٨٢ عندما تفشى مرض الطاعون[٤١] . وقد جلبت هذه الحالة الكارثية نظر مؤتمر الصحة الدولي الذي انعقد في باريس سنة ١٨٩٤ ، والذي أثيرت فيه قضية الوقاية الصحية في العراق ، واثيرت القضية مجدداً في مؤتمر الصحة المنعقد في البندقية سنة ١٨٩٧ ، لذا قررت السلطات العثمانية ايلاء المؤسسات الصحية اهتماماً كبيراً[٤٢] .

(٤٠) الصوفي : المرجع السابق ، ص‌ص ٣٠ ـ ٣٣ .

(٤١) للتفاصيل انظر : د. ابراهيم خليل احمد ، الامراض والاوبئة وتأثيرها في المجتمع الموصلي خلال العصور الحديثة ، مجلة التربية والعلم ، العدد ٩ ، ١٩٩٠، ص‌ص١١١ ـ ١١٢، وكذلك : لونكريك: المرجع السابق، ص٣٨٠.

(٤٢) ذنون يونس حسين الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠) ، ص٨٠ .

كانت الخدمات الصحية من اختصاص البلديات وكان مجموع ما صرفته بلدية ولاية الموصل على الخدمات الصحية في سنة ١٨٩٠ هو (٦٠٠) قرش في لواء السليمانية فقط ، ولم يكن هناك أية صرفيات في لوائي الموصل وشهرزور (كركوك فيما بعد) على الصحة ، علماً انه كان هناك (٦) صيدليات في نفس السنة ومستشفى واحد عام ١٨٩٢ في كركوك(٤٣) ، كما تشير السالنامة الى وجود مستشفى في قضاء دهوك في عام ١٨٩٤(٤٤) . وهو امر مستغرب حيث لا يوجد مستشفى في مركز الولاية بينما يوجد في القضاء المذكور .

وتشير بعض السالنامات الى وجود العديد من الحمامات منتشرة في ولاية الموصل ففي سنة ١٨٩٢ كان هناك (٣٦) حماماً للنساء والرجال في الموصل و(٨) حمامات في لواء كركوك سنة ١٨٩٤(٤٥) .

ومع ذلك فقد كان مستوى الخدمات الصحية متدنياً وهذا ما يشير اليه تقرير طبيب بلدية الموصل في عام ١٩٠٧ الذي اوضح فيه أن من اسباب تدني الصحة العامة للمواطنين اختلاف الظروف الجوية في فصول السنة الامر الذي يؤدي الى انتشار الامراض ، اضافة الى تخلف التعليم وعدم وجود وعي صحي حيث كان الاعراب (البدو) لا يأبهون لما يصيبهم من امراض مما يؤدي الى تعفن جروحهم وتقيحها ، وكانوا يعمدون الى التداوي بما يعرف بـ (طب العرب) كما كان لفقر حال المواطنين من حيث السكن ونوعية الاكل اثر كبير على الصحة(٤٦) .

---

(٤٣) سالنامه ١٨٩٠ ، المصدر السابق ، ص٩٧ ، ١٠٧ ؛ سالنامه ١٨٩٢ ، ص٢٩٨ — ٢٩٩ .

(٤٤) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص٢٨٥ — ٢٨٦ .

(٤٥) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص١٣٩ ؛ سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص٢٩٨ — ٢٩٩ .

(٤٦) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص١١٠ — ١١١ ، ص١١٤ .

كانت هيئة الصحة في لواء الموصل سنة ١٩٠٧م تتكون من :

مفتش الصحة : فتحي بك

طبيب البلدية : ايوب نجم الدين افندي

مأمور الاشغال : واسيل افندي

بيطري : محرم افندي

قابلة : فاطمة هدايت خانم .

حتى اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ كانت الحالات المهمة في لواء الموصل تحال الى ولاية بغداد او لواء كركوك ، وفي عام ١٩١٠ عين طبيب عيون في مستشفى الثكنة (القشلة) وفتح غرفة عمليات صغيرة فيها وفي عام ١٩١٢ قامت بلدية الموصل بأنشاء مستشفى الغرباء قرب منطقة باب سنجار(٤٧) وعهدت ادارة المستشفى الى عدد من الاطباء المواصلة من الرعيل الاول ومنهم داؤد الجلبي عام ١٩٠٩ وعبدالله الدملوجي ١٩١٣ ويحيى نزهت وجلال العزاوي وداؤد الدبوني وحنا خياط عام ١٩١٤(٤٨) .

وفي سنوات الحرب العالمية الاولى اسس المستشفى العسكري في لواء الموصل لتقديم الخدمات لجرحى الحرب من افراد الجيش العثماني ، وكانت نفقات الخدمات الصحية تدفع من قبل ميزانية البلدية(٤٩) .

١٠ ـ البرق والبريد : ـ

امتد نظام البرق ليربط الفاو بالهند وليمتد عبر الموصل وجزيرة بن عمر الى العاصمة استانبول ، ونظراً لاهمية الموصل وموقعها الجغرافي بين العاصمة

---

(٤٧) الطائي ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤٨) متعب خلف جابر الجابري ، تاريخ التطور الصحي في العراق ١٩١٤ـ١٩٣٢ ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، ١٩٨٩) ، ص ٢٠ ، الطائي : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤٩) الجابري ، المرجع نفسه ، ص ١٨ ـ ١٩ .

وبقية الولايات ، فقد شهدت ومنذ اوائل عام ١٨٦١ ربطاً لخطوط التلغراف (البرق) بين الولايات العراقية والعاصمة استنانبول ، وكانت خدمات البريد مرتبطة بخدمات المواصلات (البرق) ، ويعود تاريخها في العراق الى القرن الثامن عشر ، وفي ستينيات القرن التاسع عشر اخذت البواخر البريطانية الهندية بأيصال البريد الهندي الاوربي الى العراق عن طريق البصرة ، أما نقل الخدمات البريدية عن طريق البر ، فقد شهدت ولاية الموصل بعد توقيع الدولة العثمانية على اتفاقية البريد العالمي في باريس افتتاح دائرة البريد فيها سنة ١٨٧٨[٥٠] .

اعتمد نقل البريد البري على عشيرة عنزة ممن يحسنون ركوب الخيل ، وكان السعاة يخرجون من بغداد يوم الاثنين من كل اسبوع مارين بالموصل الى ديار بكر وصولا الى اسطنبول[٥١] .

كانت دائرة البريد والبرق لولاية الموصل سنة ١٨٩٠ تتكون من المدير وثلاثة من المخابرين ، اضافة الى موزع البريد وموظفين احدهما مسؤول عن المخابرات باللغة الفرنسية ، وكان هناك كاتب للبريد وكما يلي[٥٢] .

المدير : صائم افندي

المخابر الاول : جميل افندي

المخابر الثاني : نشأت افندي

المخابر الثالث : ابراهيم افندي

موزع البريد : فتاح افندي وحسن آغا

الموظف المسؤول عن المخابرة الفرنسية : فتح الله افندي

(٥٠) لونكريك ، المرجع السابق ، ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧ ، ٣٨٢ .

(٥١) ستيفن همسلي لونكريك ، تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ــ١٩٥٠ ترجمة سليم طه التكريتي ، ج١ (بغداد : ١٩٨٨) ص ٦٥ ، ٩١ .

(٥٢) سالنامه ١٨٩٠ ، المصدر السابق ، ص ٧١ ؛ لونكريك ، تاريخ ... ، ص ٦٥ــ٩١ .

كاتب البريد : هيلر افندي

موظف (ياستكم فاتتر ستحانه) : سامي افندي .

في عام ١٩٠٧ كانت دائرة البريد تتألف من مدير الدائرة وكاتب اضافة الى ستة موظفين[٥٣] . وتتوزع دوائر البريد على الالوية ، ففي لواء كركوك مثلا عام ١٩٠٧ كانت دائرة البريد تتكون من مدير الدائرة ومأمور البريد واربعة مخابرين[٥٤] .

١١ ــ الجيش : ــ

لعب الجيش دوراً كبيراً في حياة الدولة العثمانية ، فهي دولة محاربة أساساً مذ كانت قبيلة وحتى بعد أن اصبحت امبراطورية ، لذا فأنها كانت تعتني بالجيش عناية كبيرة وكانت ترسل الفيالق والفرق والوحدات الى الولايات والالوية والاماكن الستراتيجية في كافة اجزاء الامبراطورية العثمانية .

كانت الخدمة العسكرية في الدولة العثمانية مقسمة الى[٥٥] :

١ ــ الخدمة النظامية الالزامية ومدتها (٤) سنوات .

٢ ــ خدمة الاحتياط ، ومدتها سنتان .

٣ ــ خدمة الرديف ومدتها (٦) سنوات ، وهي خدمة احتياط ثانية .

٤ ــ الخدمة المستحفظة ومدتها (٦) سنوات ، وهي متفرعة عن خدمة الرديف .

كثيراً ما استخدم الجيش المرابط في العراق في جميع الثورات والتمردات العشائرية ، كما كان يستخدم في العمليات خارج حدود الامبراطورية العثمانية كأشتراكه في الحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧) وحروب متعددة اخرى[٥٦].

(٥٣) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .

(٥٥) العزاوي ، المرجع السابق ، ج٧ ، ص٢٢٦ ، لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص ٣٧٧ .

(٥٦) لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص ٣٨٥ .

في سنة ١٩٠٧ كانت الموصل مقراً للفرقة ٢٤ رديف مؤلفة من اللوائين : اللواء ٤٧ بقيادة أمير اللواء (ميرلوا) يوسف ضيا باشا ، واللواء ٤٨ بقيادة أمير اللواء (ميرلوا) شوقي باشا ، اضافة الى الوية الرديف ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، والتي يتألف كل منها من اربعة افواج موزعة على المناطق الستراتيجية في ولاية الموصل وفي مركز الموصل وسنجار وبعشيقة والرشيدية وعقرة وراوندوز وبرادوست وحرير ودهوك والداؤدية والعمادية وزاخو(٥٧) .

في سنة ١٩١٢ جرى تغيير في توزيع القوات العسكرية في ولاية الموصل، حيث حلت القوات النظامية بدلا من قوات الرديف واصبحت الموصل مقراً للفيلق الثاني عشر بقيادة امير اللواء (ميرلوا) احمد اسعد باشا ، مع قوات ملحقة بقيادة الفيلق مباشرة ، وكان الفيلق يضم الفرقة ٣٥ ومقر قيادتها في مركز الموصل ، والفرقة ٣٦ ومقر قيادتها كركوك ، وتضم كل فرقة من هذه الفرق ثلاثة الوية ، وكل لواء يضم ثلاثة افواج موزعة بصنوفها المتعددة على مراكز الالوية والاقضية والنواحي والمناطق الستراتيجية من الالوية(٥٨) .

قوى الامن الداخلي :

ا ــ الجندرمة والضبطية :

في اواخر القرن التاسع عشر نظمت قوات الجندرمة والضبطية على شكل صنفين هما الخيالة والمشاة ، وكانت الواجبات الملقاة على هذه القوات تتضمن حماية الامن وجمع المكلفين الذين يستدعون للخدمة العسكرية وكذلك من يستدعون لاداء خدمة الاحتياط وحماية قوافل المسافرين وجمع الايرادات من ضرائب وغيرها ، اضافة الى مطاردة قطاع الطرق وحماية السجون(٥٩) .

(٥٧) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ــ١٩٢ .
(٥٨) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ــ١٨٢ .
(٥٩) الدستور : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٦٥٩ــ٦٦٠ .

كانت قوات الضبطية في الموصل ١٨٩٢ تتكون من فوج الضبطية الاول وكما يلي :

قائد فوج الضبطية الاول	الاي بكي عثمان افندي
أغـا الطابور	عمر بكر لي علي أغـا
مدير أمن الطابور	بلقراد لي بكر افندي
أمين الحسابات	صدقي افندي

اضافة الى الفصيل الاول مشاة الذي يتكون من اربعة بلوكات ، والفصيل الاول خيالة الذي يتكون من خمسة بلوكات[٦٠] .

تتوزع قوات الضبطية على مختلف مراكز الالوية في كركوك والسليمانية ومنها تتوزع على ملحقاتها[٦١] .

في سنة ١٩٠٣ تم تشكيل قوات خاصة للجندرمة انيط بها الحفاظ على الامن الداخلي وتوضع تحت السيطرة المباشرة للوالي الذي منح صلاحية نقلها وتوزيعها واستخدامها ضمن حدود الولاية[٦٢] . وكانت دائرة الجندرمة في عام ١٩٠٧ في ولاية الموصل تتكون من قائد قوات الجندرمة حمدي ، ومركز الطابور المتكون من القائد العام وقائد المركز وكاتب الطابور وامراء بلوكات المشاة والخيالة وتنقسم الاخيرة الى بلوكات خيالة فقط وتتكون هيئتها من القائد وكاتب الطابور[٦٣] .

في سنة ١٩١٢ كانت هيئة الجندرمة تتكون من اركان الالاي بقيادة

(٦٠) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص ٩٤-٩٥ .
(٦١) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص ١٤١-١٤٥ .
(٦٢) شكري محمود نديم ، احوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية ١٩٠٨-١٩١٨ (رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، بغداد ١٩٨٩) ، ص ٦١
(٦٣) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ١٦٣-١٦٤ .

القائد صالح صبري بك ومن امين الادارة وكانت الموصل مركز الطابور الاول الذي توزعت قواته وفصائله في الموصل وعقرة والعمادية وزاخو وتلعفر[٦٤] .

ب الشـــرطة :

في سنة ١٨٩٤ كانت الشرطة المتواجدة في ولاية الموصل قوة قليلة العدد وينقصها التنظيم وكانت هيئتها تتكون من[٦٥] :

مفوض الشرطة (قوميسري)	حاجي كاظم افندي
شـــرطي	حميد افندي
شـــرطي	باقي افندي
شـــرطي	حسن افندي
شـــرطي	حقي افندي
شـــرطي	صالح افندي

اما دائرة السجن فكانت متكونة من :

المفتـــش	عبدالحكيم افندي
مدير السجن	جميل بك
الكاتب	عبدالقادر افندي

في سنة ١٩٠٠ جرت اصلاحات كبيرة في جهاز الشرطة لاول مرة وذلك لاعداد جهاز متخصص في مكافحة الجريمة وحفظ الامن وحراسة السجون ، وقد وضعت الاجهزة في اول الامر في المدن الكبيرة والمراكز الادارية حيـــث الكثافة السكانية ، اما الارياف فقد تركت بعهدة الدرك ، وخولت الشرطـة صلاحية استدعاء الدرك لمساعدتها واقيمت المخافر في انحاء المدن[٦٦] .

---

(٦٤) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ١٣٤–١٣٥ .

(٦٥) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٦٦) نديم ، المرجع السابق ، ص٦٢ .

في سنة ١٩٠٧ تألفت دائرة الشرطة من ثلاثة مفوضين يتبعهم اثنا عشر شرطياً ، وتألفت دائرة السجن من مفتش ومدير السجن (توفيق خانه مديري) وكاتب وسجان[٦٧] .

أضافة الى دوائر الشرطة في مركز الولاية فقد كانت هناك دوائر مشابهة لها في مراكز الالوية ، ففي لواء كركوك مثلا تشكلت دائرة الشرطة من مفوض ومأمور شرطة وثلاثة افراد شرطة اضافة الى مأمور وكاتب للسجن[٦٨] .

تطور جهاز الشرطة اكثر فأكثر وأتسعت مؤسساته وكبرت مسؤولياته ففي سنة ١٩١٢ كان جهاز الشرطة في مركز ولاية الموصل يتشكل من[٦٩] :

١ ـ مديرية شرطة يرأسها مدير برتبة مقدم شرطة .

٢ ـ هيئة شرطة يرأسها ضابط شرطة .

٣ ـ مراكز للشرطة وعددها تسعة مراكز يوجد في كل منها (١٥) شرطياً ويوضع في المهم منها مفوض ومعاون مفوض ، وتوزعت هذه المراكز على السراي وباب النبي وباب لكش (باب الكيش) وباب الجسر وباب السراي .

١٢ ـ الناحية الاجتماعية :

أ ـ التركيب الاجتماعي :

يتكون العراق من تركيبة اجتماعية تحتضن قوميات وأديان ومذاهب متعددة ، وكانت ولاية الموصل بالذات تتكون من تركيبة اجتماعية متنوعة ورغم هذه التركيبة فأن جميع السكان في الولاية كانوا يعيشون بتواد وتسامح وتآلف بمعنى أن تقاطع وجوه أهل الموصل تميزهم عن غيرهم وكأنهم

(٦٧) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص١٥٦ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص٢١١ .

(٦٩) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

من عنصر واحد تقريباً[٧٠] • ويتكلم اهالي الموصل باللغة العربية ، إلا ان الاشراف والاكابر كانوا يتكلمون ويكتبون بالتركية[٧١] • وربما يكون بسبب صلاتهم الاجتماعية ومنزلتهم ومناصبهم التي تجعلهم يحتكون بالمؤسسات الرسمية والموظفين الرسميين حيث كانت لغة الادارة الرسمية هي اللغة التركية •

يسكن ولاية الموصل العرب والاكراد والتركمان ويتوزعون في الويتها الثلاثة ، يدين اغلبية السكان بالاسلام وهناك اتباع الديانة النصرانية واليهودية، كما يوجد اعداد قليلة من اليزيدية[٧٢] •

ب ــ السكان :

على الرغم من وجود دوائر للنفوس في مراكز الولاية والالوية والاقضية[٧٣] • فأن أي احصاء للسكان لم يجر بشكل دقيق وشامل ، وقد حاول احد الولاة اجراء عملية احصاء للسكان عام ١٨٩٢ يشمل الذكور والاناث ضارباً بالعادات والتقاليد عرض الحائط مما اثار السكان ولم تهدأ الحالة الا بتراجعه عن عملية الاحصاء[٧٤] •

كما ان القبائل والعشائر كانت تمتنع هي الاخرى عن الاحصاء خوفاً ــ وكما يبدو ــ من التجنيد والضرائب ، مما كان يجعل عملية الاحصاء غير دقيقة وكان الاحصاء يتم على الاغلب بشكل تخميني •

تشير احصائيات السالنامات الى ان عدد نفوس ولاية الموصل كان

(٧٠) سالنامه ١٨٩٠ ، المصدر السابق ، ص١٠٠ .

(٧١) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ ، ٣٣٥ .

(٧٢) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ــ٣٣٥ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص٢٤٧ .

(٧٣) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص٧٩ ، سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ــ٢٢٩ .

(٧٤) فوصيل ، المرجع السابق ، ص ٥٩ــ٦٠ .

وكما مبين في الجدول ادناه(٧٥) :

السنة	مجموع السكان
١٨٩٤	٤١٦ر٢٥٢ نسمة
١٩٠٧	٨٤٨ر١٩٣ نسمة
١٩١٢	٠٠٠ر٨٢٨ نسمة

ومن الجدير بالذكر ان مجموع السكان لسنة ١٨٩٤ يشمل الرجال المسجلين رسمياً مع أضافة تخمينات للسكان غير المسلجين من الذكور ايضاً ، ويشير نفس المصدر في مكان آخر الى ان العدد هو (٠٠٠ر٥٠٠) نسمة ويبدو انه قد اضاف عدد مماثل للاناث ، اما بالنسبة لمجموع السكان في سنة ١٩٠٧ فأنه يشمل الذكور فقط من المسجلين رسمياً ، ويذكر نفس المصدر انه هناك عدد من الاناث يوازي عدد الذكور ، اضافة الى أن وجود عشائر رحالة غير مسجلة ولا يعرف عددها ، وبالنسبة لاحصاء سنة ١٩١٢ فأنه وكما يبدو قد تم اجراء إحصاء عام وشامل ، حيث ان الاحصائية تشير الى اعداد الذكور واعداد الاناث مع تخمين اعداد للاناث اكبر بكثير من الاعداد التي تم احصائها ، فمثلا كان عدد الاناث الداخلات في الاحصاء (٢٢١٧٨) نسمة بينما العدد التخميني لغير الداخلات في الاحصاء فيقدر بـ (٢٥٦٨١٣) نسمة، ويضاف الى الاعداد السابقة اعداد تخمينية للعشائر غير المسجلة والتي قدرت بـ (٠٠٠ر١٣٥) نسمة ، أما اعداد الداخلين في الاحصاء من الذكور فهي (٢٢٤٦٢٦) نسمة ويضاف اليها (٥٤٣٧٤) نسمة غير مسجلين اضافة الى عدد تخميني آخر للعشائر السيارة والذي قدر بـ (٠٠٠ر١٣٥) نسمة فيكون المجموع العام (٠٠٠ر٨٢٨) نسمة .

(٧٥) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص٨٠ ، ٣٣٥ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠-٣٣٣ .

ج المباني والمراقد :

تعاني السالنامات من الاضطراب والتناقض في معلوماتها عن اعداد المباني ، ففي سالنامة ١٨٩٠ مثلا كان عدد الدكاكين ٢٦٧٧ و١٢ مدرسة و٦ صيدليات و٣٦ حمام و١٢٩ جامع ومسجد و٤٥ قهوة[٧٦] . أما سالنامة ١٨٩٢ فتذكر نفس اعداد الدكاكين والحمامات والمقاهي الا انها تنقص اعداد الجوامع والمساجد الى ٣٢ مسجد* فقط وتجعل عدد المدارس ٨ مدارس وتذكر وجود ٣ مطابع ، ١٣٥ طاحونة ، ٧ مخازن ، ٥ أفران ، ٣ غابات ، اضافة الى قطع اراضي زراعية وبساتين[٧٧] . وتطابق سالنامة ١٨٩٤ الارقام السابقة تقريباً إلا انها تنقص عدد المطابع وتجعله مطبعتان[٧٨] . ويشير هذا التطابق الى ضعف النشاط التجاري والاقتصادي حيث بقيت ارقام الدكاكين هي نفسها لمدة خمسة سنوات .

أما سالنامة ١٩٠٧ فتشير الى زيادة اعداد الدكاكين حيث وصل العدد الى ٢٨٥٢ وزيادة عدد المقاهي ٦٢ قهوة ، وزيادة عدد المطاحن حيث تذكر ان عددها ٢٦٦ مطحنة ، وتشير الى وجود (٢٥٠) جومة نسيج مما يشير الى تطور الحياكة في الموصل ، كما يوجد كنيسة ومقر للبطرياركية و٦٧ كورجص و٤٥ مقلع مرمر و١٠ محلات سبيل و٢٠ مكتب و١٨ مقبرة الا انها تنقص اعداد الصيدليات وتجعله ٥ صيدليات[٧٩] ، كما تشير السالنامة الى ابواب الموصل العشرة المعروفة وهي : باب الجسر ــ باب القلعة ــ باب الشط ــ باب عين كبريت ــ باب سنجار ــ باب البيض ــ باب الجديد ــ باب لكش (باب

---

(٧٦) سالنامه ١٨٩٠ ، المصدر السابق ، ص٩٧ .

* ربما كان الرقم ١٣٢ وسقط العدد (١) نتيجة خطأ مطبعي فتصبح هناك زيادة ٣ مساجد بين سنة ١٨٩٠ و١٨٩٢ .

(٧٧) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ــ١٣٩ .

(٧٨) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٧٩) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص١٣٠ .

الكيش) ـ باب السراي ـ باب الطوب • اضافة الى ان السالنامات تشير الى مدافن ومراقد الانبياء والاولياء منهم على سبيل المثال : شيت ، دانيال ، امام يحيى ، الشيخ قضيب البان الموصلي ، ست نفيسة ، ست فاطمة ، ست كلثوم ، شمعون الصفا ، اضافة الى اشهر الجوامع الجامع الكبير والجامع الاحمر[٨٠] •

أما سالنامة ١٩١٢ فتذكر اعداد الاقضية والنواحي والقرى وكما يلي[٨١]:

اسم اللواء	عدد الاقضية	عدد النواحي	عدد القرى
الموصل	٦	١٥	١٥٩٨
كركوك	٦	١٧	١٧١٢
السليمانية	٥	١١	١٠٨٢
المجموع	١٧	٤٣	٤٣٩٢



١٤ ـ الناحية الثقافية :

ا ـ المدارس:

كان التعليم في العراق يفتقر الى الكثير من مقومات العملية التعليمية من حيث المدارس والكتب والمقررات العلمية والمدرسين ، وكان يعالج نقص المدرسين في بعض الاحيان بقيام الضباط بتدريس الطلاب في المدارس[٨٢] •

مع قيام حركة الاصلاحات في الدولة العثمانية وصدور خط شريف كولخانه عام ١٨٣٩ وخط شريف همايون عام ١٨٥٦ ، بدأت عملية الاهتمام

(٨٠) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ص ١١٠ـ١٣٠ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص ١٢٠ـ١٢٨ •

(٨١) سالنامه ١٩١٢ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣٢٨ •

(٨٢) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص ١٨١ ؛ لونكريك ، اربعة قرون ... ، ص ٣٠٣ •

بالجانب التعليمي من ضمن الجوانب الاخرى ، فصدر عام ١٨٤٦ قانون اصلاح النظام التعليمي ، وفي عام ١٨٦٩ صدر نظام المعارف العمومي[٨٣] .

قامت الدولة العثمانية بتأسيس المدارس الجديدة من الابتدائية والرشيدية (المتوسطة) ومنذ عام ١٨٤٥[٨٤] .

وفي عام ١٨٦١ تم انشاء اول مدرسة حديثة في لواء الموصل في عهد الوالي كنعان باشا ، وكانت مدرسة ذات نظام حديث وتضم صفوفاً ابتدائية ورشدية ، ومع تولي مدحت باشا حكم العراق عام ١٨٦٩ بدأت حركة الاصلاح تأخذ مداها في الجانب التعليمي ، فأنشأت العديد من المدارس الى جانب المدارس الخاصة[٨٥] . وعلى الرغم من الاهتمام بانشاء المدارس فأنه لم يكن هناك اية صرفيات على المعارف فيولاية الموصل بأكملها عام ١٨٩٠[٨٦] .

كانت ادارة المعارف في ولاية الموصل تتكون من مدير للمعارف ومأمور الحسابات واميناً للصندوق ، كما كان هناك مجلس للمعارف يتكون من رئيس للمجلس ويشير المصدر الى انه المفتي ، اضافة الى عضوين ومحاسب[٨٧] .

أما بالنسبة لانواع المدارس فكانت تضم الابتدائية والرشدية والاعدادية ومجموع سنوات الدراسة فيها ٨ سنوات ، اضافة الى المدارس العسكرية المتمثلة بالرشدي والاعداديالعسكري ، وتضم مواد الدراسة شتى انواع المعرفة وحسب مدارك الطلاب وتدرجهم الدراسي .

كان في ولاية الموصل عام ١٨٩٠ (١٢) مدرسة[٨٨] . ازداد العدد في عام

(٨٣) الدستور ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢١١ .
(٨٤) العزاوي ، المرجع السابق ، ج٧ ، ص ٢٠٦ .
(٨٥) سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، ج١ ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص٣٢٣ .
(٨٦) سالنامه ١٨٩٠ ، المصدر السابق ، ص١٠٧ .
(٨٧) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص١٣٢ .
(٨٨) سالنامه ١٨٩٠ ، المصدر السابق ، ص٩٧ .

١٨٩٣ ليصل الى ٢٣ مكتب و٣٦ مدرسة رسمية واهلية (كلداني وسرياني وموسوي)[٨٩] .

أما في عام ١٨٩٤ فكان العدد ٣٣ مكتب رسمي وأهلي و٢٠ مدرسة[٩٠] . اما في عام ١٩٠٥ فكان عدد المكاتب والمدارس بانواعها المختلفة ٤٦ مكتب ومدرسة[٩١] .

أما في عام ١٩٠٧ فكان عدد المدارس في لواء الموصل ٢٠ مدرسة مع دار معلمين* واحدة ضمت ٧٤٠ طالباً اما دار المعلمين فضمت ٥ طلاب فقط ، أما بقية الالوية والاقضية فكان العدد كما يلي : ٩٥ مكتب صبيان ، ١٦ مدرسة ابتدائية ، ٥ مدارس رشدية ومدرسة رشدية عسكرية واحدة[٩٢] .

وبالنسبة لمدارس البنات في الموصل فلم تكن هناك سوى مدرسة رشدية واحدة انشأت بعد سنة ١٨٩٩[٩٣] .

وكانت هيئتها التدريسية عام ١٩٠٧ تتكون من[٩٤] :

معلمة اولى   فاطمة زهراء خانم .

معلمة ثانية :   زهراء خانم .

معلمة ثالثة :   بنيه خانم .

---

(٨٩) سالنامه ١٩٨٢ ، المصدر السابق ، ص١٣٩ .
(٩٠) سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص٢٦٢ ـ ٢٨٦ ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .
(٩١) سليمان فيضي ، في غمرة النضال (بغداد ، شركة التجارة والطباعة المحدودة) ١٩٥٢ ، ص‌ص ٥٨ ـ ٥٩ .
* انشأت عام ١٩٠٠ ، أنظر ، فيصل محمد الارحيم ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) ، (الموصل : ١٩٧٥) ، ص١٢٨ .
(٩٢) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص١٣٠ ـ ٢٢٧ .
(٩٣) العزاوي ، المرجع السابق ، ج٨ ، ص١٥٦ .
(٩٤) سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

وفي عام ١٩١٢ كانت الهيئة التدريسية تضم(٩٥) :

معلمة اولى : فاطمة الزهراء خانم •

معلمة ثانية : عطيه خانم ، معلمة ثالثة : حمدية خانم •

معلمة النقش : بنيه خانم ، فراشه سعدية خانم ــ بواب احمد بك ، وقد ضمت المدرسة ١٠٧ طالبات •

في عام ١٩١٠ امر وزير المعارف الشريف علي حيدر بأفتتاح ٩ مدارس منها واحدة لدار المعلمين ، وقام الوالي طاهر باشا بأفتتاحها وسط احتفال كبير(٩٦) • وكان دار المعلمين يستقبل ٢٥٠ طالباً والدوام فيه مسائياً ويتكفل بأسكان واطعام واكساء الطلاب مع كافة اللوازم الاخرى(٩٧) •

وكانت هناك مدارس للطوائف غير الاسلامية عديدة ومتنوعة وتقع ضمن المدارس الخاصة ، وكان معلموا اللغة العثمانية فيها من المسلمين وهم كل من خير الدين فاروقي معلم المدارس الكلدانية ، والملازم رفعت افندي معلم المدرسة اليهودية ، وأمين أفندي معلم المدرسة السريانية(٩٨) •

ب ــ الطباعة والصحافة :

شهدت ولاية الموصل تأسيس عدد من المطابع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد الارساليات التبشيرية المختلفة ، وكانت اول مطبعة انشأت في الموصل عام ١٨٥٨ في محلة الجولاق بناءً على اقتراح الاب بيشون الدومنيكي وكانت مطبعة بدائية حجرية(٩٩) •

---

(٩٥) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٩٦) النجاح ، نومرو ٦٦ ، برنجي سنة ، ١٨ ك١ ١٣٢٦ ، (١٩١٠م) .

(٩٧) النجاح ، نومرو ٦٧ ، برنجي سنة ، ٢٠ ك١ ١٣٢٦ ، (١٩١١م) .

(٩٨) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص١٢٠ .

(٩٩) د. ابراهيم خليل احمد ، نشأة الصحافة العربية في الموصل ، (الموصل : ١٩٨٢) ، ص ٥ .

وفي سنة ١٨٧٥ أسست مطبعة الحكومة في الموصل[١٠٠] وتشير مطبعة الولاية الى توفر حروف كاملة في المطبعة لطبع مختلف الكتب واحتياجات الحكومة من الجداول والسندات وباللغتين العربية والتركية[١٠١] . وفي سالنامة ١٨٩٢ نجد أن هناك ٣ مطابع وفي سالنامة ١٨٩٤ مطبعتان وكذا في سنة ١٩٠٧[١٠٢] . وفي سنة ١٩١١ وصلت المطبعة الاهلية التي كان قد اوصى عليها فتح الله سرسم[١٠٣] . وتشير سالنامة ١٩١٢ الى وجود ٣ مطابع في الموصل وهي[١٠٤] :

اسم المطبعة	المحل	صاحب الامتياز
مطبعة الولاية	سراي الحكومة	مدير الادارة الرسمي
مطبعة سرسم زادة	محلة باب النبي	فتح الله أفندي سرسم زادة
مطبعة الدومنيكان	محلة الجولاق	رهبان الدومنيكان

أما بالنسبة للصحافة فكان أول صدور رسمي لصحيفة حكومة ولاية الموصل هو صدور صحيفة الموصل في ٢٥ حزيران ١٨٨٥ وهي باللغتين العربية والتركية[١٠٥] . كان محررها وكاتب الحسابات في مطبعة الحكومة : رؤوف أفندي[١٠٦] .

أما الصحافة الاهلية فكانت جريدة نينوى التي صدرت في ١٥ تموز

(١٠٠) المرجع نفسه ، ص٦ .
(١٠١) سالنامه ١٨٩٠ ، المصدر السابق ، ص٧٠ .
(١٠٢) سالنامه ١٨٩٢ ، المصدر السابق ، ص١٧٩ ؛ سالنامه ١٨٩٤ ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ ، سالنامه ١٩٠٧ ، المصدر السابق ، ص١٣٠ .
(١٠٣) النجاح ، نومرو ٤٢ ، برنجي سنة ، ٣ أيلول ١٣٢٧ ، (١٩١١م) .
(١٠٤) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .
(١٠٥) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص٣٣٤ ، احمد ، المرجع السابق ، ص٢٠ .
(١٠٦) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

١٩٠٩ وهي جريدة اسبوعية تنشر باللغتين العربية والتركية وصاحب امتيازها فتح الله سرسم ، اما المدير المسؤول فكان محمد أمين الفخري (فخري زادة محمد امين)[١٠٧] ، اما جريدة النجاح فقد صدرت في ١٢ت٢ من عام ١٩١٠ وهي جريدة اسبوعية* تنشر باللغتين العربية والتركية وصاحب الامتياز خير الدين فاروقي افندي والمدير المسؤول عبدالله رفعت افندي[١٠٨] ،وفي ٢٧ حزيران ١٩١١ صدرت جريدة مكه باز (المهذار) وهي هزلية اسبوعية تنشر باللغتين العربية والتركية ، صاحب الامتياز والمدير المسؤول عبدالمجيد افندي[١٠٩] .

١٥ ـ الناحية الاقتصادية :

أ ـ الزراعة والثروة الحيوانية :

عاشت ولاية الموصل حتى اواسط القرن التاسع عشر في حالة من الفوضى والاضطراب في اوضاعها الاقتصادية ، ولم يجر فيها اصلاح ملحوظ ، كما أن الحكومة فشلت في توطيد الامن والعمل على استقرار العشائر ، ولكن مجيء مدحت باشا بدأت سلسلة من الاصلاحات كانت في احد جوانبها تهتم بالاقتصاد ومنها اقرار العمل بنظام الطابو وتفويض الاراضي والقصد العام منها العمل على توطين العشائر والحد من تمرداتها والاستفادة من انتاجها الزراعي والحيواني[١١٠] . الا ان الكوارث وسنوات القحط لم تمهل الموصل لاستعادة انفاسها ومعاودة نشاطها الاقتصادي مما ادى في بعض السنوات الى

(١٠٧) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص٣٣٤ ؛ جريدة نينوى ، العدد الاول (٢ تموز ١٣٢٥ ، (٥ تموز ١٩٠٩م) .

* اثناء تصفحنا لاعداد الجريدة وجدنها انها مضطربة الصدور فهي اشبه باليومية واشبه بالاسبوعية .

(١٠٨) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤ ؛ احمد ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(١٠٩) المصدر والصفحة نفسهما ، ص ٥٤ .

(١١٠) لونكريك ، اربعة قرون ...، ص ٣٨١ .

حدوث حركة نزوح سكاني من الريف الى المدينة(١١١) . وبالرغم من ذلك فأن احوال الموصل الجوية ومعدلات درجات الحرارة التي تتراوح بين ٣٩–٤٢ ساعدت على الزراعة ، وكانت زراعة الحبوب في سهل سنجار ودهوك وعقرة واربيل بصورة اكبر من بقية المناطق ، كما تزرع النباتات البقولية والمواد الغذائية كالباقلاء والفاصوليا والعدس اضافة للنباتات البصلية والدرنية والجذرية اضافة الى الخضروات ، كما كان يزرع اشجار الزيتون والحمضيات والفواكه ، ويزرع السمسم والتبغ وغيرها من المزروعات(١١٢) .

لم تعمل الحكومة على تحديث الزراعة ومكننتها فبقيت تستخدم في ولاية الموصل الالات الزراعية القديمة ، لذا كان الانتاج الزراعي في حالة شبه متدنية(١١٣) . ومما يؤشر هذا الخلل ان مأمور الزراعة في الولاية اذاع خبر استعداده لتسجيل اسماء من يراجعونه لغرض شراء الات حديثة بدل القديمة ، وقد انتقدت جريدة النجاح هذا الكلام واعتبرته شبيهاً بكلام من سبقوه بالوعود وجعجعة الكلام(١١٤) . كما تؤكد سالنامة ١٩١٢ تدني حالة الزراعة بسبب استخدام الالات الزراعية القديمة كالمحراث والدارسة (الجنجر) ، لذا فأن المنتجات الزراعية كانت تسد حاجة الولاية(١١٥) .

كانت هناك بنوك زراعية في مراكز الالوية والاقضية(١١٦) . إلا انها لم تكن تساعد في تحديث الزراعة كما يبدو وبسبب ضآلة القروض بل ان الدولة كانت تقترض من الخارج لتمويل الزراعة(١١٧) .

---

(١١١) فوصيل ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(١١٢) سالنامه ١٨٩٤ ، ص ٢٦٤ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص ١٠٢ ، سالنامه ١٩١٢ ، ص ١٠٤ .

(١١٣) النجاح ، نومرو ٣ ، برنجي سنه ، ٢٠ت٢ ١٣٢٦ر (١٩١٠م) .

(١١٤) النجاح ، نومرو ٣٠ ، برنجي سنه ، ١١ حزيران ١٣٢٧ر (١٩١١م) .

(١١٥) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص‌ص ٨٠–٨١ .

(١١٦) سالنامه ١٨٩٢ ، ص ٨١–٨٢ ، ١٦٠ ؛ سالنامه ١٨٩٤ ، ص ١٣٣ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص‌ص ١٥٣–٢٠٤ .

(١١٧) النجاح ، نومرو ٣ ، برنجي سنه ، ٢٠ت٢ ١٣٢٦ ، (١٩١٠م) .

وكانت الموصل تمتلك ثروة حيوانية لا بأس بها مكونة من الاغنام والجمال والخيول والبغال والحمير والجاموس والثيران ، اضافة الى انواع عديدة من الطيور والارانب والغزلان[118] .

ب ـ الصناعة والمعادن :

نشطت ولاية الموصل صناعياً ، وكانت أهم الصناعات الرائجة هي النسيج والصناعات القطنية والملابس والعباءات والمعاطف والبدلات ، اضافة الى منسوجات الموسلين والتي اشتهرت في الغرب وعرفت بهذا الاسم ، كما كانت تصنع في الموصل اطقم الحمامات والخاوليات والمنام واغطية الرأس والشراشف والخيم البيضاء والسوداء والكليم واليشامغ والعكل من المرعز ، وقد فاق بعض هذه الصناعات النسيجية الصناعات المماثلة لها من الاوربية[119] .

اشتهرت الموصل اضافة لما تقدم بصناعة الاواني النحاسية مثل ايد الهاون والطناجر وطاسات الماء والاباريق ودلال القهوة والقدور والسفرطاس والشمعدانات والمناقل والصحون واطقم الشاي ، كما عرفت الموصل صناعة الفخار وصناعة المأكولات والمشروبات والدباغة والجلود[120] .

اما بالنسبة للمعادن فقد اكتشفت آبار النفط في المنطقة الممتدة من مندلي وخانقين وحتى كركوك[121] . كما يوجد في الموصل الكبريت المعدني وغازات النفط والقار والامونيا[122] . وكانت ولاية الموصل بعد اكتفائها ذاتياً من الصناعة تعمد الى التصدير الى الولايات المجاورة او الخارج .

---

(118) سالنامه ١٨٩٤ ، ص ٢٧٠ـ٢٧٣ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، ص ٨٥ ، ١٠٥ .
(119) سالنامه ١٨٩٠ ، ص ١٠٥ ؛ سالنامه ١٨٩٤ ، ص ٢٦٥ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص ١٣٢ .
(120) سالنامه ١٨٩٤ ، ص ٢٢٦ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص ١٣٢ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، ص ٨٩ـ٩٢ .
(121) الزوراء ، العدد ٨٣ ، ت١ ١٨٧٠ .
(122) سالنامه ١٨٨٤ ، ص ٢٥٧ـ٢٥٨ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص ٨٠ـ٨١ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، ص ٨٤ .

كانت توجد في الموصل ٣٠ـ٤٠ مصبغة و٥ أفران و٢٢٦ مطحنـة و٢٥ مقلع و٢٥٠ جومة و٩ مناصر ، ٥٢ دنك ومعمل صابون و٩٧ كور جص ، اما في دهوك فكان يوجد ٦ مطاحن ، وفي كركوك ١٢ فرن و٣ طواحين ، اضـافة الى ١٥ طاحونة مائية ومعمل اينجي(١٢٣) .

جـ ـ التجارة والمالية :

كانت طرق الموصل التجارية كما يلي(١٢٤) :

١ الموصل ـ بغداد ـ البصرة ومنها الى الهند (بومباي) .

٢ـ الموصل ـ راوندوز ـ سليمانية ـ همدان ـ كرمنشاه (ايران) .

٣ ـ الموصل ـ العمادية ـ زاخو ـ حكاري ـ تبليس ـ ديار بكر .

٤ ـ الموصل ـ طربزون الى حلب ـ اسكندرون والى ارمينيا ـ الاناضول.

كانت الطرق التجارية كثيراً ما تتعرض لهجمات العشائر ورجال القبائـل ويعرضون الخوة ولم تنفع معها اجراءات الدولة لحماية الطرق(١٢٥) .

وكانت تجارة الموصل ترسل الى الخارج بواسطة العشائر مثل عشيرة شمر وعنزة وتضم الاغنام والماعز والابقار والجمال والخيول الى اوربـا والهند ، كما كانت تصدر الحبوب والعفص والدهون والجلود والمنسوجات ، أما الاستيراد فكان يتضمن السكر والشاي والصابون والزجاجيات ومفروشات الاكل وبعض الالات النحاسية اضافة الى السجاد والاقمشة النفيسة من الهند وايران ، اما وسائط النقل فكانت بواسطة الحيوانات من حمير وبغال وجمال

(١٢٣) سالنامه ١٨٩٠ ، ص ٩٣ ؛ سالنامه ١٨٩٢ ، ص ١٣٩ ؛ سـالنامه ١٨٩٤ ، ص ٢٦٢ ، سالنامه ١٩٠٧ ، ص ١٣٠ .

(١٢٤) سالنامه ١٩٠٧ ، ص ١٣١ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، ٩٠ .

(١٢٥) فوصيل ، المرجع السابق ، ص ٦١ـ٦٢ .

عن الطريق البري والاملاك عن طريق النهر وخصوصا في التجارة مع بغداد[١٢٦]

وكانت هناك غرفة تجارة في مراكز الالوية والاقضية اضافة الى محكمة تجــارة[١٢٧] .

في ســنة ١٩١٢ كانت قيمة الصــادرات (٤٠٠) الف ليرة والواردات (١١٠) الف ليرة ، وعليه فــأن قيمة الصــادرات كانــت اكبــر مــن قيمــة الواردات[١٢٨] .

كانت مالية الموصل تأتي من الضرائب والرسوم وكانت كما يلي[١٢٩] :

السنة	الواردات (بالقرش)	النفقات (بالقرش)
١٨٩٠	١٧ر٣٣٣ر٦٦٦	٨ر٠٧٠ر٥٦٣
١٨٩٢	١٠ر٢٠٨ر٤٠٩	٧ر٨٧٥ر٣٨٨
١٨٩٤	١٧ر٤٦٨ر١٤٨	٢٢ر٥٩٤ر٢٤٣

---

(١٢٦) سالنامه ١٨٩٤ ، ص ٢٦٧ــ٢٦٨ ؛ سالنامه ١٩٠٧ ، ص ١٣١ ؛ سالنامه ١٩١٢ ، ص ٩٢ ؛ الزوراء ، العدد ٥٩ ، تموز ١٨٧٠ .

(١٢٧) سالنامه ١٨٩٢ ، ص ٨٥ ؛ سالنامه ١٨٩٤ ، ص ١٣٠ ؛ ســالنامــه ١٩٠٧ ، ص ٢٠٢ .

(١٢٨) سالنامه ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(١٢٩) سالنامه ١٨٩٠ ، ص ١٠٦ــ١٠٧ ؛ سالنامــه ١٨٩٢ ، ص ١٥٤ــ١٥٥ ؛ سالنامه ١٨٩٤ ، ص ٢٩٥ــ٢٩٦ .

١٦ ـ خلاصـــــة :

يتضح مما تقدم أن السالنامات الخاصة بكل ولاية هي ثروة غنيـــة بالمعلومات ، وفيما يخص سالنامات الموصل (موصل ولايتي سالنامەسي) فانها غنية بالمعلومات التي تمد الباحث في التاريخ المحلي لولاية الموصل او احـد ألويتها وأقضيتها بمعلومات لا غنى عنها ، وهي بالرغم من تكرارها في بقيـة السالنامات إلا أنها تسجل التطورات الحاصلة في الولاية مع كل صـــدور جديد للسالنامة .

تتضمن السالنامات الخاصة بولاية الموصل معلومات تفصيلية تقريباً عن كل نواحي الولاية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافيـة والأدارية ، وهي بالرغم من احتوائها على بعض الأخطاء ، إلا أنها تبقـى مصدراً أساسياً وأصيلاً لكل من يتصدى لدراسة تاريخ الموصل .

إضافة الى ما تقـدم فأن السالنامات الخاصة بالموصل مـع غيرهـا من السالنامات الخاصة بالولايات الأخرى تتضمن معلومات قيمة عن تاريخ الدولة العثمانية حتى سنة صدور السالنامه بشكل عام .

فضلاً عن ذلك فأن السالنامات تشير الى وعي العثمانيين بأهمية التوثيق لمجمـل التطـورات الحاصلـة في مختلف المجـالات السياسية والاداريـة والاقتصادية والاجتماعية .

* * *

الضـــرورة النحـــوية
في ديـــوان المتنبـــي

د. علـي الشوملي
جامعة العلوم والتكنولوجيا الاردنية

الضــرورة فــي اللغــة :

الضُرّ لغتان ، ضد النفع ، والضَرّ المصدر ، والضره : خلاف المنفعة ، والضار وراء : القحط والشــدة ، وقيل : الضـــراء : النقـــص في الامـــوال والانفس • والضرر : النقصان يدخل في الشيء ، والاضطرار : الاحتيـــاج الى الشيء • قال الليث : الضرورة اسم لمصدر الاضطرار ، تقول : حملتنـــي الضرورة على كذا وكذا ••• الضرورة : الاحتياج ••• اللسان (ضرر) •

الضــرورة فــي الاصطــلاح :

اختلف العلماء في تحديد مفهوم الضـــرورة ، فيرى ســـيبويه (١/٣٣٣) وابن مالك والاعلم (الضرائر للالوسي ص ٦) انها : ما ليس للشاعر عنـــه مندوحة ، مشتقين هذا التعريف من التعريف اللغوي الذي هو الاحتياج الى الشيء ، وأنه لا مفر منه مما قد يضطر الشاعر الى حذفه او زيادته للمحافظة على الوزن الشعري •

ويرى الخليل بن أحمد ويشاركه جمهور اللغويين والنحاة ان الضرورة هو ما وقع في الشعر مما لا مثيل له في النثر سواء أكان للشاعر عن مندوحـــة أم لا ،حيث يرى أن الشعراء امراء الكلام يصرفونه انى شاءوا ، وجائز لهـــم مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيـــده ، ومد مقصوره وقصر ممـــدوده والجمع بين لغاتـــه ، والتفريق بين صـــفاته ، واستخراج ما كلت الالسنة عن وصفه ولغته ويحتج بهم ولا يحتج عليهـــم ،

ويصورون الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل (زهر الآداب ٣/٢٢) وانقسم الناس الى قسمين : الاول : يرى أن الضرورة هي ما وقع في الشعر مما لا يقع في النثر مما لم يكن للشاعر منه بد •

والثاني :يرى أنها ما وقع في الشعر سواء : أكان للشاعر بد منه أم لا (الاشباه والنظائر ١/٢١٩) والافضل أن تطلق الضرورة على لغة الشعر • وقد نبه أبو حيان الاندلسي على ذلك القول : « وإنما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر المختصة به ، ولا يقع في كلامهم النثري إنما يستعملون ذلك في الشعر خاصة دون الكلام » (الاقتراح ص ١١) ويرى كثير من العلماء أن الضرورة هي ما تقع في الشعر دون النثر سواء أكان للشاعر عن هذه الضرورة مندوحة أم لا • والضرورة عند النحاة ليس معناها أنه يمتنع في هذا الموضع غير ما ذكر ، إذ أنه ما من ضرورة إلا ويمكن استبدالها بكلمة جائزة ، ولو استطاع الشاعر أن يضع كلمة دون اخرى لادى ذلك الى إلغاء الضرورة من الشعر ، ولكن الحقيقة أن الشاعر عندما ينظم قصيدته لا يخطر بباله هذا ، بل يختار اللفظة التي يفرضها السياق والوزن الشعري ، فيلجأ الى اختيار ألفاظ تكون قد خرجت عما اعتاده الناس واللغويون والادباء ، عند ذلك يلجأ هؤلاء الى تبرير قول الشاعر وايجاد الاعذار له •

وقد تتبع العلماء الضرورات في الشعر وقسموها الى اقسام عدة : منها الضرورة الحسنة ، والضرورة القبيحة • والضرورات القبيحة ، هي المستهجنة التي تستوحش النفس منها ، والتي عندما تؤول بالتركيب في نطاق الجملة أو اللفظة يعسر الوصول منها الى المراد ، وذلك حين يكون الحذف من الكلمة واصلا الى درجة يصعب معرفة المحذوف كقول لبيد :

درس المنا بمتالع فأبان .... وهو يريد المنازل .

وبتر اللفظ على هذا الشكل يمسخ صورته المألوفة والمعروفة ، والتوسع في مثل هذا البتر يؤدي الى الاخلال واختلاط الصيغ فضلا عن عدم وضوح القصد (الضرورات الشعرية ص ٧) ولاجل هذا فالافضل الاقتصار على الاخذ بالسائغ الحسن من الضرورات .

والضرورة الحسنة : هي التي يكون الحذف فيها او الزيادة او التغيير الذي يعتري اللفظة أو يطرأ عليها ضمن القياس المعروفة نظائره والذي يهدي فيه التركيب الى القصد المراد بسهولة ويسر مما ألفته النفس لكثرة شواهده وأمثلته . ومع هذا فمعرفة الضرورة بقسميها الحسن والقبيح ضروري لمن اراد قول الشعر للوقوف على ما تسمح به اللغة من استعمال وعلى ما يقبله اللغويون .

ومفهوم الضرورة نشأ اولا في اذهان الفقهاء وهم يستخلصون من آيات الرخص في القرآن الكريم دلالاتها التشريعية وأحكامها ، ويؤكدون بهذه الصورة أو تلك أن الضرورة هي الحاجة الملحة ، وقد تهيأ لها من خلال فكر الخليل ما وضعها في إطار لغوي وأدبي عام قرر فيه أن الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا ، فدل على أن الضرورة الشعرية يمكن ان تكون عن غير حاجة خلافا للضرورة الشرعية .

وأوحي ابن جني لقارئيه بفكرة الضرورة التوسعية بأنها ظاهرة لغوية خاصة بالشعر دون غيره من أنواع الكلام العربي فقط ، سواء أكان الشاعر مضطرا في استعمالها أم غير مضطر .

وجاء أبو سعيد السيرافي فصنف الضرورات في سبعة ابواب ، ضرورات زيادة . ونقصان ، وتقديم وتأخير ، وإبدال وتغيير وجه الإعراب الى وجه آخر ، وتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث . ثم جاء من بعده ابن عصفور فصنفها في أربعة أبواب :

ضرورات الزيادة والنقص والتقديم والتأخير والبدل •

كان المبرد أول من ألف كتابا مستقلا في ضرورة الشعر ، وقد اشار ابن فارس [ما يجوز للشاعر في الضرورة ص ٧] الى أن علماء العربية قد صنفوا في ضرورات الشعر كتبا ، ومعنى هذا أن الحقبة الممتدة بينه وهو المتوفى سنة ٣٩٥هـ وبين المبرد قد عرفت كتبا اخرى غير كتاب المبرد المفقود• ولعل الرسالة التي نسبها ياقوت الحموي الى سنان بن ثابت الموسومة بعنوان « الفرق بين المترسل والشاعر » واحدة من تلك الآثار المجهولة • وقد اهتم بهذه الظاهرة كل من : أبي سهل بن أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢هـ ، والحسين بن محمد الرافعي الخالع المتوفى سنة ٣٨٨هـ ، وأبي علي محمد بن الحسن الحاتمي المتوفى سنة ٣٨٨هـ ، وأبي عبدالله محمد الاسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ ، وأبي عبدالله محمد بن يوسف الكفرطابي المتوفى سنة ٤٥٣هـ ، واسعد بن المهذب المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، وأبي محمد الخوارزمي المتوفى سنة ٦٠٧هـ ، وأبي المرجي التميمي المتوفى سنة ٦١١هـ ، وأبي بكر محمد بن الحسن العطار ••• وذلك فيما وضعوه من كتب في صناعة الشعر واسراره لم يقدر لها أن تصل الينا •

وقد دخلت الضرورة ميدان اللغة لانها تدفع الشاعر الى تغيير صورة اللفظة حذفا أو زيادة او عدولا عن القياس في بناء الأبنية الى ما يخالفه ، وقد أشار الى ذلك اللغويون ، ومن تصفح المعاجم اللغوية وجد العديد من الضرورات التي أشير اليها •

ودخلت الضرورة أيضا ميادين النحو لكونها تدفع الشاعر الى مخالفة القياس في بناء الجملة أو التركيب اللغوي أو في عمل الادوات والتغيير في تركيب الجمل • وعمد النحاة الى التأويل والتعليل للابيات التي خالفت القياس النحوي ، ولذلك كانت الابيات التي حرفتها الضرورة عن القياس اللغوي المألوف ميدانا فسيحا لنظر النحاة وتأويلهم وتعليلهم ، وقد ادخلها

ذلك ضمن الخلاف النحوي ، إذ كان كل طرف ينسب جملة مما احتج بـه الطرف الآخر الى الضرورة (في الضرورات الشعرية ص ٧) وقد وفق النحاة توفيقا كبيرا في استعمالهم لمصطلح الضرورة في حصر بعض الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في بنية لغة الشعر ، ولعل في هذا ما يشير الى أن الدراسات الفقهية قد أعطت النحاة بعضا من مصطلحاتها •

إن ما يسمى « بالاقواء » في الشعر ليس إلا خطأ في قواعد النحو يقـع فيه الشاعر لكي يحتفظ بموسيقى القافية في شعره ، وإن كان بعض النقـاد القدماء يرون أن الشاعر كان يخالف موسيقى القافية لكي يصح النحو وهـذا مخالف لآراء النحاة الذين يرون أن الشاعر يلتزم حركة واحدة في القافية ولا يخطىء مع ذلك في النحو ، وحين تزل قدمه في الإعراب يلتمسون له الحيل •

إن فكرة الضرورة في النحو العربي وليدة ذلك الجهد المستفيض الذي بذلـه النحاة في بنـاء قواعد العـربية ، ذلـك انهم في اعتمادهم على الشعر والمقارنة بينه وبين المظاهر اللغوية البادية في النصوص القرآنية وكلام العـرب النثري لم يغفلوا عما تفرد به الشعر من مظاهر خاصة ، فسروها تفسيرا فنيـا معتمدين على أثر الوزن في بنية الشعر ، وما يمكن أن يفرضه على الشـاعر من لوازم فنية تجعله يجيز لنفسه جوازات غير معروفة فيما عداه من نصـوص عربية فصيحة ــ وقد اثرت هذه الفكرة اول ما أثرت في التأليف النحـوي عند سيبويه والمبرد بعد أن عرفت بزمان في الفكـر النحـوي (الضـرورة الشعرية ص ٩٤) فقد يعمد الشاعر الى التقديم والتأخير ، وقد يتجنب السهل الفصيح ، ويوقع نفسه في الخطأ وهو عالم بكل ذلك توخيا للوزن وحرصـا على القافية • وكان النحوي اذا احتاج الى شاهد معين وعز عليه أن يلقـاه في كلام العرب عمد الى صناعة مثل نثري للقضية التي يعنى بدراستها ، وربما صنع شاهدا شعريا • وقد اعترف النحاة بشيء من تلك الشواهد الشـعرية المصنوعة في أبواب نحوية مختلفة (النحو العربي ، نقـد وبناء ١٢٤ــ١٢٥)

ولقد اجاد الاستاذ سعيد الافغاني (الموجز في قواعد العربية ص ٧) عندما قال : « ينبغي التفريق بين ما يرتكب للضرورة الشعرية وما يؤتى به على السعة والاختيار ، فإذا اطمأنت النفس الى بناء القواعد على الصنف الثاني ، ففي جعل الضرورة الشعرية قانونا عاما للكلام نثره ونظمه الخطأ كل الخطأ ».

وقد أباح بعض النحاة الاحتجاج بالشعر أو النثر إذا كان معروف القائل، أما إذا كان مجهول القائل فلا يحتجون به ، وأشار الى ذلك الأنباري في نقده أحد الأبيات حيث قال : هذا بيت غير معروف ، ولا يعرف قائله ، فلا يكون حجة . (الانصاف ٢/٥٨٣) ولكن البغدادي يستثني من ذلك الحكم فيقول: إن صَدَرَ هذا البيت عن ثقة اشتهر بالضبط والاتقان كسيبويه وابن السراج والمبرد ونحوهم فهو مقبول يعتد به ولا يضر جهل قائله ، فان الثقة لو لم يعلم أنه من شعر يصح الاستدلال به لما أنشده . (الخزانة ٤/٧٣) والنحاة متفقون على أن ما يقاس عليه هو الكثير المطرد في لغات العرب الفصيحة ، فإن قل الشيء في هذه اللغات ، وخالف ما عليه بقية الباب فهو الشاذ الذي لايقاس عليه ، فإن كان المنطوق به قليلاً وهو كل ما تكلمت به هذه القبائل ، فإنه يقاس عليه مع قلته عند جميع النحاة ، لأنه كل ما تُكُلِّم به في بابه ، فإن كل لغة لقبيلة ، وان كان قليلاً بالنسبة للغات الأخرى قيس عليه باعتباره لغة قبيلة معينة وطريقة خاصة لها في التعبير .

ومن غرائب النحاة أنهم كثيرا ما يلمزون بعض النصوص بما يفهم منها أنها مصنوعة ثم لا يقلعون عن الاستشهاد بها قبل هذا اللمز وبعده ، مع اتسام ما في بعضها من ظواهر لغوية لمخالفة كبيرة للمألوف في كلام العرب فضلا عن ظهورها في الغالب بمظهر الشذوذ ، ناهيك عن الجهل المطبق بشعرائها، وربما كان منها ماهو نص مُوَلَّد . فقد نقل السيوطي عن المرزباني ان المولدين قد وضعوا أشعارا دسّوها على أئمة اللغة ، فاحتج بها هؤلاء ظنا منهم انها للعرب ، وقد ورد قول الشاعر :

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

فقد بنى النحاة شكهم في هذا الرجز على ما فيه من جمع بين لغتين متخالفتين في معرض واحد وهما : الاتيان بالمثنى بالالف في حالة النصب (والعينانا) ، والإتيان بالياء بالحالة نفسها ــ منخرين ــ والعربي القح لا يتكلم بغير لغة قبيلته . وحاول ابن مالك دفع الشبهة بالذهاب الى جواز الجمع بين اللغتين المختلفتين في كلام واحد .

اقسام الضرورة :

الضرورة شيء ثابت في أقوال العلماء استعملوها تعبيرا عن مخالفة الشاعر ما عليه الكلام في النثر وتبريرا لذلك ، وهي ثابتة راسخة في اقوال العلماء ، ولا عيب فيها ولا تخرج عن الفصاحة ما ندر جدا ، وقد قسموها الى أقسام عدة فمنها مصطلح الضرورة الحسنة والضرورة القبيحة ومنها : الضرورة الشائعة والضرورة الاقل شيوعا ، ومنها ضرورة النقص وضرورة الزيادة وضرورة التغيير الى غير ذلك من التسميات ، فالضرورة الحسنة : هي ما لا يستهجن ولا تستوحش منه النفس وذلك لشيوعه في اشعار القدماء. ومن أمثلة الضرورة القبيحة قول الشاعر :

إلى ربنا صوت الحمار اليجدعُ .

فقد الحق الشاعر « ال » التعريف التي هي من خصائص الاسماء للفعل المضارع « يجدع » ، وقد وصفه البغدادي في الخزانة (١٤/١) نقلا عن ابن السراج بأنه من أقبح الضرورات .

ــ قول الشاعر :

وكوني بالمكارم ذكريني ودلي دلَّ ماجدة صناع

فقد جاء خبر كوني جملة طلبية وهو غير جائز ، لان خبر كان هو خبر المبتدأ ، والخبر وصف للمبتدأ في المعنى وهو الذي يكمل المعنى . قال ابن

عصفور : جعل ذكريني في موضع مذكّرة وهو قبيح ، لان فعل الامر لا يقوم مقام الخبر في باب كان ، وإنما فعل ذلك لان كوني أمر في اللفظ ومحصول الامر منه لها إنما وقع على التذكير ، فلما كان في المعنى اثرا لا بتذكيره استعمل لفظ الامر • (مجلة كلية آداب الرياض / بحث محمد عبدالحميد ١٦٩) •

ـ قول الشاعر إمرىء القيس :

كأني بفتخاء الجناحين لقوة   صيود من العقبان طيطان شيمالي

فقد زاد امرىء القيس في كلمة شمالي الياء فأصبحت شيمالي وهي زيادة قبيحة لم يسمع به ولم يستعملها العرب من قبله •

ـ وقد أشرت في بداية الحديث عن الضرورة الى بيت لبيد عندما قال :

درس المنا بمتالع فأبان   فتقادمت بالحبس والسوبان

حيث حذف من الكلمة حروفا عديدة حتى يصعب معرفة مراد الشاعر وأنه اراد المنازل •

ـ وقمة الضرورة المستقبحة العدول عن صيغة الى اخرى كقول الحطيئة:

فيها الرماح وفيها كل سابغة   جدلاء محكمة من نسج سلام

أي سليمان بن داود عليه السلام ، وقوله سلام ويقصد سليمان فيه إجحاف كبير وإبهام اعظم ، ويحتاج الى وحي أو نبي حتى يعرف أن المقصود هو سليمان عليه السلام ، فقد صارت الكلمة بعد الحذف والزيادة صيغة اخرى ، وفي هذا من الابهام والبلبلة الشيء الكثير •

ـ ومنه قول الفرزدق :

ما انت بالحكم الترضى حكومته   ولا الاصيل ولا ذي الرأي والجدل

فقد أدخل « أل » التعريف على الفعل المضارع (ترضى) وهذا في غاية الخروج عن المألوف •

أما الضرورة الحسنة فهي كثيرة ، ومنها قد يكون لازما ولابد للشاعر من اللجوء اليه فرارا من محذور قد يرتكبه . ومن امثلة ذلك :

ــ ذهب الفراء الى جواز إيقاع الضمير المتصل بعد إلا في الاختيار بناء على بيت أنشده غير معزو الى قائل معين . وهذا البيت هو :

وما نبالي إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديّار

وقد عدّ البصريون الظاهرة اللغوية المشار اليها من الشواذ المردود الى ضرورة الشعر دون الاختيار ، بل لقد انكر المبرد وقوع مثلها في كلام العرب. وهذا يظهر التعارض بين البصريين والكوفيين في مبادىء الحكم على ظاهرة اتصال الضمير بالا ، وتقدير البصريين لقيمة السماع الكثير وامتهانهم للشاذ والنادر ، والوصول في بعض مواقفهم النقدية الى نفي مطلق لوقوع بعض الظواهر اللغوية في كلام العرب .

ــ ومنها قول الشاعر :

على حروف الدهر أو دولاتها يدلننا اللمة من لماتها
فتستريح النفس من زَفْرَاتها

فقد سكّن الشاعر عين « زفْراتها » مع أنه يجب اتباعها لان الفاء مفتوحة وهي ساكنة العين ، والقاعدة أنه إذا جمع الاسم الثلاثي الصحيح العين الساكن المؤنثة المختوم بالتاء أو المجرد عنها بألف وتاء أتبعت عينه فاءه في الحركة مطلقا .

ــ ومنها قول امرىء القيس :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك لويلات إنك مرجلي

فقد نون عنيزة وجرها بالكسرة مع أنها مؤنث ، وكان حقها المنع من الصرف ، فصرفت للضرورة .

ـ ومنها قول النابغة الذبياني :

فلتأتينك قصائد" وليدفعن جيشا إليك قوادم الاكوار

فنون قصائد على صيغة منتهى الجموع ممنوعة من الصرف وهذا حقها، ولكنه صرفها هنا للضرورة الشعرية وللمحافظة على الوزن الشعري ، لاننا لو لم نصرفه لصار متفاعلن الى متفاعلْ ، وهذا لا يجوز فيه على وجه ، فاذا كانت الضرورة على هذا النحو لم يكن بد من التزامها وإلا انكسر الشعر . والكسر لا يجوز ، والزحاف جائز في الشعر واسع جدا . وهذا النوع يؤكد ما ذهب اليه الجمهور من عدم اشتراط ألا يكون للشاعر عنه مندوحة في تعريف الضرورة (مجلة كلية الآداب / بحث محمد عبدالحميد ص ١٦١) .

وحاول النحاة والشعراء أن يعللوا الخروج عن المألوف ، فنرى ابن عصفور (ضرائر الشعر ص ١٣) يقول : إن الشعر لما كان كلاما موزونا ، تخرجه الزيادة فيه والنقصان منه عن صحة الوزن ، وتحيله عن طريق الشعر ، أجازت العرب فيه مالا يجوز في الكلام اضطروا الى ذلك أو لم يضطروا إليه ، لانه موضع أُلفتْ فيه الضرائر . وقد فهم الجمهور هذه الظاهرة بطريقة خطيرة حيث انهم قد وسعوا مدلول الضرورة لتكون سلاحا يشهرونه في وجه كل بيت يخالف قواعدهم أو يعجزون عن تخريجه وفي هذا من الخطورة ما فيه .

إن نقد الشاهد النحوي كثيرا ما يلفت النظر الى البيت المجهول القائل ، والمنسوب الى غير صاحبه ، والمصنوع المزيف والمصاب بالتغيير وتلوّن الرواية ، وهذه مشكلة من مشكلات النحو العربي ، ومجيء النظير القرآني دليل أكيد على صحة الظاهرة اللغوية في الشعر . فاذا لوحظ تناقص او تعارض ، فليس بعيدا أن يكون ذلك دليلا على مذهب خاص أو على خطأ في الشعر أو توهم أو مذهب نادر أو شاذ ..

والمنهج المعياري في دراسة الشواهد الشعرية يستقضي صاحبه ان يخضع ما يعرض له منها بالدرس والتقويم لنمطين من النقد :

الاول : نمط خارجي قوامه البحث عن شاعر الشاهد ، شخصه وقبيلته وبيئته ومنزلته في الفصاحة فضلا عن ناقل بيته ، وحظ هذا الناقل من الدقة وسلامة النقل ، ورصانة الحفظ . والمصادر التاريخية والادبية واللغوية كفيلة بأن تقدم معلومات لا يستهان بكثير منها في المجالات المذكورة كلها . نقول هذا وذخيرتنا الحاضرة من شروح الشواهد النحوية فيها من المادة الإخبارية والمعلومات والنصوص ما يعين إعانة كبيرة في تحقيق ما يصبو اليه الدارس . وكان البغدادي رحمه الله أكثر النحاة المتأخرين عناية بشواهد النحو والصرف. فقد قام بجهد طيب في تحقيق تلك الشواهد فقال : (خزانة الادب ١/٨) ... ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح ـ أي شرح الرضى للكافية ـ ومحصنا عن قائليها ، وميزنا الإسلامي عن الجاهلي ، والصحابي عن التابعي، وضممنا الى البيت ما يتوقف عليه معناه وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة اوردناها كاملة ، وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومنشأها ، كل ذلك بالضبط والتقييد ، ليعم النفع ، ويؤمن التحريف والتصحيف ، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه ...

وأخيرا لابد من القول أن ما خالف القواعد إذا ورد في شعر من يحتج بشعرهم سواء أكان في إمكان الشاعر تغييره الى ما يوافق القواعد أم لا ، ولم يكن ذلك لغة قوم فإنا نسميه ضرورة (مجلة الآداب ـ جامعة الرياض ص ٥٥) ، وهذا ما اتجهت فيه الآراء اتجاهات مختلفة ، حيث يرفضه بعضهم ، ولا يجيز القياس عليه بعضهم الآخر . ويرى الجمهور أن يكون للشاعر استعماله في السعة ، حتى أجازه بعضهم في النثر المسجوع ، ويرون وجوب كفالة الحرية للفنان في تعبيره عن احساسه وفكره من غير فرض قيود عليه تزيد من الاتصال التي يحتملها الفن .

وهناك شبه إجماع بين العلماء على وضع اسس للضرورة تتمثل بالآتي :

- أن يكون من الشعر الذي صح الاحتجاج به وعليه بنيت القواعد ، فما كان من هذا الشعر واجتمعت عليه الروايات الصحيحة ، وكان من كلام الفصحاء المشهود لهم ، فإنه يعد ضرورة إذا خالف المألوف من الاستعمال وبهذا نجد آراء المتقدمين الذين يقررون هذا مثل : القرطاجني . (منهج البلغاء وسراج الادباء ١٨٠-١٨١ / بتصرف) .

- لابد أن يكون الشعر الذي يقال فيه بجواز الضرورة معروف القائل . يقول السيوطي (الاقتراح ص ٧١ ، ٧٢) : لا يجوز الاحتجاج بشعر او نثر لا يعرف قائله ، وقد وردت نصوص استخدم فيها الشعراء الضرورة ، ولكن رد الاستشهاد بها لانها مجهولة القائل .

- إن موافقة الضرورة لبعض لغات العرب المشهورة لا تخرجها عن الضرورة عند الجمهور ، وليس من الضرورة أغلاط العربي وما جاء في تعبيراتهم مخالفا للاصول والقوانين الشائعة والتي اعتصم برعايتها فحول الفصحاء.

قضايا الضرورة :

سأتعرض في هذا القسم لقضايا الضرورة في شعر المتنبي حسبما اتجهت إليه أنظار الباحثين المهتمين بنصوص اللغة وما فيها من خفايا واسرار وما يعتورها من مظاهر ظنها الناس هنات أو نواحي قصور تغشي الوجه المشرق للشعر العربي ، أو تباعد بينه وبين استقرار الجمال فيه ، ونستطيع جمع هذه القضايا في أصول ثلاثة ترتبط أجزاء كل أصل منها بقرن واحد ، وبينها اواصر التشابه بحيث يمكن إرجاع كل فرع أو مثال الى أصل من هذه الاصول . وقد قسم ابن عصفور قضايا الضرورة الى : الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والبدل (ضرائر الشعر لابن عصفور ، تحقيق السيد إبراهيم محمد) وقد سار في إرجاع قضايا الضرورة في شعر المتنبي الى :

أ ــ ضرورات الزيادة ب ــ ضرورات النقص جـ ــ ضرورات التغيير • وهناك منهج آخر في معالجة الضرورات حيث تعاد الضرورات الى : ١ ــ ضرورات الزيادة ٢ ــ ضرورات الحذف ٣ ــ ضرورات التقديم •

وكل عنصر من هذه العناصر قسم الى جزئيات كثيرة حسب الضرورة التي وردت في الديوان ، وسأتحدث عما ورد في الديوان من ضرورات الزيادة ثم ضرورات الحذف ، وسأجمع بين تعبيري ضرورات التغيير وضرورات التقديم في مجال واحد • وقد اتخذت ديوان المتنبي الموسوم بـ : « العَرْف الطيّب في شرح ديواني أبي الطيب للشيخ ناصيف اليازجي » ، المجلدان الاول والثاني ، دار صادر ، بيروت (بلا تأريخ) مرجعا لي في إخراج الضرورات التي وقعت في شعر المتنبي •

وقد حرصت على الإيجاز في بيان الضرورة لان التفصيل يحيلني الى سرد مبادىء النحو في الموضوعات التي تعرض لها المتنبي ، وهذا التوضيح سيخرج بي عن الهدف وهو كتابة بحث لا تأليف كتاب •

ضـــرورات الزيـــادة :

ــ قال المتنبي :

ونديمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الاشياء

لفظ : نديمهم : اصلها ندمهم ، فأضاف الياء الى الكلمة لتصبح نديمهم وهنا لضرورة المحافظة على الوزن الشعري •

قال المتنبي :

فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يتصلْنَ لدُنه وأرحام مال لا تنى تتقطع

لَدُنّه : الاصل أن يقول : لَدُنْهُ بتسكين النون كما ورد في القرآن الكريم في قوله : « من لَدُنْهُ » وقوله تعالى « من لَدُنْ حكيم عليم » واوردها الشاعر هنا بالتضعيف للمحافظة على الوزن الشعري •

ـ قال المتنبي :

نحنُ مَنْ ضايَقَ الزّمَانُ له فيـ ـك وَخَانَتْهُ قُرْبكَ الايّام

ضايق الزمان له : المقصود من هذا التعبير : ضايقه الزمان ، فزاد اللام وهو من الشواذ المستهجنة ، لان هذه اللام لا تزاد إلا عند ضعف العامل .

ـ قال المتنبي :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

واحر قلباه : الالف للندبة ، والهاء للسكت ، زادها في الوصل ، وهو من الضرورات الخاصة بالشعر إذ « لا يجوز زيادة هاء السكت إلاّ في حالة الوقف : قال ابن مالك :

وواقفا زدهاء سكت إن ترد وإن ترد ما عدد الهاء لا تزد

ـ قال المتنبي :

وانا منك لا يهنىءُ عضوٌ بالمسرّات سائرَ الاعضاء

أثبت ألف أنا لفظا لضرورة الوزن ، لانها لا تثبت إلاّ في الوقف ، والاصل أن يقول : وأنّ منك ......

ـ وقال المتنبي :

أنا لائمي إن كُنْتُ وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم

انا لائمي : أي أنا لائم نفسي إن كنت ..... وأثبت ألف « أنا » ضرورة وعليه القول : وأنّ لائم ، لانها لا تثبت لفظاً إلاّ في الوقف وزاد الياء في لائم بدلا من معناها وهي النفس أي أنا لائم نفسي .

ـ وقال المتنبي :

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

الحواجيب : أراد الحواجب ، وللضرورة الشعرية أشبع حركة الجيم فنتج عن هذا الإشباع ــ الكسر ــ الياء .

ــ وقال المتنبي :

ومن مثل كافور اذا الخيل احجمت وكان قليلا من يقول لها أقدمي

أحجمت : تأخرت ، ويقال للفرس أقدم وهو زجر لها وحث على الإقدام ووصل الهمزة ضرورة .

ــ وقال المتنبي :

وصلت إليك يدٌ سواء عندها الباز الاشهب والغراب الابقع

ألباز : قطع همزة الوصل ، والاصل أن تكون موصولة ، وقطعها لضرورة الوزن الشعري ، لان همزة الوصل في الحروف هي الداخلة على « ال » وهو الحرف الوحيد الذي تدخله همزة الوصل ولكن الشاعر جعل « ألباز » بهمزة قطع مخالفاً ما اتفق عليه أهل اللغة .

٢ ــ ضرورات الحذف :

حذف همزة الاستفهام : الهمزة أصل أدوات الاستفهام ، ترد للتصور نحو : أمحمد أخوك أم خالد ؟ كما ترد للتصديق : أمسافر أخوك ؟ ومن احكامها : جواز حذفها سواء تقدمت عليها أم لم تتقدم ، وقد ورد في الشعر الكثير من حذفها ، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر : بسبع رمين الجمر ام بثمان . ويجوز حذفها إذا فهم المعنى ودل عليه قرينة الكلام .

ــ قال المتنبي :

شيمُ الليالي أن تُشككَ ناقتي صدْري بها أفضى أم البيداءَ

صدري : يريد الشاعر الاستفهام : اصدري ؟ فحذف همزة الاستفهام ، ودلّ على ذلك قوله : أم البيداء ، ولا تأتي أم إلاّ بعد الاستفهام ، ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

فوالله ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد : أبسبع

ـ وقول المتنبي :

لجنيّة أم غادة رُفعَ السجْف لوحشية ؟ لا ما لوحشية شَنْفُ

لجنيّة : ذكرها دون همزة الاستفهام ، والسياق يدل على انه اراد الاستفهام : ألجنيّة ؟ وحذف هنا للضرورة وللوزن الشعري ، وخاصة وجود أم المتصلة التي تشير الى همزة استفهام سابقة عليها .

ـ وقول المتنبي :

فأقبل يمشي في البساط فما درى الى البحر يمشي أم الى البدر يرتقي

الى : أراد أن يقول : أالى البحر ؟ لان أم تشير الى تقدم همزة استفهام ولكنه حذف همزة الاستفهام للضرورة الشعرية .

ـ وقول المتنبي :

لله قلبك ما تخاف من الردّى ويخاف أن يدنو إليك العار

ما تخاف : أصلها أما تخاف ؟ بهمزة الاستفهام لان سياق المعنى يدل على الاستفهام المقدر المحذوف ، ولكنه حذف الهمزة للضرورة .

ـ وقال المتنبي :

قد خلف العباس غرتك ابنه مرأى لنا والى القيامة مسمعا

ابنه : الاصل أن يقول يا ابنه بأداة النداء ، ولكن حذف حرف النداء لضرورة الحفاظ على الوزن الشعري ، وهو منادى مضاف ، وأجاز النحاة حــذف حرف النداء •

ــ وقال المتنبي :

شـديد الخـزاونـة لا يبالـي ... أصـاب اذا تنمـر أم اصـيبا

أصاب : الاصل أن يقول : أأصاب ، فحذف همزة الاستفهام للوزن الشعري ولضيق المقام ولوجود أم المتصلة التي تشعر بوجود استفهام مقدم •

ــ وقال المتنبي :

يظن أن فـؤادي غـير ملتهـب ... وأن دمع جفوني غير منسـكب

يظن : الاصل أن يقول : أيظن ؟ بهمزة الاستفهام ، ولكن حذفها حرصا علـى الوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

خذ من ثناي عليك مـا أسطيعه ... لا تلزمنيّ في الثناء الواجبـا

ثناي : الاصل أن يقول ثنائي بالهمزة ولكنه خفف الهمزة لضرورة الــوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

أظمتنـي الدنيـا فلما جئتهـا ... مستسقيا مطرت عليّ مصائبـا

أظمتني : الاصل أن يقول : أظمأتني بالهمزة ، فحذفها للوزن الشعري ، ولذلك لجأ الشاعر الى تخفيف الهمزة ثم حذفها •

ــ وقال المتنبي :

أحـاد أم سـداس في أحـاد ... ليلتنـا المنوطـة بالتنـادي

أحاد : الاصل أن يقول : أأحاد بهمزة الاستفهام ، لان أم المتصلة توحي بذلك إذ لابد من تقدم الاستفهام عليها ، ولكن حذفها للمحافظة على الوزن الشعري ، وهو يقع كثيرا في الشعر للضرورة •

ـ وقال المتنبي :

يا حاديْ غيرها وأحسبني أوجَدُ ميتاً قُبَيْل أفْقدُها

افقدها : الاصل أن يقول : أن أفقدها بنصب الفعل المضارع بأن ، ولكنه حذف أن ورفع الفعل المضارع فقال : أفقدُها ، وهذا للضرورة الشعرية •

ـ وقال المتنبي :

تمثلوا حاتما ولو عقلوا لكنت في الجود غاية المَثَل

حاتماً : الاصل أن يقول : تمثلوا بحاتم ، بذكر الباء الجارة ، لان الفعل لازم وتعدي بحرف الجر ، ثم حذف حرف الجر ونصب المفعول على نزع الخافض ، ولكنه حذفها للضرورة •

ـ وقال المتنبي :

نحن ركب ملجِنّ في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

ملجن : الاصل أن يقول من الجن ، فحذف النون لالتقاء الساكنين وللمحافظة على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

في رتبة حجب الورى عن نيلها وعلا فَسَمَّوْهُ عليّ الحاجبا

عليّ الاصل أن يقول : فسموه عليا بالتنوين والالف ، ولكن الشاعر حذف التنوين محافظة على الوزن الشعري وللاضافة ، إذ لو لم يُنَوِّن عليّا لقال عليّ الحاجب •

ـ وقال المتنبي :

جلَلاً كما بي فَلْيَكُ التبريح أغذاءُ ذا الرّشأ الاغن الشيح ـ

فَلْيَكُ : الاصل ان يقول : فليكن ، حذف النون لسكونها وسكون التاء في التبريح لانها قد ضارعت بالمخرج والسكون والغنة حروف المد ، فكان ينبغي أن لا يحذفها ، ولكنه لم يعتد بالحركة في النون . وفيه قبح آخر وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا .

ـ وقال المتنبي :

وما عشت ما ماتوا ولا ابواهم تميم بن مر وابن طابخة ادّ

ما ماتوا : الاصل أن يقول : فما ماتوا ، فحذف الفاء للضرورة ، والاجود وجودها ومثله قول الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشرّ عند الله مثلان

ـ وقال المتنبي :

مرتك ابن إبراهيم صافية الخمر وهنئتها من شارب مسكر السكر

مرَتْكَ : أصلها مرأتك ، حذف الهمزة لانهم لا يقولون مرأني إلاّ مع هنأني ومرأني للاتباع ، فاذا افردوا قالوا : امر أني ففيه ضرورتان .

ـ وقال المتنبي :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

هذي : الاصل أن يقول : يا هذه ، ولكن حذف ياء النداء للضرورة الشعرية . ومن المعروف أن حذف النداء مع اسم الاشارة قليل .

ـ وقال المتنبي :

أطعت الغواني قبل مطمع ناظري إلى منظر يصغرن عنه ويعظم

الغواني° : الاصل أن يقول الغواني بالنصب لانه اسم منقوص ، والاسم المنقوص تظهر عليه حركة الإعراب في النصب وتقدر للثقل في الرفع والجر ، وأسكنها هنا للضرورة •

ـ وقال المتنبي :

خاص الحمام بهنَ حتى ما دُري° أمن احتقار ذاك أم نسيان

دُري° : الاصل أن يقول : دُري : فعل ماضي مبني للمجهول مبني على الفتح، ولكن الشاعر أورده بتسكين آخر الفعل بدل البناء لضرورة المحافظة على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

إذا شاء أن يلهو° بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق

يلهو° : الاصل أن يقول : أن يلهو بنصب الفعل المضارع بأداة النصب لانه معتل بالواو ، والمعتل بالواو يظهر النصب عليه ، ولكن اسكن الواو للمحافظة على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا

جلابيا : الاصل أن يقول : جلابيب ، ولكن حذف الحرف الاخير للوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

وإنْك° بالامس كنت محتلما شيخ معد وأنت أمردها

وإنْك : الاصل أن يقول : وإنّك بالنون المشددة الاصلية ولكن خفف النون للمحافظة على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

وقبْل يَرى من جوده ما رأيته ويسمع فيه ما سمعت من العذل

يرى : الاصل أن يقول : أن يرى ، فحذف أن الناصبة والدليل قوله ويسمع بالعطف نصباً على يرى ، وحذف أداة النصب للمحافظة على الوزن الشعري.

ـ وقال المتنبي :

لله ما فعل الصوارم والقنا في عمر وحاب وضبّة الاغنام

وحاب : الاصل أن يقول : وحابس ، ولكنه رخمها فحذف السين دون ان يكون هناك نداء ، وقد يكون للمحافظة على الوزن الشعري ، ولا تنطبق شروط الترخيم على حابس في البيت .

ـ وقال المتنبي :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد

وبنوه : الاصل أن يقول : مضى الرجل وبنوه بعطف بنوه على فاعل الفعل مضى ، ولكنه حذف فاعل الفعل ، وعطف بنوه على الفاعل المستتر للضرورة الشعرية . والاصل عطف مفرد على مفرد أو جملة على جملة ، وعطف ظاهر على ظاهر ، وهذا مخالف للقاعدة .

ـ وقال المتنبي :

عزيز إسا من داؤه الحدق البخل عياءٌ به مات المحبّون من قبل

إساً : دواء ، والإساء : الدواء وأصله الإساء بالمد فقصره للضرورة الشعرية .

ـ قال المتنبي :

ولكن نفاها عن غير كريمة كريم الثنا ماسُبّ قط ولا سبّا

الثنا : الاصل أن يقول الثناء بالمد ، وهو اسم من اثنى عليه اذا وصفه بخير او شرّ وغلب في المدح ، وقصره هنا للضرورة الشعرية •

ـ وقال المتنبي :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمُه   بأن تسعدا والدّمع أشفاه ساجمه

تسعدا : الاصل ان يقول تساعدا لانه بمعنى تسعدا ، والباء متعلقة بوفاء ، وهو من الضرورات القبيحة ، لان الاسم لا يخبر عند إلاّ بعد تمامه • بعد

ـ وقال المتنبي :

تُهَنّا بصُور أم نهنّئها بكا   وقل الذي صُور" وأنت له لكا

تهنا : الاصل أن يقول : أتهنأ بهمزة الاستفهام وهمز الالف في آخر الكلمة ، فحذف همزة الاستفهام ثم خفف الهمزة على الحرف الاخير وأصلها تهنأ ثم أوردها تهنّا وذلك حرصا من الشاعر على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

لنَا ولاهله أبداً قلوبٌ   تَلاَقى في جسوم ما تَلاَقى

تلاقى : الاصل أن يقول تتلاقى ، ولكنه حذف التاء حرصا على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

تجفّلُ الموج عن لبّات خيلهم   كما تجَفّلُ تحت الغارة النَّعَمُ

تجفل : التجفل : الإسراع في الهرب ، والاصل أن يقول : تتجفل في شطري البيت فحذف إحدى التاءين ضرورة المحافظة على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

وعيني إلى أذني أغرّ كأنّه   من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ

باق : الاصل أن يقول باقي" ، سكّن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين وكل ذلك للمحافظة على الوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

بيضاء يمنعها تكلّم دلها   تيها ويمنعها الحياء تميسا

تكلم ، تميسا : الاصل أن يقول : أن تتكلم وأن تميسا ، ولكنه حذف اداة النصب للمحافظة على الوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

ملك إذا عاديت نفسك عاده   ورضيت او حسن ما كرهت أنيسا

عاده : الاصل أن يقول : فعاده ، لان هذا الفعل أمر ، وتقدم اداة شرط وهو جواب الطلب ، فوجب اتصاله بالفاء ، ولكنه حذفها لضرورة الوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

فيا ليلة ما كان أطول بتها   وسُم الافاعي عَذْبٌ ما أتجرع

ما أطول : الاصل أن يقول : ما كان أطولها فحذف الضمير للمحافظة على الوزن الشعري وهو ضرورة •

وفي حذف الحرف يقول المتنبي :

وكل شواة غطْريف تمني   لسيرك أن مفرقها السبيل

تمنى : أصلها تتمنى ولكن الشاعر حذفها لضرورة المحافظة على الوزن الشعري •

٣ ــ ضرورات التغيير او التقديم :

ــ قال المتنبي :   [صرف الممنوع]

أتنكر يابن إسحاقٍ إخاني   وتحسب ماء غيري من إنائي

إسحاقٍ : الاصل أن يقول إسحاق لانه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ولكن الشاعر هنا صرفه فنونه للضرورة الشعرية •

ـ وقال المتنبي :

وحمدانُ حمدونٌ وحمدون حارث   وحارث لقمانٌ ولقمان راشد

حمدون ، ولقمان فحمدون : ممنوع من الصرف لصيغة الجمع ، ولقمان : ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، الاصل أن يمنع الاسماء من الصرف ولكنه صرفهما للضرورة الشعرية •

ـ وقال المتنبي :

أو ابن ابنه الباقي عليّ بن أحمدٍ   يجود به لو لم أُجز وبدي صفر

أحمد : علم ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، والاصل أن يقول : بن أحمدَ ولكنه نونه في البيت للضرورة الشعرية وللحفاظ على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ   كأنهم من طول ما التثموا مُرْدُ

ومشايخ : ممنوع من الصرف لانه جاء على صيغة منتهى الجموع ، وقد صرفها الشاعر هنا فنونها حفاظا على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

هبك ابن يزداذٍ حطمت وصحبه   أثرى الورى أضحوا بني يزداذا

يزداد : ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، ولكن الشاعر صرفه فنونه وذلك لضرورة المحافظة على الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي   [منع الصرف]

سدَت عليه المشرفية طرقهُ   فانصاع لا حلباً ولا بغدادا

بغدادا : اسم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، والاصل أن يقول : بغداد ولكنه صرفه حفاظا على الوزن الشعري وللضرورة الشعرية •

ــ وقال المتنبي :

وأطمع عامرَ البقيا عليهم ونزقها احتمالك والوقار

عامرَ : الاصل أن يقول عامرا بالتنوين ولكن الشاعر هنا منعها من الصرف مع عدم وجود علة المنع ــ والحجة الضرورة الشعرية والمحافظة على وزن البيت •

ــ وقال المتنبي :

إلى واحد الدنيا إلى ابن محمد شجاعَ الذي لله ثم له الفضل

شجاعَ : الاصل أن يصرفها ، ولكنه منعها من الصرف للضرورة الشعرية وإقامة الوزن الشعري ، وهي صفة لمحمد والاصل أن يقول شجاع بالتنوين•

ــ وقال المتنبي :

إلى البدر بن عمّارَ الذي لم يكن في غرّة الشهر الهلالا

عمارَ : الاصل أن يقول بن عمار بالتنوين فهي مصروفة ، ولكن الشاعر منعها من الصرف وذلك للوزن الشعري وهو ضرورة •

اسكان عين جميع المؤنث السالم :

من أسهل الضرورات تسكين عين الفعل في جمع المؤنث السالم ــ بالالف والتاء ــ حيث يجب الاتباع ، إذ القاعدة تقول : إذا جمع الاسم الثلاثي الصحيح العين الساكنها المؤنث المختوم بالتاء أو المجرد عنها بالف وتاء ، أتبعت عين فاءه في الحركة مطلقا كقولنا : زَفْرَة : زفرات وقد جاء المتنبي بالعديد من الابيات الشعرية التي خالف بها هذه القاعدة فسكين العين بدل فتحها منها :

ــ وقال المتنبي :

إلى القابض الارواح والضيغم الذي   تحدث عن وقفاته الخيل الرجل

وَقْفَاته ، الرَّجْلُ : الاصل : أن يكون بتحريك القاف والجيم فيقال : وَقَفَاته والرَّجُلُ ، ولكن الشاعر سكن الحرفين للحفاظ على الوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

أفدي المودَّعة التي أتبعتها   نظراً فرادى بين زَفْرَات ثنا

زَفْرَات : الاصل أن يقول زَفَرات بالتحريك ، ولكن الشاعر سكنها لضرورة الوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

وقد فجعته بابنه وابن صهره   وبالصهر حَمْلات الامير الغواشم

حَمْلات : الاصل أن يقول حَمَلات بفتح الميم للعلة السابقة ، ولكن الشاعر سكنها هنا للمحافظة على الوزن الشعري •

ــ وقال المتنبي :

اذا توافقت الضرْبات صاعدة   توافقت ملءَ اليوم فوقهم

الضَرْبات : بالتسكين والاصل الفتح للقاعدة السابقة فيقال ، الضربات وسكنها الشاعر هنا للضرورة الشعرية •

ــ وقال المتنبي :

ترفع عن عُون المكارم قدره   فما يفعل الفَعْلات إلاّ عذاربا

الفَعْلات : الاصل أن يقول الفَعَلات للعلة السابقة ، ولكن سكن العين للضرورة •

ـ وقال المتنبي :

ولا نبحت خيلي كلاب قبائل   كأن بها في الليل حَمْلات دَيْلم

حَمْلاَت : الاصل أن يقول حَمَلات بالفتح للعلة السابقة ولكن سكنها للضرورة .

ـ وقال المتنبي :

يروى صدى الارض من فَضْلات ما شربوا
محض اللقاح وصافي اللون سلسال

فَضْلات : الاصل أن يقول فَضَلات بالفتح للعلة السابقة ، ولكنه سكنها للضرورة .

اسكان الياء في المنقوص والفعل المعتل بالياء :

يرى النحاة أن إعراب الاسم المنقوص يكون مقدرا للثقل في حالتي الرفع والجر ، ويظهر في حالة النصب ، وكذلك الحال مع الفعل المعتل ، فإن حركة الرفع مقدرة للثقل في حالة الرفع ، ويجب أن تظهر في حالة النصب وهذا موافق عليه من قبل النحاة ، وتذكره كتب النحو ، إلاّ أن المتنبي وللضرورة الشعرية يسكن الاسم المنقوص وكذلك يسكن الياء من الفعل المعتل الياء للضرورة الشعرية ومما قاله :

ـ وأمست تخبرنا بالنقاب   واديْ المياه وواديْ القرى

واديْ : مفعول به للفعل « تخبر » والمفعول به منصوب يجب أن تظهر الفتحة لانه منقوص منصوب ، سكن الياء للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها   ويجهد أن يأتي لها بضريب

يأتيْ : فعل مضارع منصوب بأن ، والمفروض أن تظهر الفتحة فيقول «يأتيَ» ولكن الشاعر سكنها للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

رموا بنواصيها القسيّ فجئنها دوامي الهوادى سالمات الجوانب

دواميْ : حال منصوب ، ولما كان الاسم منقوصا وفي حالة النصب ، وجب إظهار الحركة فيقال « دواميَ » ولكن الشاعر سكنها للضرورة .

ـ وقال المتنبي :

وإن يكذب الارجاف عنه بضده ويمسي فما تنوي أعادية أسعدا

ويمسيْ : معطوف على يكذب منصوب ، والاصل أن يمسيَ ولكن الشاعر سكن الفعل المعتل بالياء فقال : يمسيْ بدل النصب للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

ألا أذن فما أذكرت ناسيْ ولا لينت قلباً وهو قاسٍ

ناسيْ : مفعول به للفعل ذكرت ، والاصل أن يقول ناسياً بالفتح والتنوين ولكن الشاعر أسكن الياء فقال ناسيْ للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

تفيت الليالي كل شيء أخذته وهن لما يأخذن منك غوارم

الليالي : مفعول به للفعل تفيت ، والاصل أن يقول اللياليْ باظهار الحركة ولكن الشاعر سكن الياء للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

وعيني إلى أذني أغرّ كأنّه من الليل باق بين عينيه كوكب

باق : أصلها باقي ، حيث أسكن الشاعر الياء للضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين .

ـ وقال المتنبي :

طردت من مصر أيْديْها بأرجلها حتى مرقن بها من جَوْسن العلم

أيديْها : مفعول به للفعل طردت ، والاصل أن يقول أيديَها بفتح الياء لانه اسم منقوص ولكن الشاعر أسكن الياء للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

ونرمي نواصيها من اسمك في الوغى بأنفذ من نشابنا ومن النبل

نواصيْها : مفعول به للفعل ترمي ، والاصل أن يقول : نواصيها لانه منقوص تظهر حركته في حالة النصب ، ولكن الشاعر أسكن الياء للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

إذا شاء أن يلهوْ بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق

يلهوْ : فعل مضارع معتل الآخر بالواو منصوب بأداة النصب أنْ والمفروض أن تظهر الحركة الإعرابية فتقول : أن يلهو ولكن الشاعر أسكن الواو للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

ألم يحذروا مسخ الذي يمسخ العدا ويجعل ايدي الاسد ايدي الخرانق

أيديْ : مفعول به للفعل يجعل منصوب ، والاصل أن تظهر الحركة لانه اسم منقوص في حالة النصب ولكن الشاعر أسكن الحرف (الياء) للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

ولا إلاّ بأن يُصْغيْ وأحْكيْ فليتـه لا يتيمّه هَوَاكـا

يصغيْ وأحكيْ : فعلان مضارعان منصوبان بأداة النصب « أن » والاصل أن تظهر الحركة فنقول : يصغيَ وأحكيَ ولكن الشاعر أسكن الحرف الاخير لضرورة المحافظة على الوزن الشعري .

ـ وقال المتنبي :

أسائل عنك بعدك كل مجدٍ وما عهدي بمجدٍ عنك خاليْ

خاليْ : تاتي حالا يسد مسد الخبر ، والحال منصوب ، والاصل أن يقول : خالياً ولكن الشاعر أسكن الياء للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي : [الفصل بين .... وبين]

وجلا الوداع من الحبيب محاسنا حسن العزاء وقد جلبن ـ قبيح

وقد جلبن : الاصل أن يقول الشاعر : حسن العزاء قبيح مبتدأ وخبر ، ولكن الشاعر فصل بين المبتدأ ـ حسن العزاء ـ وبين الخبر ـ قبيح ـ بفاصل أجنبي وهو « وقد جلبن » وذلك لضرورة الوزن الشعري ، وقد اعتاد الشعراء على الفصل بين متلازمين بأجنبي .

ـ وقال المتنبي :

أني يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

والثقلان أنت : الاصل إلاّ تفصل هذه العبارة بين المبتدأ ـ أبوك ـ وبين الخبر ـ محمد ـ وسلك الشاعر هذا محافظة على الوزن الشعري .

ـ وقال المتنبي :

أي الملوك ـ وهم قصدي ـ احاذره واي قرن وهم سيفي وهم ترسي

وهم قصدي : الاصل إلاّ تكون هذه الجملة الاسمية فاصلة بين المبتدأ ـ أي الملوك ـ وبين الخبر ـ أحاذره ـ ولكن الضرورة أجبرت الشاعر على هذا الفصل .

المجد أحسر والمكارم صفقة   وبنات أعوج كل شيء يجمع

والمكارم : الاصل أن يقول الشاعر : أحسر صفقة ، ولكنه فصل بين المضاف والمضاف اليه باجنبي وهو ـ المكارم ـ وذلك للضرورة الشعرية والوزن الشعري .

ـ وقال المتنبي :

إن القتيل مضرجا بدموعه   مثل القتيل مضرجاً بدمائه

إن القتيل : الاصل أن يقول : إن القتيل مثل القتيل ، ولكن الشاعر فصل بين اسم إن وخبرها بأجنبي وهو قوله « مضرجاً بدموعه » وهذا للحفاظ على الوزن الشعري .

ـ وقال المتنبي :

وإني وإن كان الدفين حبيبه   حبيب إلى قلبي حبيب حبيبي

إني حبيب : الضمير الياء اسم إن ، وحبيب خبر إن ، والاصل ألاّ يكون فاصل بينهما ، ولكن الشاعر فصل بينهما بأجنبي بجملة الشرط وإن كان الدفين حبيبه وضرورة الشاعر والوزن الشعري جعلا الشاعر يسلك مثل هذا السلوك .

ـ وقال المتنبي   [اسم إن واسم كان نكرة]

وإن محالا إذ بك العيش أن أرى   وجسمك معتل وجسمي صالح

محالاً : اسم إن وجاء نكرة والاصل أن يكون معرفة لان الاصل فيه مبتدأ، ولا يجوز الإبتداء بالنكرة إلا لاسباب ، واستعمل الشاعر هنا النكرة للضرورة

ـ وقال المتنبي :

فمتي يكذب مدّع لـك فوق ذا والله يشـهد أن حقاً ما ادعـى

حقاً : اسم إن وهو نكرة وهذا غير جائز ، إذ أن أسم إن هو مبتدأ في اصله، ولا يأتي المبتدأ نكرة ، وأورده الشاعر هنا للضرورة الشعرية •

ـ وقال المتنبي :

وكـأن برقـاً في متون غمـامة هنـدية في كفـه مسـلولا

برقاً : اسم كأن ، وجاء نكرة والاصل أن يكون معرفة ، إذ أن أصله مبتدأ ، والمبتدأ لا يأتي نكرة ، وأورده الشاعر هنا للضرورة الشعرية والخبر معرفـة « هندية » •

ـ وقال المتنبي :

في الشرب جارية من تحتها خشب ما كان والدَها جنّ ولا بشـر

والدها : خبر كان مقدم ، واسمها جنٌ وهو نكرة ، والاصل أن يكون معرفة لانه في اصله مبتدأ ، والمبتدأ لا يكون نكرة وجاء هنـا نكـرة للضـرورة الشـعرية •

ـ وقال المتنبي : [اسكان المتحرك]

رواميْ الكفاف وكبد الوهـاد وجـار البويـرة وادي الغضـا

روامي : الاصل أن تكون متحركة ولكن الشاعر سكنها للضرورة الشـعرية وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم روامي ، ولا تظهر الحركة الإعرابية لثقلها•

ـ وقال المتنبي :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولـد نسـلها حـواء

هو : الاصل أن يكون بالتحريك فيقال هَوْ ولكن الشاعر سكنه لضرورة الوزن الشعري •

ـ وقال المتنبي :

ولم لايقي الرحمن حدبيك ماوقي   وتفليقه هام العدى بك دائم

لِمْ : استفهام إنكاري والاصل أن يقول لِمْ بفتح الميم ، وأسكنها الشاعر للضرورة الشعرية •

ـ وقال المتنبي :

أين البطاريق والحلف الذي حلفوا   بمفرق الملك والزعم الذي زعموا

المَلْك : بتسكين اللام ، والاصل التحريك المَلِك ، وسكنها الشاعر للمحافظة على الوزن الشعري

ـ وقال المتنبي :

وغير كثير أن يزورك راجل   فيرجعَ مَلْكاً للعراقيين واليا

مَلْكا : بالتسكين والاصل أن يقول مَلِكا بالتحريك ولكنه سكنها للضرورة الشعرية •

ـ وقال المتنبي :

ليس كما ظَنَّ غشية" لحقت   فجئتني في خلالها قاصد

قاصدْ : حال منصوب والاصل أن تكون منصوبة ، ولكن سكنها للضرورة •

ـ وقال المتنبي :   [استعمال الفاظ في غير مكانها]

أشدَّ عصف الرياح يسبقُه   تحتي من خطوها تأوُّدُها

التأود : التمايل ، والاصح أن يكون تؤدها من التؤدة وهي بمعنى التمهل •

والتأود : هو استعمال الكلمة في غير مكانها وقد تكون الضرورة هي التي أجبرته على هذا الاستعمال .

ـ وقال المتنبي :

وردنا الرُّهَيْمة في جوزه　　وباقيه أكثر مما مضى

جوزه : المراد هنا صدر الليل لقوله : وباقيه أكثر ، فإذا كان الباقي اكثر من الماضي ، وكان الجوز هنا هو صدر الليل ، وصدر الليل لا يسمى جوز الليل ، لذا اخطأ أبو الطيب لمّا قال : « في جوزه » ثم قال : وباقيه اكثر كيف يكون باقيه أكثر وقد قال في جوزه ؟ .

ـ وقال المتنبي :

إن كان قد ملك القلوب فإنه　　ملك الزمان بأرضه وسمائه

سمائه : مبالغة ، حيث أراد الشاعر أن يقول أن الممدوح قد ملك الزمان بعلوه وبسفله أي وبالمنطقة السفلى ، ولكن كنى عنها بأرضه وسمائه ، وهذا لا يؤدي المعنى المراد .

ـ وقال المتنبي :

فلا زلت ألقى الحاسدين بمثلها　　وفي يدهم غيظ وفي يدي الرفد

يدهم : الاصل أن يقول أيديهم وهي للجمع ولكن عبر عنها بالإفراد وذلك للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

حشاي على جمر ذكي من الهوى　　وعيناي في روض من الحسن ترتع

ترتع : جملة فعلية خبر عن عيناي المثني ، ولكنه عبّر بالإفراد عن المثني وكان من المفروض أن يقول : ترتعان ـ وجاء بصيغة الإفراد للضرورة الشعرية .

ـ وقال المتنبي :

حتى وصلت بنفس مات اكثرهـا   وليتني عشت منها بالذي فضـلا

عشت : الاصل أن يقول الشاعر : ليتني اعيش ولكنه عبّر عن المضـارع بصيغة الماضي فقال عشت ، ولو عبّر بالمضارع لاختل الوزن الشعري .

ـ وقال المتنبي :

خلت البـلاد من الغزالة ليلهـا   فأعاضـهَاكَ الله كي لا تَحْزَنـا

فأعاضهاك : أي جعلك الله لها عوضاً عن الشمس ، والضمير للبلاد ، والاصـل أن يقول : أعاضها إياك لتقدم ضمير الغائب على المخاطب ، فعدل عنه لاقامـة الوزن وهو للضرورة .

ـ وقال المتنبي :

لـم تـر مـن نادمـت إلاكـا   لا يسـوى وُدّكَ لـي ذاكـا

إلاك : الاصل أن يقول إلا إياك ، لان ورود ضمير النصـب المتصـل مع إلا نادر وفي الضرورة فقط ، فالضمير لا يتصل الا بعامله .

ـ وقال المتنبي :

ليـس إلاك يـا علـى هُمَامُ   سـيفهُ دون عرضـه مسـلول

إلاك : أصلها إلا إياك ، فوصل الضمير بإلا للضرورة . ومثله البيت السابق .

ـ وقال المتنبي :   [وضع كلمات في غير مكانها]

وللنفس أخلاق تـدل على الفتى   أكان سخاء" ما أتـى أم تسـاخيا

أكان سخاء : الاصل أن يقول أسخاء كان ... وذلك أن ما يأتي بعد همـزة الاستفهام يجب أن يكون من نوع ما يأتي بعد أم المتصلة ، وشرط أم المتصلة

أن يكون اللفظ بعدها من جنس اللفظ الذي أتى بعد همزة الاستفهام ، ولكن الشاعر هنا قدم وأخر للمحافظة على الوزن الشعري •

ــ وفي استعمال الحروف استعمال الاسماء قال المتنبي :

أمضى إرادتــه فسوف له قــدٌ واستقرب الاقصى فثمّ له هنُنا

قد : حرف تحقيق أو تشكيك حسب وروده في الجملة ، والحروف كلها مبنية ، ولكن الشاعر هنا نوّنه ، والتنوين هو من علامات الاسماء • ولولا التنوين لانكسر الوزن الشعري للبيت ، فاضطر الشاعر لتنوينه فرارا من خلل الوزن •

ــ وفي استعمال المتعدي بدلا من اللازم قال المتنبي :

قلق المليحة وهي مسْكٌ هتكها ومسيرهــا في الليــل وهي ذكاء

هتكها : مصدر من فعل متعد وهو هتك ، يقول مصطفى السقا المحقق : ولو أتى بمصدر لازم لكان اقرب الى الفهم بإن قال : انتهاكها ، ولكنه راعى الوزن للضرورة •

ــ قال المتنبي : [ابدال حرف من حرف]

ولو نقصت كما قد زدت من كرم على الورى لرأوني مثل شانيكا

شانيكا : الشاني : الاصل أن يقول الشانيء بالهمزة فليّن الهمزة وأبدلها بالياء فقال : شانيكا ، وذلك لضرورة المحافظة على الوزن الشعري •

ــ قال المتنبي : [تقديم حرف على حرف آخر]

كيف ترثي التي ترى كلّ جفــن راءهــا غير جفنهــا غير راقــي

راءها : الاصل أن يقول رآها ، قدم الالف وأخر الهمزة للضرورة الشعرية •

ــ وفي [إعمال الحروف غير ما تعمل] ، فقد أعمل إذا وهو ظرف لما يستقبل

من الزمان متضمن معنى الشرط ولكنه لا يجزم ، فقد اعملها الشاعر هنا خروجا على المألوف يقول :

فيها إذا يُشْغَ له لا يغْزَل ... مؤجَّد الفقرة رِخْوَ المَفْصل

يُشْغَ : يغزل : جزمهما الشاعر فعل وجواب الشرط لإذا لتضمنها معنى الشرط وهذا من التجاوزات الخاصة بالشعر للضرورة .

ـ قال المتنبي : [إضافة الشيء الى غير مكان وأصله]

لبَيْ ندائك لقد نادى فأسْمَعني ... يفديك من رجل حجى وأفديكا

لبّيّ : لفظ يراد به المثنى ، والاصل إضافته الى ضمير المخاطب ، يقال للداعي : لبيك ولم يسمع إضافته الى غير ضمير المخاطب ، وقد اضافه المتنبي الى ياء المتكلم وهو شاذ .

ـ قال المتنبي : [ومن استعمال الهمزة في غير مكانها]

أهذه قابلتك راقصة ... أمْ رَفعَت رجْلَها من التَّعب

أهذه ...... أم : القاعدة النحوية انه لابد من التوافق بين ما بعد الهمزة وما بعد أم فإما أن يكونا فعلين أو أسمين ، وأتى المتنبي بالفعل بعد أم ، وكان الاحرى به أن يقول أقابلتك هذه ، ولكنه عدل عن الاستعمال الصحيح للضرورة الشعرية .

ـ قال المتنبي : [ومن تأنيث المذكر]

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم ... وألف إذا ما جمعت واحد فرد

ما جمعت : أنث الشاعر الفعل هنا مع أن المراد لفظ ألف وهو مذكر . ويخرّج على أنه اراد بالالف جماعة وفي هذه الحالة لا خروج عن المألوف .

ـ قال المتنبي : [ومن تذكير المؤنث]

وبمهجتي يا عاذلي الملك الـذي أسخطت كل النـاس في إرضائه

يا عاذلي : الاصل أن يقول يا عاذلتي ، لانه سبق ان ذكر العواذل في البيت السـابق •

عـذل العواذل حول قلب التائه وهوى الاحبة منه في سـودائه

وأراد الشاعر : يا منْ يعذلني ، ومنْ تقع لإبهامها على الواحد والاثنين والمذكر والمؤنث والجمع • أو كأنه خاطب واحدة من العواذل بخطاب المذكر فقال يا عاذلي ، أو أراد إنساناً عاذلاً ، والإنسان يقع على المذكر والمؤنث •

ــ قال المتنبي : [ومن تذكير المؤنث]

ليس بالمنكر أنْ بـرَزْت سبقاً غيرُ مدفوع عن السبقْ العراب

مدفوع : الاصل أن يقول غير مدفوعة عن السبق العراب ، كما نقول : هند غير مصروفة وذكّرها هنا للضرورة •

ــ وفي تخفيف إنَ للضرورة قال المتنبي :

وأنْك بالامـس كنت محتلمـاً شيخ معَـد وأنـت أمردهـا

وأنْكَ : الاصل أن يقول وأنك بالتشديد ، فخفف مع الضمـير ضرورة ، وأنّ إذا خففت حذف اسمها وجوباً واستبدله بضمير الشأن المحذوف ، وهنا مخالفة نحوية التخفيف دون سبب والاتيان بها مع الضمير وهذا شـاذ للضرورة • وما ورد عن العرب أن الحروف المشبهة بالفعل إذا خففت جـاء اسمها محذوفاً وذلك في تخفيف أنّ وكأنّ • وذلك مثل :

وصـدر مشرق اللـون كـأن ثديـاه حقـان

والضمائر ترد الاشياء الى أصولها •

ــ قال المتنبي [في تخفيف الهمزة]

كلما رُمْتَ لونه منع النـ ـاظر مَوْجٌ كأنّه منْكَ هازي

هازي : الاصل أن يقول هازيء بالهمز ، لكن خفف الهمزة فحذفها حفاظـاً على الوزن الشعري .

وبعد : هذه نماذج من الضرورات النحوية في شعر المتنبي أشرت اليهـا والى القضايا التي حدت بالمتنبي الخروج عنها للمحافظة على الوزن الشعري. أرجو أن أكون قد قدمت شيئاً مفيـداً لدارسـي العـربية عامـة ودارسـي المتنبي خاصة .



المصـادر والمراجـع

- احياء النحو ، ابراهيم مصطفى ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
- اخبار النحويين البصريين ، ابو سعيد السيرافي ، تحقيق طـه الزينـي ، القاهرة ١٩٥٥م .
- الاشباه والنظائر في النحو ، السيوطي ، حيدر اباد ١٣٥٩هـ .
- أصول التفكير النحوي ، د. علي ابو المكارم ، بيروت ١٩٧٣م .
- أصول النحو العربي في نظر النحاة ، د. محمد عيد ، القاهرة ١٩٧٣م .
- اعجاز القرآن ، الباقلاني ، تحقيق احمد صقر ، القاهرة ١٩٧٧م .
- الاعلام ، خير الدين الزركلي ، القاهرة ١٩٥٤–١٩٥٩م .
- الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق د. احمد محمد قاسم ، القاهـرة ١٩٧٦م .
- امالي الزجاجي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٨٣هـ .
- امالي القالي ، تحقيق محمد عبدالجواد الاصمعي ، القاهرة ١٩٢٦م .
- الانصاف في مسائل الخلاف ، للانباري ، تحقيق محمد محيي الديـن عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٥م .
- تجديد النحو العربي ، د. عفيف دمشقية ، بيروت ١٩٧٦م .
- التطور اللغوي التأريخي ، د. ابراهيم السامرائي ، القاهرة ١٩٦٦م .

- تهذيب اللغة ، أبو منصور الازهري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٧م .
- ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، هدى الارناؤوطي ، بغداد ١٩٧٧م .
- حاشية الصبان على شرح الاشموني ، القاهرة ، غير مؤرخ .
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، البغدادي ، القاهرة ١٢٩٩هـ
- الخصائص ، ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٦م
- ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، القاهرة ١٩٣٨م .
- زهر الآداب وثمر الالباب ، الحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٥٣م .
- سر صناعة الاعراب ، ابن جني ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٥٤م.
- شرح التسهيل ، ابن مالك ، تحقيق د. عبدالرحمن السيد ، القاهرة ١٩٧٤م .
- شرح الكافية ، الرضى الاستراباذي ، استنبول ١٣٧٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- شرح المفصل ، ابن يعيش ، القاهرة ، غير مؤرخ .
- الضرورة اللغوية ، سيد ابراهيم ، دار الاندلس ، بيروت (بدون تاريخ).
- الضرورة الشعرية ، د. عبدالوهاب العدواني ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠م.
- الضرائر اللغوية في الشعر الجاهلي ، د. عبدالعال شاهين ، دار الرياض للنشر ، الرياض ١٩٨٢م .
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ، د. فتحي الدجني ، بيروت ١٩٧٤م .
- العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، تحقيق احمد امين ، القاهرة ١٩٤٨-١٩٥٣م.
- في النحو العربي ، قواعد وتطبيق ، د. مهدي المخزومي ، القاهرة ١٩٦٦م.
- في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، بيروت ١٩٦٤م .
- في الضرورة الشعرية ، د. خليل الحسون ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٣م .
- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون ، طبعة بولاق ، ١٩٧٥م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة بولاق ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة (بدون تاريخ) .
- ما يجوز للشاعر في الضرورة ، للقزويني ، تحقيق المنجي الكعبي ، تونس ١٩٧١م .
- ما يحتمل الشعر من الضرورة ، لابي سعيد السيرافي ، تحقيق د. عوض القوزي ، الرياض ١٩٨٩م .

- المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، تحقيق محمد جاد المولى ، القاهرة ١٩٥٨م .
- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، لابي الحسن القرطاجني ، تحقيق محمد بن الخوجة ، تونس ١٩٦٦م .
- المقتضب ، المبرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٨م .
- من أسرار العربية ، د. ابراهيم انيس ، القاهرة ١٩٦٦م .
- النحو العربي ، نقد وبناء ، د. ابراهيم انيس ، بيروت ١٩٦٨م .
- النقد اللغوي عند العرب ، د. نعمة رحيم العزاوي ، بغداد ١٩٧٨م .

المقالات المنشورة في الدوريات والمجلات

- الشذوذ اللغوي وقراءات القرآن الكريم ، د. محمد عبدالحميد سعد ، مجلة كلية الآداب جامعة الرياض ١٩٧٤م ، المجلد الثالث .
- الضرورة عند النحويين ، د. محمد عبدالحميد سعد ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ١٩٧٥م ، المجلد الرابع .
- « ما » في شعر المتنبي ، د. هادي الحمداني ، مجلة الجامعة المستنصرية ، بغداد ١٩٧٤م ، المجلد العاشر .
- نظرة في النحو ، طه الراوي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ١٩٣٦م ، المجلد الرابع عشر ، العدد التاسع .



فهـرس مجلة المجمع العلمي ـ المجلد ٤٤

ج١ ـ ج٤ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)

صباح ياسين الاعظمي
مدير قسم المكتبة

يشمل الفهرس كل ما ورد في المجلة في ثلاث فئات عامة من المواد ، غير منفصلة احداها عن الاخرى ومرتبة على حروف الالف باء ، حتى يتمكن الباحث من مراجعته كما يراجع معجما .

١ ـ اما الفئة الاولى فتضم كل عنوان ورد في المجلة فادرج تحت الحـــرف الاول من الكلمة الاولى في العنوان ، وعلى وجه يكتمل فيه المعنى ويستمر سياق الالفاظ فيها . فمثلا عنوان : قراءة النص الشعري ، يأتـــي في حرف القاف .

٢ ـ واما الفئة الثانية فتشمل الموضوعات ، خذ مثلا موضوع ، البيليوغرافيـا الديانات ، اللغات ، التاريخ ، العلوم التطبيقية ، العلوم الصرفة ، التراجم والسير .... الخ .

٣ ـ والفئة الثالثة فتضم اسماء المؤلفين والكتاب ، مرتبة حسب حروف الالف باء ايضا فمثلا يرد اسم احسان ، احمد ، انيس وهكذا . حيث يرد اسم المؤلف او الكاتب كمدخل اولي ثم تدرج تحته اسماء بحوثه ومؤلفاتـه .

وقد استعملنا الرموز الاتية للاختصار

الجـزء = ج
المجلـد = مج
ص = صفحة

ووضعنا سنة النشر بين قوسين واشرنا الى السنة الهجرية والميلادية : (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) .

ولما بيناه في اعلاه فان هذا النظام متبع عربيا وعالميا .

فاذا اجملنا هذه القواعد في امثلتها وحسب تبيان كيف طبقت قلنا :

اولا ــ قراءة النص الشعري ، احمد مطلوب (د) ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ــ١٩٩٧) ص ٧ ــ ٤٥ .

ثانيا ــ اللغة العربية ــ ويدخل في بابها النحو والصرف والبلاغة والشعر والادب والاملاء والقراءات .. الخ .

قراءة النص الشعري ، احمد مطلوب ... الخ .

ثالثا ــ المؤلفون والكتاب :

احمد مطلوب (د)

تيسير البلاغة .... الخ .

الدرس البلاغي .... الخ .

قراءة النص الشعري .... الخ .

وفي حالة استعمال الكنى والالقاب كمداخل للفهرس فسيكون القديم على قدمه وحسب اسم الشهرة :

عبدالرحمن جلال الدين السيوطي .

سنأخذ اسم الشهرة مدخلا فنقول : السيوطي ، عبدالرحمن جلال الدين .

وسيكون المعاصر على حداثته فمثلا : احمد مطلوب : فليس في تراثنا القديم تقديم الاب على الابن وانما هي طريقة اتبعها الغرب ولن نكون مقلدين ، ولذلك سيبقى الاسم على معاصرته وحداثته .

واذا اريد التوسع في هذا الفهرس . فيضاف اليه ــ فهرس الاعلام والامكنة والبقاع .

وفي الختام لا اقول اننا استكملنا جوانب هذا الفهرس فلله الكمال وحده والراي مطروح للمناقشة ومن الله التوفيق .

١ ـ العنـاوين :

١ ـ آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب ـ رياض حامد الدبـاغ ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٣ـ٤٥ .

٢ ـ الاتجار بغنائم الحرب في عصر الراشدين وبني امية ـ نجمـان ياسـين ح٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢١٧ـ٢٥٠ .

٣ ـ الاتمتة والمعلومات . . . بعض تقانات المستقبل ـ داخـل حسـن جريـو ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٤٦ـ٧٠ .

٤ ـ الاحوال السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية في العصر الاموي ـ عبدالواحد ذنون طـه ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٣٤ـ١٦٧ .

٥ ـ اضـواء على انتفاضـة الموصل المنسية سنة ١٨٣٩م ـ عماد عبدالسلام رؤوف ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٦٨ـ١٨٣ .

٦ ـ بعض من مجادلات الفكر الاستراتيجي حول مركز الاسـتقطاب الصـيني عبدالقادر محمد فهمي ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٧٨ـ٢٠٥ .

٧ ـ البيان الختامي لندوة القومية العربية والمستقبل ـ المجمع العلمي (العراق) ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٤٢ـ٢٤٦ .

٨ ـ التجربة الصوفية : دراسة في ضوء العلوم العصـبية ـ انعـم رشـيد الصالحي ـ ح٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٠٠ـ١٢١ .

٩ ـ الترجمة الالية ـ سعد عبدالستار مهدي ـ اكرم محمد عثمان ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٢٦٧ـ٢٩٣ .

١٠ـ التضخم النقدي في العراق العامل النفسي والاختلال الهيكلي (دراسـة تحليلية) طليعة كوركيس توما ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٨٤ـ٢١٦

١١ـ تطور الفكر الرياضي ـ عادل غسان نعوم ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٨٥ـ٩٩ .

١٢ـ تطور الفكر العلمي في الكيمياء ـ جلال محمد صالح ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٠ـ٥٧ .

١٣ـ التعـريـب واختـلاق المعوقـات ـ جميـل الملائكـة ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٢٣ـ١٣٣ .

١٤ـ التعليم الهندسي في العراق ومواجهة تحديات الحصار ـ داخل حسن جريو ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٥٨ـ٨٥ .
١٥ـ التقديم والتأخير ـ فاضل صالح السامرائي ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٧١ـ٨٩ .
١٦ـ التقرير الختامي لسنة ١٩٩٧ عن اعمال المجمع ـ ناجح الراوي ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٠٦ـ٢٤١ .
١٧ـ التلوث الكهرومغناطيسي والكيمياوي والجرثومي الناتج عن الحرب والحصار وتأثيره في البيئة والصحة العامة ـ هدى صالح مهدي عماش، حسين السعدي ، انيس الراوي ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٠٧ـ١٢٢
١٨ـ تيسير البلاغة ـ احمد مطلوب ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧ـ٢٩ .
١٨ـ الجملة الخبرية والانشائية ـ فاضل صالح السامرائي ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١١٨ـ١٢٨ .
١٩ـ خمسون عاما من العطاء ١٩٤٧ـ١٩٩٧ ـ كلمة الافتتاح ، ناجح الراوي ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ، ٥ـ٦ .
٢٠ـ الدراسات العليا في العراق فلسفتها وواقعها وسبل الارتقاء بها (حلقة دراسية) اقامها المجمع ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٠٦ـ٢١٩ .
٢١ـ الدرس البلاغي في بغداد ـ احمد مطلوب ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٧ـ٦٦ .
٢٢ـ دور الشعر التعليمي في تطور الفكر التربوي العربي ـ ماهر اسماعيل الجعفري ، محمد عبدالعزيز الذهب ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٧٧ـ٢٠٥
٢٣ـ الرقابة الصحية ونظام الحسبة في الحضارة العربية الاسلامية ـ هاشم يحيى الملاح ج١ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٩٠ـ١٠٦ .
٢٤ـ الطبيعة القانونية للدولة العربية الاسلامية في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) (اتحادية ام موحدة) ـ هاشم يحيى الملاح ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٢٩ـ١٤٨ .
٢٥ـ طه الراوي اللغوي النحوي ـ نعمه رحيم العزاوي ج١ ، مج٤٤ ١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢١٧ـ٢٦٠ .
٢٦ـ عقد التكليف والنشر (المجمع العلمي) ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٦٣ـ٣٦٥ .

٢٧ ـ العلاقة بين كتابي الاحكام السلطانية للماوردي وكتاب الاحكام السلطانية للفراء . محمد جاسم الحديثي ج٢ ، مج ٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٩٦ـ٣٣٨
٢٨ ـ فلسفة التربية عند الامام الغزالي ـ ماهر اسماعيل الجعفري ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٥١ـ٢٩٥ .
٢٩ ـ فلسفة الشطح عند الصوفية او لغة اهل الاشارة ـ حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب‌الله ج٢ ، مج ٤٤ (١٤١٨ ـ ١٩٩٧) ١٢٢ ـ ٢١٦ .
٣٠ ـ قراءة النص الشعري . احمد مطلوب ج١ ، مج ٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٧ـ٤٥
٣١ ـ كلمة الافتتاح ـ ناجح محمد خليل الراوي ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٥ـ٦ .
٣٢ ـ كلمة الافتتاح ناجح خليل الراوي ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٥ـ٦ .
٣٣ ـ كلمة الافتتاح : ـ ناجح الراوي ج٣ ، مج ٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٥ .
٣٤ ـ كلمة الافتتاح ناجح الراوي ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ ـ ١٩٩٧) ٥ .
٣٥ ـ كيمياء وصناعة العطور عبر التاريخ ـ جلال محمد صالح ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧ـ٣٢ .
٣٦ ـ المعاجم اللغوية من مظاهر اصالة حضارية وادي الرافدين . عامر سليمان ج٢ ، مج ٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٣٩ ـ ٣٥٦ .
٣٧ ـ نحو مدارس بحثية عربية ـ داخل حسن جريو ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ ـ ١٩٩٧) ٦٧ ـ
٣٨ـ نشاطات المجمع العلمي (العراق) ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ ـ ١٩٩٧) ٢٦١ ـ ٢٩٣ .
٣٩ـ نشاطات المجمع العلمي (العراق) ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٧ ـ ١٩٩٧) ٣٥٧ـ٣٦٢ .
٤٠ ـ نظام رواتب الجيش العباسي في العراق (٢١٨ ـ ٣٣٤/٨٣٣ ـ ٩٤٥) عبدالوهاب خضر الياس ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٤٩ـ١٧٦ .
٤١ ـ نظرة الى تجربة اليابان في نقل التكنولوجيا ـ ناجح الراوي ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧ـ٢٦ .
٤٢ـ نظريات تكوين الطرز في الجنين ـ محمود حياوي حماش ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٤٦ـ٧١ .
٤٣ ـ نهاية النهاية ـ محمود شيت خطاب ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧٢ـ١٣١ .
٤٤ ـ هجرة الاندلسيين وتهجيرهم الى المغرب العربي ـ خليل ابراهيم الكبيسي ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٣٢ـ١٧٧ .
٤٥ ـ الهندسة الحياتية الطبية ـ سامي عبدالمهدي المظفر ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٨٦ـ١١٧ .

ب ـ الموضوعـات :

١ ـ المعارف العامة :

ـ الاتمتة والمعلومات .. بعض تقانات المستقبل ـ داخل حسن جريو ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧)٢١٧ـ٢٥٠ .

٢ ـ الديانات ـ تشريعات

ـ العلاقة بين كتابي الاحكام السلطانية للماوردي وكتاب الاحكـــام السلطانية للفـــراء ـ محمـد جاسـم الحديثـي ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٩٦ـ٣٣٨ .

ـ الرقابة الصحية ونظام الحسبة في الحضارة العربية الاسـلامية ـ هاشم الملاح ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٩٠ـ١٠٦ .

٣ ـ اللغة العربية ـ الادب العربي :

ـ الترجمة الالية ، سعد عبدالستار مهدي ـ اكرم عثمان ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٢٦٧ـ٢٩٣ .

ـ التعريـب واختـلاق المعوقـات ـ جميـل الملائكـة ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٧١ـ٨٩ .

ـ التقديم والتأخـير ـ فاضـل صـالح السـامرائي ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٧١ـ٨٩ .

ـ تيسير البلاغة ـ احمد مطلوب ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧ـ٢٩ .

ـ الجملة الخبرية والانشائية ـ فاضل صالح السامرائي ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١١٨ـ١٢٨ .

ـ الدرس البلاغـي فـي بغـداد ـ احمـد مطلـوب ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٧ـ٦٦ .

ـ دور الشعر التعليمي في تطور الفكر التربوي العربي ـ ماهر اسماعيل الجعفري ، محمد عبدالعزيز الذهب ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٧٧ـ٢٠٥ .

ـ طـه الراوي اللغوي النحوي ـ نعمة رحيم العزاوي ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٢١٧ـ٢٦٠ .

- قراءة النص الشعري ـ احمد مطلوب ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٧ـ٤٥ .
- المعاجم اللغوية من مظاهر اصالة حضارة وادي الرافدين ـ عامر سليمان ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٣٩ـ٣٥٦ .

٤ ـ التاريخ : (القديم ـ المعاصر)

- آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب ـ رياض حامد الدباغ ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٣ـ٤٥ .
- الاتجار بغنائم الحرب في عصر الراشدين وبني امية ـ نجمان ياسين، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢١٧ـ٢٥٠ .
- الاحوال السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية في العصر الاموي ـ عبدالواحد ذنون طه ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٣٤ـ١٦٧ .
- اضواء على انتفاضة الموصل المنسية سنة ١٨٣٩م ـ عماد عبدالسلام رؤوف ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٦٨ـ١٨٣ .
- بعض من مجادلات الفكر الاستراتيجي حول مركز الاستقطاب الصيني ـ عبدالقادر محمد فهمي ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٧٨ـ٢٥٠
- الطبيعة القانونية للدولة العربية الاسلامية في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) (اتحادية ام موحدة) ـ هاشم الملاح ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٢٩ـ١٤٨ .
- نظام رواتب الجيش العباسي في العراق (٢١٨ـ٣٣٤هـ/٨٣٣ـ٩٤٥م) ـ عبدالوهاب خضر الياس ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٤٩ـ١٧٦ .
- نهاية النهاية ـ محمود شيت خطاب ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧٢ـ١٣١ .
- هجرة الاندلسيين وتهجيرهم الى المغرب العربي ـ خليل ابراهيم الكبيسي ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٣٢ـ١٧٧ .

٥ ـ العلوم التطبيقية :

- التجربة الصوفية : دراسة في ضوء العلوم العصبية ـ انعم رشيد الصالحي ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٠٠ـ١٢١ .
- تطور الفكر الرياضي ـ عادل غسان نعوم ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٨٥ـ٩٩ .

- تطور الفكر العلمي في الكيمياء ـ جلال محمد صالح ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٠ـ٥٧٣ .
- التعليم الهندسي في العراق ومواجهة تحديات الحصار ـ داخل حسن جريو ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٥٨ـ٨٥ .
- التلوث الكهرومغناطيسي والكيمياوي والجرثومي الناتج عن الحرب والحصار وتأثيره في البيئة والصحة العامة ـ هدى صالح مهدي عماش ، حسين السعدي ، انيس الراوي ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٠٧ـ١٢٢ .
- كيمياء وصناعة العطور عبر التاريخ ـ جلال محمد صالح ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧ـ٣٢ .
- نحو مدارس بحثية عربية ـ داخل حسن جريو ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٦٧ .
- نظرة الى تجربة اليابان في نقل التكنولوجيا ـ ناجح الراوي ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٧ـ٢٦ .
- نظريات تكوين الطرز في الجنين ـ محمود حياوي حماش ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٤٦ـ٧١ .
- الهندسة الحياتية الطبية ـ سامي عبدالمهدي المظفر ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٨٦ـ١١٧ .

ـ الفلسفة :

- فلسفة التربية عند الامام الغزالي ـ ماهر اسماعيل الجعفري ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٥١ـ٢٩٥ .
- فلسفة الشطح عند الصوفية او لغة اهل الاشارة ـ حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٢٢ـ٢١٦.

٧ ـ اقتصاد :

- التضخم النقدي في العراق العامل النفسي والاختلال الهيكلي (دراسة تحليلية) ـ طليعة كوركيس توما ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٨٤ـ٢١٦ .
- عقد التكليف والنشر ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٦٣ـ٣٦٥ .

المجمع العلمي ـ ندوات ـ افتتاحيات ـ تقارير

- البيان الختامي لندوة القومية العربية والمستقبل ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٤٢ـ٢٤٦ .

ـ التقرير الختامي لسنة ١٩٩٧ـ ناجح الراوي ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٠٦ـ٢٤١ .

ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ، ٥ـ٦ .

ـ خمسون عاما من العطاء ١٩٤٧ـ١٩٩٧ كلمة الافتتاح ، ناجح الراوي ،

ـ الدراسات العليا في العراق فلسفتها وواقعها وسبل الارتفاع بها (حلقة دراسية) اقامها المجمع ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢٠٦ـ٢١٩ .

ـ كلمة الافتتاح ـ ناجح الراوي ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٥ـ٦ .

ـ كلمة الافتتاح ـ ناجح الراوي ، ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٥ـ٦ .

ـ كلمة الافتتاح ـ ناجح الراوي ، ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٥ .

ـ كلمة الافتتاح ـ ناجح الراوي ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٥ .

ـ نشاطات المجمع العلمي (العراق) ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٢٦١ـ٢٩٣ .

ـ نشاطات المجمع العلمي (العراق) ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٣٥٧ـ٢٦٢ .

ج ـ المؤلفـون :

احمـد مطلوب (د)

اكرم محمد عثمان

انعم رشيد الصالحي (د)

انيس الراوي (مشارك)

جلال محمد صالح (د)

جميل الملائكة (د)

حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله (د)

حسين السعدي (د) (مشارك)

خليل ابراهيم الكبيسي (د)

هجرة الاندلسيين وتهجيرهم الى المغرب العربي ـ ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ١٣٢ـ١٧٧ .

داخل حسن جريو (د)

الاتمتة والمعلومات لبعض تقانات المستقبل ـ ج١ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٢١٧ـ٢٥٠ .

التعليم الهندسي في العراق ومواجهة تحديات الحصار ـ ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٥٨ـ٨٥ .

نحو مدارس بحثية عربية ـ ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٦٧ .

رياض حامد الدباغ (د)

آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب ـ ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٣ـ٤٥ .

سامي عبدالمهدي المظفر (د)

الهندسة الحياتية الطبية ـ ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٨٦ـ١١٧ .

سعد عبدالستار مهدي

الترجمة الالية ـ ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٢٦٧ـ٢٩٣ .

طه الراوي

طه الراوي اللغوي النحوي ، نعمه رحيم العزاوي ، ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ٢١٧ـ٢٦٠ .

طليعة كوركيس توما (د)

التضخم النقدي في العراق ، العامل النفسي والاختلال الهيكلي (دراسة تحليلية) ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧ـ١٩٩٧) ١٨٤ـ٢١٦ .

عادل غسان نعوم (د)

تطور الفكر الرياضي ـ ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٨٥ـ٩٩ .

عامر سليمان (د)

المعاجم اللغوية من مظاهر اصالة حضارة وادي الرافدين ـ ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨ـ١٩٩٧) ٣٣٩ـ٣٥٦ .

عبدالقادر محمد فهمي (د)

بعض من مجادلات الفكر الاستراتيجي حول مركز الاستقطاب الصيني — ج٣ ، مج٤٤ (١٤١٨—١٩٩٧) ١٧٨—٢٠٥ .

عبدالواحد ذنون طـه (د)

الاحوال السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية في العصر الاموي — ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧—١٩٩٧) ١٣٤—١٦٧ .

عبدالوهاب خضر الياس (د)

نظام رواتب الجيش العباسي في العـراق (٢١٨—٣٣٤هـ/٨٣٣—٩٤٥م) — ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨—١٩٩٧) ١٤٩—١٧٦ .

عماد عبدالسلام رؤوف (د)

اضواء على انتفاضـة الموصـل المنسـية سـنة ١٨٣٩ — ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧—١٩٩٧) ١٦٨—١٨٣ .

فاضل صالح السامرائي (د)

التقديم والتأخير — ج١ ، مج٤٤ (١٤١٧—١٩٩٧) ٧١—٨٩ .

الجملة الخبرية والانشائية — ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٧—١٩٩٧) ١١٨—١٢٨ .

ماهر اسماعيل الجعفري (د)

دور الشعر التعليمي في تطور الفكر التربوي العربي ، محمد عبدالعزيز الدهب ، ج٤ ، مج٤٤ (١٤١٨—١٩٩٧) ١٧٧—٢٠٥ .

فلسفة التربيـة عنـد الامـام الفزالـي — ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨—١٩٩٧) ٢٥١—٢٩٥ .

المجمع العلمي (العراق)

التقرير الختامي لسنة ١٩٩٧ عن اعمال المجمع ، ناجح الراوي، ج٤، مج٤٤ (١٤١٨—١٩٩٧) ٢٠٦—٢٤١ .

الدراسات العليـا في العـراق ، فلسفتها وواقعهـا وسبل الارتقاء بها (حلقة دراسية) آقامها المجمع — ج٣، مج٤٤ (١٤١٨—١٩٩٧) ٢٠٦—٢١٩ .

محمد جاسم الحديثي

العلاقة بين كتابي الاحكام السلطانية للماوردي وكتاب الاحكام السلطانية للفراء — ج٢ ، مج٤٤ (١٤١٨—١٩٩٧) ٢٩٦—٣٣٨ .

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add: ACADEMY OF SCIENCES.

P. O. Box 4023 WAZYRIA, AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel: 4221733 - 4222066 Fax: (964 - 1) 4254523

— Annual Subscribtion : In IRAQ (4000) I. D.

Outside IRAQ (50 Dollar) air mail not included



Journal
of the
ACADEMY of SCIENCES

No. 2

Vol. 45

1419 H - 1998